لا تقترب
من الطفلة التي
في زوجتك
محمود توفيق
عصير الكتب

لا تقترب في الطفلة زوجتك

محمود توفيق

ONE PIECE
BOOKS

عصير الكتب

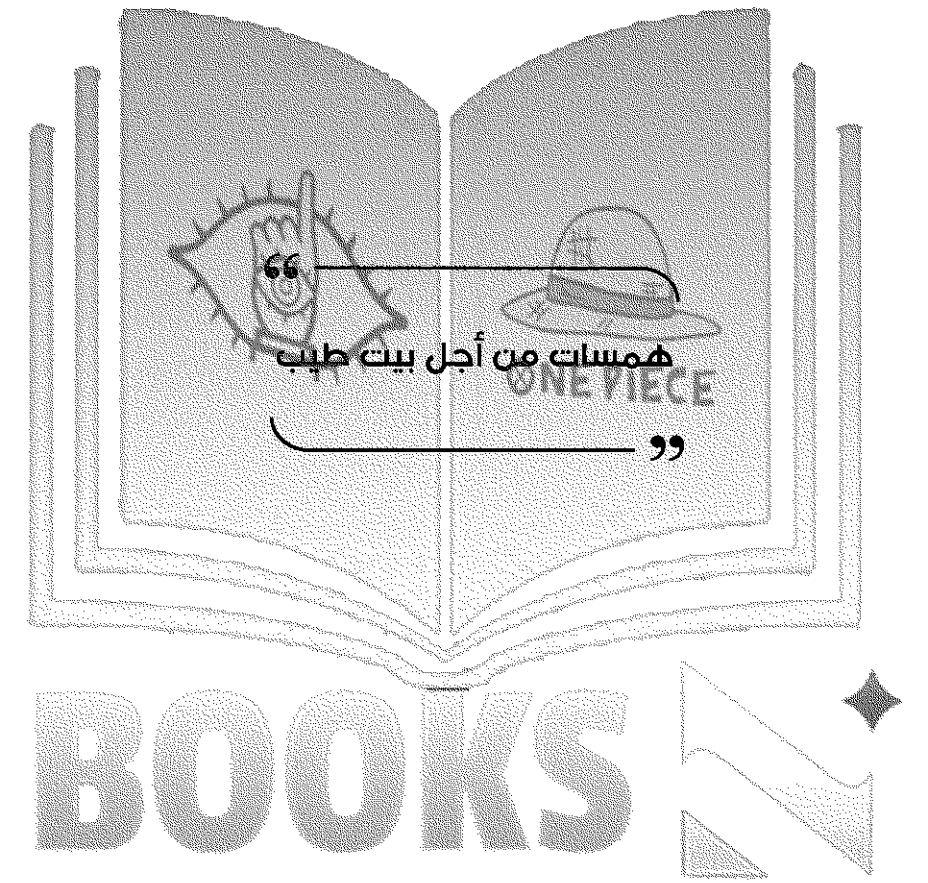

همسات من أجل بيت طيب

BOOKS

عود الكبريت والخاتم

هذا الكتاب يفتش معك فيك عن القدر من المسؤولية عن أن الأمور التي ليست على ما يرام، ذلك القدر الذي قد يكون سببه عيبًا بسيطًا فيك تعايشت معه، وما ظننت أنه يمكن أن يجني عليك، وعلى سعادتك.

وإنه أيضًا يشجعك على أن تحاول للمرة الأولى إصلاح بيتك؛ لأن هناك من لم يحاولوا قط، وعاشوا يوميات متشابهة من الصلح والنفور والاتفاق والخلاف لا يخرجون فيها عن الحيز الذي اعتادوا عليه، ولا يتخيلون إمكانية حدوث نقلة في طريقة الحياة وفي مستوى التفاهم، ومع ذلك فهم يسمون الصلح، الذي لم يبنوه على أي تغيير من الطرفين، أو وعد بالتغيير، يسمونه محاولة.

وإنه أيضًا يشجعك على أن تحاول للمرة الألف، إذا كنت ممن حاولوا بالفعل محاولات حقيقية، تسعمائة وتسعًا وتسعين مرة، ولكن بطريقة واحدة، أو بطرق متشابهة، فلعلك تجد هنا ما يوحي بطريقة أخرى تنفعك.

هذا الكتاب هو صاحب بسيط عابر، غير معقد، وغير متعال، يحاول أن يقنعك قبل أن يقوم من جانبك على الأريكة بأهمية أن تقدم أحسن ما عندك، نعم، أحسن ما عندك؛ لأن هناك رجالًا ونساءً لا يؤمنون بهذا، ولا يحاولون جيدًا فعل هذا، ويكتفون بتقديم ما يحبون أن يقدموا، وما

يناسب ميولهم وطباعهم، وما يظنون أنهم لن يندموا عليه في ساعات الخلاف التالية.

وقد تظن أن الكتاب بسبب كثرة تلك النداءات التي فيه يقول لك بشكل أو بآخر، إنك مليء بالعيوب، وإنك بحاجة إلى الكثير من الوقت والعمل، وإنك يجب أن تتحلى بالصبر، وألّا تطلب أي شيء، لكن هذا ليس صحيحًا، فليس كل ما قيل هو لك، ومع ذلك يفيدك أن تصغي إلى كل ما قيل، حتى يتسلل إليك وإلى بصيرتك ما يخصك منه.

لقد اشتغلت في هذا الكتاب من أجل هدف جميل وبرّاق، وهو أن يتحسَّن انتباهك، وتتحسَّن قدرتك على ملاحظة الوميض، وأن يتأجج شعورك بما تفتقد، فتجد في هذا الرحام الشيء الذي أفلت منك، ولا أحد من الرجال والنساء إلا وفيه فلتة وأكثر من فلتة، تجد في النور الذي أرسله عود الكبريت في العتمة، خاتمك الذهبي، وتقول عرفت الآن ما يجب عليَّ عمله.

هذا الكتاب إذن مجرد عود كبريت، أنت الذي يمكن أن تعطيه قيمة كبرى، إذا استطعت في نوره أن تجد شيئًا ثمينًا.

“

الحياة مخيفة وعارية إذا لم يكن هناك من يعتمد عليك، إذا لم يكن هناك من يلقي إليك بضحكه وهمومه وشجونه وأحلامه وسفاسف اليوم، إذا لم يكن هناك من يظن أنك قوسه وخوذته في مواجهة العالم الثقيل، مخيفة إذا لم يكن هناك من يظن أنك تحارب الظروف من أجله، إذا لم يكن هناك من يثير وجهك المرتاح طمأنينته ويسكن هواجسه؛ فتمسَّك بمن يجري إليك ويختبئ فيك، فإنك تختبئ فيه ولو لم تعلم، وإنك دون هذا الذي لا يتخيل الحياة من دونك، ستصير مثل شجرة أوشكت جذورها على الانكشاف.

”

لا تقتل الطفلة في زوجتك

ربما لا يكون المعنى الذي تبادر إلى ذهنك للوهلة الأولى، فليس المقصود من هذا أنها كائن لا ينضج، ولا كائن لا يمكن الاعتماد عليه، ولا كائن لا يؤخذ على محمل الجد.

وربما تكون المرأة التي ستتزوجها أو قد تزوجتها، قد قامت هي بنفسها باضطهاد الطفلة التي تعيش فيها حتى ضمرت، وصارت ذكرى غائرة، ربما اضطرتها مسؤوليات الحياة المبكرة لذلك، أو كان هذا اختيارها؛ ولكن سواء اختارت أو اضطرت، فأنت يمكن لك أن تتسلل في أعماقها وتنتشل هذه الطفلة من أنقاض المخاوف والعقد والمحاذير.

أنت ربما تكون الأوفر حظًا باكتشاف هذه الطفلة وإطلاق سراحها، أكثر من زوجتك، فهي التي ستسعدك، وتؤنسك، وتهبك تلك المتعة التي يشعر بها الرجل الناضج عندما يشعر أنه يمكن الاعتماد عليه، وأنه جدير بالإيمان به، وأن صاحبته تراه كل شيء.

أغلب الرجال الذين بحثوا عن علاقة أخرى بعد الزواج، هم الذين كانوا يعملون على قتل الطفلة الجميلة الممتعة في أعماق الزوجات، تلك الطفلة التي يظن أنها تهدد هيمنته برغبتها المشروعة في السعادة والثقة، وعندما ماتت تلك الطفلة تمامًا، وصارت المرأة التي يضع الرجل رأسه على الوسادة بجانبها، صارت إنسانًا قويًّا تمامًا وقاسيًا على نفسه، إنسانًا لا يفكر في تدليل ذاته، إنسانًا جافًّا مدبرًا يسيِّر الأمور على

نحو عقلاني، إنسانًا يبحث عن الكسب والتدبير ولا يبحث عن المحبة، إنسانًا سلَّم نفسه تمامًا لفكرة التضحية، عندها يبدأ وهو ينظر إليها وهي نائمة، خالية الوجه من أضواء الأنوثة واللطف، يشعر بأنه يحتاج إلى أنثى حقيقية، فيبحث عمن فيها تلك الطفلة التي قتلها.

من هذه الطفلة؟

الطفلة التي فيها هي التي تشعر بأنها جديرة بحب غير مشروط، فهذا هو الحب الذي تتوقعه الطفلة، أن يقول لها الرجل الذي رضيت به بلسانه وتعبيرات وجهه وتصرفاته إنه يحبها حقًّا، وسيحبها للأبد، فهو لا يجعل حبه جائزة إذا ما فعلت كذا وكذا، وهو قادر على سحب هذه الجائزة أو التهديد بسحبها مع أي ملحوظة.

الطفلة التي فيها هي التي تشعر بأنها غير مهددة في علاقة، وهكذا أي طفلة، تشعر بالأمان العاطفي، وأنه لا يمكن أن ينقلب عليها محبوها ويطردوها من رحاب عطفهم.

الطفلة التي فيها هي التي ترغب فيمن تحبه أن يفهمها بأقل تعبير، وهكذا الطفلة، لا تلوم نفسها على أنها لم تستطع التعبير عما فيها، بل تلوم من تحبه على أنه عجز عن ذلك.

الطفلة التي فيها هي التي لا تحب أن تُقارن بغيرها، وهكذا أي طفلة، تعتبر هذا إن حدث نوعًا من الخيانة، فمن يحبها يجب ألا يرى غيرها، مهما كان غيرها هذا.

الطفلة التي فيها يغلب عليها الظن والرجاء أن من يحبها سيقدر على أن يلبي حاجاتها، ولا يجعلها تحمل همًّا يخص مصيرها، وأنه سيوفق في أن يجعلها لا ترى عجزه أبدًا، وحتى إن حدث هذا مرة فستنساها وتعود للإيمان بأنه يستطيع.

الطفلة التي فيها تؤمن بأن من حقها الترفيه والتنزه والتمتع بأوقات جميلة، وأن من يحبها يحب أن يرى ابتهاجها، وهي لا تصدق أنه سيطلب منها التخلي عن كل هذه الأمور؛ لأنه يراها من التفاهات، ولأنه يرى أن الزوجة نزهتها هي التحدث إلى نساء أخريات ليس إلا.

الطفلة التي فيها تؤمن بأنها تستحق أن تتكلم على السجية في أي شيء، وتسأل عن أي شيء، وأن ينصت إليها من يحبها مهما كان الذي تتكلم فيه.

الطفلة التي فيها تمر بأوقات تكون قد شحنت وفشلت في تسريب شحنتها من القلق أو الحزن أو الغيرة أو الاحتجاج، حتى تتضخم فيها هذه الشحنة وتأخذ أكبر من حجمها، والتي تكون مبررة تمامًا أو غير مبررة على الإطلاق، فتنفجر من الضغط، وهي تحتاج من الحبيب صاحب القوامة، رجلها الحق، أن يصبر ويطمئن، لا أن يفنّد ما تقول.

ONE PIECE
BOOKS

ما تقدر عليه الطفلة

إذا أحبت المرأة زوجها، وحدث أنه تعرَّض لأزمة ما مادية من التي يتعرض لها الرجال، وشعرت بأنه يعز عليه أن ينبئها بهذا، وشعرت بأن هناك غصة في حلقه وهو يطلب منها بعض التدبير، كانت أميل للإيمان بأن هذه مرحلة عابرة، من شدة عاطفتها وإخلاصها تؤمن بأنها مرحلة عابرة حتى لو طالت. ومن تؤمن هذا الإيمان هي الطفلة التي فيها التي أحسن إليها.

أما إذا كانت لغته مثل لغة المدير تجاه موظفه وهو ينقل لها الكبوة المالية، مثلما كانت دائمًا لغة خالية من الحساسية والحنو، فإنها لا تؤمن بأنها مرحلة ما إلا إذا انتهت فعلًا وشهدت ظروفه على ذلك؛ لأن الطفلة التي كان يمكن أن تؤمن به قد قتلها، ولم يعد يمكن له أن يثبت لها أي شيء إلا بالأدلة الواضحة.

إذا أحبت المرأة زوجها، وزاد وزنه، أو خف شعره، أو قلَّت وسامته، كما يحدث لأي إنسان من فعل الأيام به، وشعرت بأنه يضايقه أنه لم يعد أمامها ذلك الشاب الذي كان، الذي أعجبت به عندما تقدم لخطبتها، جعلها الحب لا تبالي بأي شيء من أثر السنين فيه، وتقبلت آثار الحياة على هيئته كما تتقبل البنت في أبيها الكادح من أجلها بكل عطف، وشغلها قلبه الجميل عن أي شيء في مظهره. ومن وفَت هذا الوفاء هي

الطفلة التي فيها التي أكرمها، ووعدها بأن يحبها للأبد، مهما فعلت بها الأيام.

أما إن كان من البدء يفرض شروط حبه، ويهددها أنه قد يزهد فيها إن غدر بها الميزان، فستكون عيناها منزعجتين مما حل عليه، ولن تستطيع أن تنكر لنفسها أنه لم يعد بالفعل كما كان؛ لأن الطفلة التي يمكن أن تخفي وجهها في حضنه بدلًا من أن تحصي الرؤوس السوداء في وجهه قد قتلها، وستشهد عليه امرأته بما تشهد عليه مرآته.

إذا أحبت المرأة زوجها، وتفرَّق عنه أصحابه المقربون، الذين كان يقضي معهم بعض وقته الجميل، مثلما يحدث بين الخلان، وبحث فيها عمن يسد فراغ غيابهم، حتى لا يقلل من شأن نفسه وهو يتوسَّل الرفقة ممن شغلتهم عنه الظروف وأبعدتهم الأحوال أو مالت بهم المصالح إلى صحبة غيره، فرحت به وبمجلسه بالقرب منها، وأعدت له بساط الحكايات وهي تحب أن ترى نور الأنس يتهلل في وجهه، وسألته عن قهوته قبل أن يطلبها. ومن فرحت بالحديث معه هي الطفلة التي فيها التي قرَّبها إليه، وكان يحب كل حديثها، ويحب أن تفرغ شحنة يومها على سجادة كلامهما.

أما إن كان لا يصبر على الحديث معها، ويشرد وهي تكلمه، ويهرب من فضفضتها وأحاديث الذكريات، فستقدم له مشروبه، ولكن ستهرب منها كل الحكايات البريئة، كتلك الحكايات التي كان يستخف بها ويضيق منها، وستقتسم معه الشرود على الأريكة.

إذا أحبت المرأة زوجها، وحدث أنه صار في وضع انتقاد، بسبب خطأ ما كان يجب ألَّا يقعَ فيه، سواء في حياته الاجتماعية أو حياته المهنية، وشعرت بأنه يتألم من داخله؛ لأنه كان يجب أن يكون راشدًا دائمًا ولا

يخذل نفسه ولا يخذلها، ساقت المبررات وجمعت الحجج ونظرت في الأمور، واخترعت الخبثاء الذين أوقعوا به، حتى تخرج به إلى أفضل صورة ممكنة، يكاد يكون فيها ضحية. ومن تدافع هذا الدفاع هي الطفلة التي فيها التي احتضنها وحماها من العالم كله.

أما إذا لم تكن ترى فيه في خلافاتها مع الجيران أو مع الأهل أو معه، إلا قاضيًا أو جلادًا، كثير العتاب، مقللًا من شأنها، متهمًا إياها بقلة الحكمة، فسترى خطأه بغير أي تزويق، لأن الطفلة التي يمكن أن تدافع عنه بكل شراسة قد قتلها، ولم يعد بإمكانها أن ترفض فيه حكم الآخرين.

من أجل كل هذا والكثير غيره، لا تقتل الطفلة في زوجتك.

BOOKS

حجر رشيد الحياة الزوجية

دعونا نتخيل بلدة صغيرة مصرية منزوية تقبع في هدوء أعلى الوادي، بجوار منطقة من تلك المناطق الأثرية الفرعونية التي يفد إليها السياح من كل صوب، رأيت هذه النوعية من البلدات البسيطة التي تجاور التاريخ بحضوره المهيب، ودعونا نتخيل رجلًا بلديًا بسيطًا من أهل هذه البلدة لم يتلق أي تثقيف طوال حياته يسمح له بممارسة عمله كمرشد سياحي، ومع ذلك فهو يقف بجلبابه الأصيل وكامل ثقته بنفسه يشرح للسائحين كنوز المنطقة التي تحيط به وبهم، اعتمادًا على الحدس والشعور الشخصي وما توارثه من تفسيرات، وهو قد قرر أن يرتزق من هذا العمل المرموق منذ خمسين سنة عندما كان شابًا يافعًا، ولم يشعر طوال هذه المدة التي ابيضَّ في آخرها شعره بالإحباط المعرفي قط.

ها هو ذا يقف الآن ومعه فوج سياحي كبير عند جدار معبد، والناس من حوله الذين يولونه الثقة الكاملة يسألونه عن هذا الذي يحدث على الجدار العالي، ففي الصورة المحفورة عليه فريقان من الشباب في مواجهة بعضهما بعضًا، وكل شاب منهم يشهر سلاحه، فقال الرجل المرشد إن هذه معركة شرسة أدت إلى إبادة الجيشين، وسال نهر من الدماء في تلك الأرض منذ آلاف السنين، وانتهى الأمر بأن هبطت النسور الحائمة، وأخذت بهدوء تأكل تلك الوجبة الكبيرة من الجثث. لقد اخترع الرجل قصة مأساوية مؤثرة من خياله.

حجر رشيد الذي تم اكتشافه أثناء الحملة الفرنسية على مصر في مدينة رشيد، قد فك رموز وأحرف اللغة الهيروغليفية، وتحول به عالم هائل وواسع، وغامض مثل الطلاسم، إلى عالم مفهوم قابل للقراءة.

اللغة الهيروغليفية، وحجر رشيد، يقولان شيئًا آخر غير ما يقوله العم، يقولان إن هذا مهرجان سنوي يتم فيه تمثيل الحرب كلعبة شعبية يلعبها الشباب في أجواء ودية وتنتهي بسلام، بغير دماء، بغير نسور.

سنلحظ شيئًا مهمًا يخص هذا العم، وهو شيء وثيق الصلة بالحياة الزوجية: ذلك الرجل عندما بدأ في ممارسة عمله هذا وهو في العشرين من عمره، كان يقف تحت هذا الجدار العالي وينظر فيه، ويخمِّن، ويرجِّح، ويقول إنها، على ما يبدو، معركة. ثم من بعد هذه الأيام الأولى المعبقة بنفحات الإلهام، وإلى أن مرت عليه خمسونّ سنة من العمل المتواصل في خدمة السياحة والتراث الإنساني، وهو يكرر بلا هوادة ما ترجَّح عنده وهو في العشرين من عمره، صار مؤمنًا تمامًا وهو في مشيب السبعين بأن هذه معركة، لكن ما الذي رسَّخ هذا الإيمان فيه وجعله لا يتزعزع؟

الذي رسَّخ هذا الإيمان هو أنه يكرر، لا يوجد مرجع نفيس فاز به زاده إيمانًا بأن هذه معركة، ولم تكن تلك الزيادة العميقة في الإيمان وليدة جلسة مثمرة نادرة مع عالم مصريات، لا يوجد أي مؤثر جديد غير أنه أخذ يعيد ويزيد ويكرر ما قاله منذ زمن اليفاعة، فالذي قاله على سبيل الترجيح، صار الآن شيئًا بدهيًا مثل شروق الشمس من جهة الشرق.

يحدث في الحياة الزوجية شيء شبيه بهذا، شاب بشوش ومرح ومتبسِّط في حديثه قد تزوَّج من شابة، ومنذ الأيام الطيبة في شهر العسل، بدأ في التعبير بينه وبين نفسه عن انطباعه عنها: هي في الحقيقة جادة، وليس لديها الروح المرحة التي عند النساء في عائلتنا، وليس لديها حس الدعابة الذي عند أخواتي.

هذا التعبير عنها الذي يصارح به نفسه في الأيام الأولى تعبير جيد ومقبول على العموم، ولكن به بذرة القلق والصدمة، فهي لا تشبه النماذج النسائية المحببة إليه. ويظل الشاب مشحونًا بهذه القراءة الأولى، ويستمر في تكرارها بينه وبين نفسه، مثلما يكرر الأثري البسيط بلا هوادة، وبعد مرور عشر سنين من الزواج، صار لديه تصور عنها مثل العقيدة، غير قابل للنقاش، تصور سوداوي لا حل له، وغير قابل للتغير: هذه المرأة التي بليت بها كئيبة، ونكدية، والعيش معها يقصف سنوات العمر، وعلى ما يبدو أنني اقترفت ذنبًا بالغ السوء، فجاءت هي ككفارة في حجم هذا الذنب.

امرأة أخرى، تزوجت من شاب كريم و(بحبوح) ويحب الناس ويهتم بأمرهم، وهو يقرض معارفه بعض المال إذا احتاجوا، وقد أقرض أحدهم بعض المال بعد زواجها منه، ولم يلاحقه بالزيارات والاتصالات، وما ناداه من أسفل الشرفة حتى يسدد ما عليه، فبدا لها هذا السلوك رخوًا نوعًا ما، فبدأت في التعبير بينها وبين نفسها عن انطباعها عنه: لقد تزوجتُ من رجل طيب وحنون، في زمن صارت فيه معاملة الناس تحتاج إلى شيء من الحزم والانتباه، وأظن أن من لمسوا فيه الطيبة يعملون على استغلاله.

هذا التعبير عنه الذي تصارح به نفسها في الأيام الأولى تعبير جيد ومقبول على العموم، ولكن به أيضًا بذرة القلق والصدمة، فهي لا تحب أن تقرض أو تقترض، وستظل تلك الشابة مشحونة بهذه القراءة الأولى، وتستمر في تكرارها بينها وبين نفسها، أيضًا مثلما يكرر الأثري البسيط بلا هوادة، وبعد أن مرت عشر سنوات على زواجهما، صار لديها تصور عنه مثل العقيدة، غير قابل للنقاش، تصور سوداوي لا حل له، وغير قابل للتغير: نحن نعيش في غابة، والناس فيها وحوش، وكان حظي

من هذه الغابة ذكّر أبله ووديع، يترك للطامعين ما يريدون، وليس لديه منطقة نفوذ يمكن أن يقاتل من أجلها.

هذه هي المشكلة التي يقع فيها كثير من المتزوجين كما وقع فيها العم الأثري، يقرأ الأزواج بعضهم بعضًا من رأسهم من أجل أنفسهم، وتحيزًا لها، وحسب العلامات الأساسية التي اختاروها مع الأيام والخبرات الشخصية لتحديد نوعية الشخصيات التي يتقاطعون معها في الحياة، يقرؤون، ويكررون، ويكررون، ولا يحاولون بحب ورحمة فهم الإنسان الآخر كما هو، بمواهبه وميوله وطبيعته، وأثر البيئة والتربية عليه، وشروخه الإنسانية التي يجب أن تعمل على جبرها بعناية وود، لا أن نفاقمها بحماقة الغضب والتحدي، والتجريح، وسوء الفهم والتفهم.

هذا مثال لعدم فهم الرجل لامرأته: عاد الرجل من عمله وهو يفكر في المستهدف الشهري وأمور العمل وهمومه التي ترافقه في الذهاب والعودة، ووجد زوجته منبسطة الأسارير، ومعنوياتها مرتفعة جدًا.

ما الأمر؟

لقد وجدتْ أخيرًا المدرسة الخاصة المناسبة التي يمكن لهما أن ينقلا ابنهما إليها، أفضل مدرسة ممكنة، فهي قريبة، ومصاريفها معقولة، وطاقم التدريس على مستوى عال، وبها صالة ألعاب رياضية مميزة.

إن ما تتكلم عنه المرأة رائع حقًا، ولكنه شارد، كما لو كان مهمومًا، وهذا شيء تشعر معه بالغبن، إن معالم وجهه لا تتناسب مع الجهد الذي بذلته على الإطلاق. هو ليس معها، هو مهموم ومشحون بالفعل، لماذا؟ لأن عينيه على الجدار العالي أمامه، يقرأ شيئًا آخر غير إنجازها، يقرأ عليه ما ظل يقرأ منذ أن خطبها.

(لقد خرجت هذه من بيت فيه المرأة كل شيء، أمها هي المسيطرة، وكل أفراد الأسرة تحت إبطها، أما الأب فماكث في الظل لا دور له، ومثله

مثل المقعد الذي يجلس عليه، وها هي ذي القِدْر تريد أن تنقلب على فمها، وأنا لن أسمح بذلك، لن أسمح لها بأن تكون متحكمة أبدًا).

ماذا قلت يا حبيبي؟

سآخذ قراري في وقت لاحق.

لماذا؟! إن الوقت يجري، وعلينا أن نذهب بالملف بسرعة قبل ألّا نجد له مكانًا.

أنا الذي يتخذ القرارات هنا، وأنا لم آخذ قراري بعد.

لو كان بهذا البيت حجر رشيد، لاختلفت الأمور تمامًا، لو كان الحجر متاحًا لرأى أشياء واضحة جدًا ولا لبس في قراءتها: هذه السيدة تفضّل بالتأكيد مصلحة ابنها على أي شيء آخر في الحياة، وهذا الاختيار اجتهادها الذي أخلصت فيه تمامًا. لو كان هناك حجر رشيد بهذا البيت، سينظر، وبوعي، إلى الفارق في الاهتمام بهذا الموضوع بينه وبين زوجته؛ فهي سألت على مستوى العائلة والجيران والأصدقاء وبين معارف النادي ومن خلال مجموعات الواتساب؛ أما هو فلم يسأل أحدًا أبدًا، كل ما ذكّرته بأن يستفسر ويستشير ينسى مرة أخرى، إن نشاطها وسعيها المحموم عوّض ما عنده من تقاعس وقلة واهتمام، ولو تركت الأمور لصبره الطويل، لكان هذا على حساب مصلحة الأسرة بلا شك.

ما يجب علينا أن نتذكّره هو أن كثيرًا من الناس يحاولون وصم من يختلفون معهم بألقاب سلبية، وأحيانًا شنيعة، كثير من الناس يتهجون الآخرين ويقرؤونهم بطريقة دفاعية، كي يرتاحوا ويشعروا بأنهم جيدون، وبناءً على هذا فالرجل الذي لا يعرف كم من المال في جيبه، ولا يعرف كم من المال في بيته، ولا يخطط للنفقات، ولا حتى يستهدف مستوى معينًا من العمولة يحصل عليها من العمل، يستلطف من يشبهونه، ويسمي زملاءه المنظمين والجادين الذين يحبون أن يتعبوا كي يحصلوا على عمولة أكبر، ويضبطوا نفقاتهم، يسميهم (ماديين)،

وعبدة مال إن لزم الأمر. وكذلك فإن المرأة التي تحب نقل الأسرار والثرثرة بخصوصيات الناس، تستلطف الثرثارات وناقلات الأخبار، وإذا ما صادفت في جلسة امرأة عاقلة ورصينة ولا تحب مثل هذه الأحاديث، سمتها (ثقيلة). وبناءً على ما سبق شرحه؛ فإن كثيرًا من الرجال والنساء –وللأسف– يتزوجون وهم يحملون في صدورهم الأخطار السامة للأسلوب الدفاعي لقراءة الناس، وتتكون كثير من ملاحظاتهم السلبية عن شركاء الحياة عن طريقه، ويجدون تحت سقف واحد ذلك الاختلاف الذي كان دائمًا ما يثير ضيقهم، الذي هو في الحد الأدنى منه اختلاف الرجل عن المرأة، ويستمر الأمر معهم مع السنين حتى يتحول إلى أمر مفروغ منه، مثل قراءات الأثري لحوائط البلدة.

هناك ناجون بالطبع، وهم ليسوا الذين لا يجدون أي عيب في الآخرين، فهذا محال، بل هم الذين يؤمنون بهذه المقايضة من مقايضات الحياة، تقول الحياة: لن تستطيع العيش وحدك، سأقدم لك بعض البشر في أوقات مختلفة، وعليك أن تتعلم الانتقاء الواعي، وأن تكافح لتحتفظ بمن يمكن أن تبني معهم شيئًا جديرًا بالاحترام والعناء.

الناجون هم المتحررون من قبضة القراءة الدفاعية، المنفتحون بذكاء، المؤمنون بأنه هناك أشياء وسمات جميلة خارج عالمهم الذي اعتادوا عليه، الباحثون عمن يمكن التناغم معهم، الراغبون في أن يطورهم اختلاطهم بالشخصيات الجيدة.

الأزواج ليسوا بحاجة ملحَّة إلى إصدار الأحكام على بعضهم بعضًا، وليسوا بحاجة إلى استخدام معجمهم الذي جاؤوا به من بيئاتهم ليصدروا تعريفًا محكمًا بشريك الحياة، إنهم بحاجة الى بذل الجهد في فهم وتفهُّم بعضهم بعضًا، كل منهم بحاجة إلى بذل الجهد كي يتهجَّى الشريك بطريقة عادلة، وغير متعصبة، ويكتشف كيف يمكن لهذا الآخر القريب، المختلف، أن يكمله عبر هذا الاختلاف.

محاولة الفهم

العم الأثري، الذي يقف بهيبة السنين الطويلة تحت الجدار الكبير، عندما يسأله أحد السائحين إن كان متأكدًا مما يدَّعي، سيقول بكل تزمت واعتزاز: أنا ولدت هنا، عند كل هذه الآثار. هذا هو دفاعه عن خبرته الوهمية، إنه يؤكد على (التجاور).

هل يمكن أن تكون الدراية بين اثنين في الحياة الزوجية قائمة على التجاور؟ سيكون هذا شيئًا غريبًا جدًا ومحبطًا بالنسبة لاثنين ينغلق عليهما باب واحد، ولكن للأسف فإن هناك مساحة (تجاور) في الحياة الزوجية، بالطبع ليست الحياة الزوجية برمتها مشابهة لمثل العم والحائط الأثري، ولكن هناك مناطق في الحياة الزوجية لا يكون فيها الزوج فاهمًا لزوجته، ولا الزوجة فاهمة لزوجها رغم العيش تحت سقف واحد.

هناك ثلاث مساحات في الحياة الزوجية بين اثنين: المساحة الأولى هي مساحة التفهُّم أو الانسجام أو الحب؛ ففي هذه المساحة، وحتى لو كان هناك اختلاف بين الشخصيتين، يكون الاختلاف هذا مرغوبًا ومستظرفًا، أو حسب التعبير العامي (على قلبهما مثل العسل)، كأن يكون الزوج جادًّا وغير اجتماعي، وبالكاد يلقي سلامه على سكان العمارة ويمضي مسرعًا، وزوجته على النقيض من ذلك، اجتماعية وودود، وهو يقول بشأن حسن معاشرتها للناس، وهو يبتسم: هكذا أفضل، حتى يكون للأولاد توازن ما بيننا؛ ومن الناحية الأخرى تقول

هي عنه بشأن ضعف اتصاله بالآخرين، وهي تبتسم: تعجبني شخصيته هكذا، فأنا أحب الرجل الرصين، ولا أحب الرجل الخفيف.

إن اختلافهما يعجبهما ويضفي على حياتهما جوًّا من الثراء والتجدد، واختلافهما مرَّنهما في جو الحب هذا على أن تكون سعادة الآخر هدفًا أجمل من السيطرة عليه؛ هذه هي مساحة التفهم والانسجام والحب. مساحة التفهم هذه هي المساحة المثالية، ومن الرائع أن تكون كبيرة قدر الإمكان بين أي زوجين، وبالطبع يستحيل أن تكون كل المساحة بين أي زوجين مساحة تفهم.

تحت مسافة التفهم الرائعة هذه تقع المساحة الثانية، مساحة الفهم، فبصرف النظر عن الرضا من عدمه يفهم الشريك في هذه المساحة شريكه على حقيقته، مزاياه، عيوبه، نقاط قوته، نقاط ضعفه، يفهمه كما هو وليس حسب أوهامه. وفي هذه المساحة يعرف كل منهما كيف يؤثر على الآخر، وكيف يدخل له. إذن مساحة الفهم هذه لا بأس بها في الحياة الزوجية.

وتحت مساحة الفهم المقبولة تقبع المساحة الثالثة، كتلك المساحة التي يقف فيها العم الأثري وهو يحكي قصصًا من أوهامه الحرة، مساحة التجاور؛ فبرغم الحياة المشتركة بين الاثنين، لا يوجد في هذه المساحة تفهم بالطبع، ولا حتى فهم، وينتج عن هذا أن تكون بينهما ولو مشكلة صغيرة، تأخذ في التكرار منذ بداية زواجهما، وتترجم نفسها مرات ومرات، إلى أن يموت أحدهما، يعانيان بسبب أنهما لم يستطيعا أن يتعاونا في إزاحتها معًا إلى مساحة الفهم ليرحم كل منهما نفسه ويرحم الآخر.

هذا مثال لمشكلة من مشكلات عدم الفهم، في مساحة التجاور، السيدة لا تفهم زوجها، الزوج مغترب، يتصل بزوجته بشأن قطعة أرض ميراث، ولديه مخاوف من أن يجور البعض على حقوقه فيها استغلالًا لغيابه.

طمئنيني؛ أي أخبار جديدة عندك؟

الحمد لله، أنا تحركت كما تريد، وذهبت لبيت شقيقك الأكبر، وجلست معه.. بالمناسبة، استقبال زوجته سيئ للغاية، حتى كوب الشاي لم تفكر في أن تقدمه لي.

رد عليها بلهجة متبرمة بعض الشيء؛ لأن هذه الأمور لا تهمه الآن: حسنًا، حسنًا.

التقطت هي لهجته المتبرمة، ثم استأنفت كلامها مجددًا، غير أنها انتقلت بعض قليل لموضوع آخر: أختك غاضبة من زوجها عند والدتك، فاتصل عليها بالله اجبر بخاطرها.

فأمرها الزوج بأن تستكمل كلامها فيما يهمه، وبنبرة أكثر تبرمًا من النبرة الفائتة.

تنتهي المكالمة وهي مشتعلة غضبًا من جحوده، فهي مصرة على أن إخلاصها له هو الذي يدفعها لأن تحكي له كل شيء، وتقول متحسرة: لماذا لا يحب أن يسمعني؟ لماذا؟

وهذا مثال آخر لمشكلة من مشكلات عدم الفهم، في مساحة التجاور، الرجل لا يفهم زوجته، هو لم يساعد والدته أبدًا في شغل البيت، ولم يجرب العيش أعزب وحده يعتمد على نفسه، وجاء حظه في الزواج من امرأة نظيفة جدًا ونشطة ولا تؤجل شيئًا من أعمال منزلها، لذا فهو ومنذ أن تزوج منها وهو يشعر بالنفور الصريح تجاهها طوال عملها في ترتيب البيت، يشعر أن تعبيرات وجهها تتغير وتفتقد الأنوثة، ويشعر أن هذه الحزمة من الأعمال التي تقوم بها وتقيِّد حركته وتقلل من السلاسة التي يتنقَّل بها بين نواحي البيت، تعبر عن نوع من الاستبداد وقلة التقدير، وتطفح تجاهه بنوع غريب من الندية والمجابهة.

ينتهي يوم الترتيب والتنظيف وهو يحاول أن يعاقبها على طريقة عملها في البيت، وأوامرها إليه بأن يرفع ساقيه وأن ينتقل إلى نقطة أخرى، يعاقبها بالتجاهل، وفي داخله سؤال احتجاجي: لماذا تعاملني

بقدر أقل من المودة والتقدير أثناء عملها المنزلي كما لو كانت تحارب من أجلنا؟ لماذا؟

وهذا السؤال الذي تسأله المرأة التي اغترب زوجها لنفسها بأسى، وكذلك السؤال الذي يسأله الرجل الذي أمرته امرأته برفع رجليه أعلى السرير كي تتم مسح الغرفة، نابعان من كون هؤلاء متجاورين في هاتين النقطتين، غير متفاهمين، فلا هذه قادرة على فهم ما يمكن أن يحب أن يسمع زوجها المغترب منها في كل مرة حتى ترتاح، وتظل هذه النقطة تتكرر فيما بينهما في أغلب الاتصالات، ولا هذا يقدِّر حجم الجهد الذي تبذله زوجته في التنظيف وسط كومة من الأعباء المنزلية التي تؤديها بأمانة تامة، فيظل نفوره منها يتجدد كلما نظفت البيت أثناء وجوده؛ ولو كان هناك حجر رشيد في حياة هؤلاء الزوجية، لفهمت تلك السيدة أن الرجل عمومًا -وزوجها هو واحد من الرجال- إذا ما كان هناك شيء يشغله، يفقد الاهتمام بمواضيع كثيرة ويراها تافهة، أو ليس هذا وقتها، ولفهم ذلك الرجل أن الزوجة تتعلَّق ببيتها تعلقًا شبيهًا بتعلقها بأبنائها، والمحافظة الدؤوبة على أن يكون جميلًا ومريحًا هو تحد من التحديات الأساسية في حياتها، وهذا يختلف بشكل واضح عن شعور كثير من الرجال.

إن محاولة فهم الشريك العادلة من خلال البحث عن حجر رشيد الحياة الزوجية، هي محاولة لتضييق مساحة التجاور، لصالح مساحتي التفهم والفهم، وهي محاولة تنجح غالبًا إذا اتفق عليها زوجان كريمان يوكل كل منهما مهمة الدفاع عن نفسه للآخر، ومحاولة الفهم هذه ليست اختبارًا يخوضه الإنسان مرة واحدة ويحصل فيه على شهادة مثل التويفل ثم ينعم بالمزايا، إنما هي طموح مستمر ومتجدد، والجائزة التي لا يبحث عنها الإنسان وهو يحاول فهم شريكه بشكل أفضل، ومع ذلك سيجدها، هو أنه سيزداد فهمًا لنفسه.

الرجل صياد والمرأة طاهية

الرجل صياد، تحديه الحقيقي أن يعود بما يكفي، أن يعود لأسرته بما يرضيهم ويوفر لهم الشعور بالأمن والشبع، وخوفه الحقيقي هو أن يعود خالي الوفاض، فهذا شيء مؤلم حقًا أن تعود وأنت لا تحمل إلا أعذارك وكلامك عن الحظ.

أن يعود الرجل بمفاجأة، أيْ بصيد كبير، هذا يشعره بالامتياز، والبراعة، والرضا، أما أن يعود بغير أي شيء فهذا يشعره بالفشل، والاهتزاز، والضآلة.

أن يقبض الرجل على شيء من البيئة المحيطة، التي فيها عوامل مضادة لا تسمح بأن يكون الصيد مجرد تسلية ظريفة، ذلك الاختطاف، أن يحمل أي شيء جيد إلى البيت، يستحوذ على تفكيره تمامًا، فالعودة بغزالة تكفي عدة أيام لإطعام الأسرة، لا تجعله ينشغل بأمور أخرى مرتبطة لاحقة، مثل الملح الذي سيوضع على هذا اللحم، هو فقط يعود إلى الكهف شاعرًا بالتعب والإنجاز، ويطفئ فتيل القلق في صدره قليلًا إلى أن يأتي وقت الخروج للصيد مرة أخرى.

أما المرأة فهي طاهية، مهما كانت الغزالة ضخمة، ومهما كان الصيد جيدًا ووفيرًا، فإنها تفكر في الملح، ولا تستهتر به أبدًا.

وبسبب اختلاف الطبيعتين، واختلاف الوظيفة، يحدث سوء الفهم المتبادل منذ عصر المعيشة في الكهوف، وإلى الآن، وإلى الأبد.

إنه يؤمن بأن الصراع والتربص والانتباه والقلق، والركض، والالتفات، والقنص، كل هذه الأجواء الساخنة، والمحاولات العديدة، وأشواك الطرق، والعثرات، كان ذروتها هو أن يعود حاملًا على كتفيه غزالة، أما هي فتؤمن بأن العودة بغزالة هو بداية العمل، وأن التفاصيل التالية لا تقل شرفًا عن جهد المطاردة.

ومظاهر هذا الخلاف في الرؤى لم تنته بنهاية عصر السكن في الكهوف، فهي موجودة في البيوت العصرية، ولا يكاد يخلو منها بيت.

مضى الرجل في الشارع شاردًا، فصدمته عربة فارهة، فنزل صاحبها الثري الذي يخاف على اسمه، ولا يحب أن يتكلم عنه أحد بسوء، وقدَّم للرجل مبلغًا يساوي دخله لمدة عام.

عاد الرجل مسرعًا إلى بيته بعرج خفيف، وقلبه يكاد يسبقه، فقد بات مهمومًا هو وزوجته بسبب بعض الاحتياجات التي يصعب توفيرها، وها هو ذا يعود إليها بمبلغ أجر عام كامل، يحمل خبرًا مبهجًا جدًّا.

بعد مرور دقائق قليلة لا غير من السعادة الخالصة، وبعد أن أعادوا إحصاء النقود، قالت له زوجته وهي مبتسمة: يبدو أنه رجل وجيه وصاحب نفوذ وعلاقات، ألم يكن من الأفضل أن تكلمه كي ينقل ابننا إلى مدرسة الأورمان؟

تغيَّر وجه الرجل، لأنه كالذي جاء وهو يحمل الغزالة، جاء بما يفرحه ويشعره بالإنجاز، جاء بالمفاجأة، ولم يكن يتوقع منها أن تعكر سعادتها بالتفكير في شيء أبعد مما اختطفه، لقد شعر بالإحباط لأنها من وجهة نظره أفسدت شعوره القوي بالفرح والتوفيق وحسن الطالع، أما هي فلم تكن تفكر في أن ما تقوله يفسد فرحه، إن ما قالته هو نتاج عمل طبيعتها فيها، فذهن المرأة يعمل ويفتش عن الفرص الأخرى حتى في حضور النجاح الساحق، يفكر فيما بعد ما تم الحصول عليه،

بينما يوجه ذهن الرجل له جرعات من مشاعر الرضا والسعادة بما تم، وهي جرعات ضرورية حتى يستطيع الاستمرار في المكابدة؛ وبعض الرجال الراشدين يتفهمون هذه الطبيعة الأنثوية، ولا يتكدرون من أحاديث النساء عما كان يمكن الحصول عليه، ولا يتكدرون من نظرهن في النقص بعين محدقة.

إذا ما اضطر رجل وامرأته للفرار مشيًا على الأقدام إلى بلدة نائية، وقد تقطَّعت أنفاسهما بعد أن قطعا مسافة، وبللهما العرق، فإنهما إن وقفا بعد شوط طويل ونظرا إلى بعضهما بعضًا بعد أن ألقيا نظرة إلى البلدة التي يهربون إليها بعد أن بان سوادها من بعيد، فسيأتي على ذهن الرجل غالبًا أن يقول لها: لقد قطعنا سبعة أميال، وسيأتي على ذهن المرأة غالبًا أن تقول له: لا يزال أمامنا ميل كامل! فإن كان زوجها راشدًا متعقلًا ما جاء في ذهنه أن زوجته قالت ذلك تثبيطًا له، واستخفافًا بالشوط الذي قطعاه، بل سيفهم أنها تتكلم بوحي صادق من طبيعتها الأنثوية.

الرجل بطبيعته كصياد ومختطف، يركز في الظفر طالما أنه ظفر، ويكون لديه نزعة لغض الطرف عن أي عيب حدث للفريسة أثناء المطاردة، فإذا ما عاد إلى بيته بالثلاجة الكبيرة التي وعد زوجته بشرائها، وبشَّرها عبر الجوال أنه دخل البناية وها هو ذا صاعد مع عمال الشحن بها، فإن كل الفرح الذي يعم المرأة قد يتحول إلى هم وغم إذا ما تقشر شيء بسيط جدًّا من جانب الثلاجة الثقيلة أثناء التحرك بها داخل الشقة، حتى لو كان من ناحية ظهرها الذي لن يراه أحد، وحتى لو عالج زوجها ذلك الصياد المختطف المستهتر بالعيوب المتوارية، الذي يوجه له ذهنه جرعات من مشاعر الرضا والسعادة بما تم، حتى لو عالج الأمر بالسائل الأبيض في القلم المزيل، ستظل تشعر بأنها حزينة

وغير محظوظة؛ فإن كان زوجها راشدًا متعقلًا ما جاء في ذهنه أن زوجته قابلت عطاءه بالتقليل، وضخَّمت أمر الاحتكاك لتنكِّد عليه، بل سيفهم أنها انفعلت هذا الانفعال المبالغ فيه بمقياسه كرجل، بتحريض من طبيعتها الأنثوية الغالبة.

وغير هذه الأمثلة المحزنة والمقلقة إلى حد ما، فإن هناك أمثلة مضحكة، كأن تعاتب المرأة زوجها بسبب تكسُّر بعض الخبز الفرنسي (الفينو) الذي اشتراه للعشاء، فهي مستاءة فعلًا من أن يدخل عليها بخبز منكسر، وهو لا يفهم الضرورة في أن يكون الرغيف سليمًا بغير انكسار بينما سيتم أكله بعد قليل.

بعد مرور أعوام من الحب والاحترام والفهم والتراحم بين الزوجين، تدرك المرأة بهدوء أن زوجها الذي لا يأخذ الأشياء بالشروط المثالية، ويشرب الماء على بعض القذى، هو يستجيب لشروط الحياة القاسية نوعًا ما خارج البيت، وكل ما فيه من تسامح مع الهدر والخسارة والتلف هو من صميم شروط بقائه كصياد.

بعد مرور أعوام من الحب والاحترام والفهم والتراحم بين الزوجين، يدرك الرجل بهدوء أن زوجته قد صنعت قيمة لجهده وعمَّرت بيته، وجعلت للهاثه الطويل معنى، وأبقت النضارة على أشياء لم يعد يذكر متى وكيف جلبها، بذلك الحب فيها الذي كان يتعجب منه لأشيائها.

كن جميلًا

عندما تكون شابًّا ملتزمًا صاحب سمعة طيبة، ولم يكن لك أي علاقة بالجنس الآخر أو مغامرات مما يقع فيها الشباب، وتفكّر في الارتباط وأنت تعرف أن الرؤية الشرعية من حقك، فتفرط في استخدام هذا الحق وتتصرَّف بغير تلطُّف، وتدخل البيت من وراء البيت، وأنت تترك خلفك ما ينغِّص على فتاة، فهذه سمراء وأنا أريدها بيضاء، وهذه نحيلة وأنا أريدها ملفوفة القوام، وهذه بوجهها حب الشباب؛ لا تفكِّر بأن هذا حق لا تستحي منه، وأنك ترغب في الاحتفاظ بعد صبرك بالشروط التي في المخيلة، بل فكِّر في حق بنات الناس في الاحتفاظ بعد لقائك بمعنوياتهن؛ لا تفكِّر بأن المهذبين غير مجبرين على قبول ما لا يستسيغون، بل فكِّر بأنهم يفرِّقون جيدًا بين حقوق من يدخل البيوت بحثًا عن عروس وبين من يدخل سوق السيارات بحثًا عن عربة مستعملة.

عندما تملي عليك زوجتك طلبات البيت وأنت تسجل خلفها في ورقة، وتعصر الزوجة رأسها وتضيف طلبًا آخر وتشرد قليلًا وتضيف غيره، لا تفكِّر في أنها تتمتع بالإملاء عليك، لا تفكر في أنها تتعمد الإكثار من الطلبات وتتلذذ بفرض إرادتها، بل فكر في أنها ستتعب في تجهيز الأطعمة لكم من هذه الطلبات أكثر كثيرًا من تعبك في شرائها، فكر في أنها فقط تتعمد تذكر كل ما يحتاجه البيت دون نسيان أي شيء، ولا علاقة للأمر بظنونك حول تكثير الطلبات، فكر بأنها تفرض خبرتها في أمر البيت لا إرادتها.

عندما يرتسم على وجه زوجتك ملامح الحياء، وتتودد إليك، لتذهب بهم لشراء ملابس شتوية جديدة لأطفالك، وتأخذ في الاعتذار لك بعد الشراء على تعطيلك وتشكر لك سعة صدرك؛ لا تفكِّر بأن هذه أجواء واجبة عليها؛ لأن النساء يخترعن الطلبات، بل فكِّر في أن هذه التزاماتك تجاه أولادك ويجب عليك ألّا تشعرها بثقل في أن تطلب منك تأدية التزاماتك تجاه أطفالك، فكِّر في آخر مرة استنتجت بمفردك حاجة ابنتك لحقيبة جديدة، وفي آخر مرة اكتشفت ضيق حذاء صبيك عليه؛ حتى تعرف قيمة دورها.

عندما تنبهك زوجتك مرة أخرى لضرورة إحضار فني لمعالجة الرشح في الحوائط الذي ظهر مؤخرًا نتيجة عن تسرب المياه بالمواسير؛ لا تفكِّر بأنها زنانة متعجلة، بل فكِّر في أن من طبعك إهمال هذه الأمور وتأجيل علاجها، لا تفكِّر في أنها تضغط دائمًا بشكل متواصل ولحوح ليتحقق ما تريد، بل فكِّر في أنها لا تحيا تحت هذه الحوائط وحدها؛ لا تفكِّر في أنها تقلب البيت بحثًا عن النواقص والمنغصات، بل فكِّر في أن علامات الرشح التي تظهر فوقك لا تحتاج إلى من يتتبعها بعدسة مكبرة.

عندما ترسل زوجتك للمرور لعمل الفحص الدوري للسيارة، ثم الخروج من هناك إلى شقتكم الجديدة للتتميم على أعمال الدهان ومحاسبة الأسطى بعد أن تقدم للصنايعية غداءهم وسجائرهم، وكنت قد أرسلتها لمأمورية الضرائب بالأمس لبحث سبل التصالح الضريبي؛ لا تفكِّر بأنك عندما تجعلها تنوب عنك في التعامل مع الرجال على أنواعهم تعزز قيمتها ودورها وتؤكد ثقتك فيها، بل فكِّر في أنك في سبيل تنعمك براحة البال والهروب من المسؤولية تهد قوامتك وصورتك كرجل يعتمَد عليه، لا تفكِّر بأنك تراها بمائة رجل، بل فكِّر بأهمية أن تظل تراك برجل واحد لا أكثر.

عندما تستضيف زوجتك بعض صديقاتها في البيت، وتطول بهن الجلسة، وعلى غير العادة، إلى وقت عودتك من العمل، لا تضغط عليها عبر الهاتف وأنت تقاطع صوتها الهامس المحرَج المستعطِف، حتى

تتصرف وتنهي الجلسة بأي طريقة قبل وصولك إلى البيت، لا تفكِّر بأن امتداد الجلسة إلى وقت رجوعك هو محاولة منها لإثبات سيطرتها عليك، بل فكِّر في أن امتدادها يعبِّر عن عدم سيطرتها على ضيفاتها وتحرجها منهن؛ لا تفكِّر في أن العلاقة بينكما صارت تحتاج إلى ضبط اتزانها، بل فكِّر في أن العلاقة بينكما تتقوى وتتزن بسعة صدرك وتفهُّمك للظروف الطارئة، لا تفكِّر فيما عليك أن تفعله لحفظ صورتك، بل فكِّر في أن الرجل تهتز صورته عند زوجته إذا هزَّ صورتها أمام الناس. قد تستطيع بشيء من الخشونة أن تثنيها عن ذلك للأبد، لكن لا تفكِّر بأن جمال السيادة في الإثناء، بل جمال السيادة في الاستثناء.

عندما تضع زوجتك الماهرة في الطبخ الطعام على المائدة، وتكتشف أن قلب السمك كان نيئًا ولم يأخذ حظه من النضج، وتعبر عن استيائك منها عن هذا الخطأ نادر الحدوث وبتغير وجهك وتقوم منفعلًا، بنفس الطريقة التي تعبر بها عن استيائك داخل مطعم قدم لك وجبة رديئة على غير المعهود، لا تفكر بأنك تعطي عندما تأخذ، وتبتسم وتكافئ عند الإتقان وحسن الرعاية، بل فكِّر في أن من مظاهر المودة والرحمة تخطي الإخفاق غير المتكرر، فكِّر في أن أروع وسائل تنبيه المرأة الحساسة لخطأ هي لاحظته هو أن تدعي عدم الملاحظة.

عندما تصطحب زوجتك إلى أهلك، وتجد نفسك وعلى خلاف ما عوَّدتها تخشنُّ في النداء عليها أمام أمك وأخواتك المتزوجات والآنسات طالبًا القهوة، كي توصِّل إليهن رسالة أنك مسيطر على الوضع في بيتك، ويحمر وجهها غضبًا وخجلًا وهي تنظر إلى عينيك وتنكرهما كأنها غير العينين، وتقدم إليك فنجانك، وتتوارى منتظرة نهاية هذا اللقاء العائلي الذي جاء خصمًا من كرامتها؛ لا تفكِّر بأنك تبرئ نفسك من تهمة الخضوع للزوجة التي تسخر بها أمك وأخواتك من أخيك الرخو، بل فكِّر في أنك تتهم نفسك أمام زوجتك بالمزاجية والمظهرة الفارغة؛ لا تفكِّر

بأنك بهذا ستحب زيارة الأهل كثيرًا بعد أن نجوت من استهزائهن الذي عزَّت بسببه خطوة أخيك لأهله، بل فكِّر في أن زوجتك ستكره الذهاب معك لهذا المكان الذي يتبدَّل فيه حالك ويذهب فيه ودُّك؛ فكِّر في أن كرامة زوجتك صارت بضعًا من كرامتك.

عندما تتشاجر مع زوجتك التي اخترتها من بيت بسيط، ويتملكك الغضب فتنفجر بقول ما لم تكن تتوقعه منك من أنها ارتدت من الحلي عندك ما لم تكن تحلم به في بيت أهلها، وأكلت من الطعام ما لم تكن ترى على مائدتهم، فيصيبها الشعور بالذهول والهزيمة، وتتوارى من أمامك خائفة قد انجرح شعورها بالأمان والكرامة؛ لا تفكِّر بأنك اضطررت لتذكير هذه التي نسيت، بل فكِّر بأنه من الرجولة أن ينسى الرجل فضله على أهله؛ لا تفكِّر بأن زواجها منك كان أعظم حدث في حياتها، إذ تنفق عليها في العام ما لم ينفقه عليها أبوها طيلة عمرها، بل فكر في قول رسول الله ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَدِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ**»، فلا تبطل هذه النفقة الأعظم بالمن والأذى.

عندما تكون زوجًا طيبًا حلو اللسان مع زوجتك، وتطمئن نفسك لكون هذا كافيًا لدوام حبها لك، متغافلًا عن رائحة فمك الذي لا تعتني بتنظيفه، لا تفكِّر بأن أهم شيء هو ما يبوح به الفم، بل فكِّر في أهمية ما يفوح منه أيضًا، لا تفكِّر بأن بينك وبينها وبين الناس جميعًا حسن خلقك، وأدب تعاملك، بل فكِّر في أن الرائحة الكريهة هي نوع صامت من الفظاظة وسوء العشرة.

عندما يكون شريك حياتك مريضًا في الفراش، يتقلب في آلامه المبرحة، وتمضي بك الحياة نشيط النفس على ذات الروتين، وأنت إلى حد كبير صلب ومتماسك، ويقول لك شريك حياتك بصوت واهن وعينين

نصف مفتوحتين إنه صدم فيك؛ لا تفكر بأنه من قلة عقله ودينه يطلب منك الجزع وعدم الرضا بقضاء الله، بل فكِّر في أن إبداء الاهتمام الكافي وحسن المواساة والإقبال بالوجه الحنون كلها ليست من المنهي عنه وليست من الجزع، فكِّر في أن كثيرين وأنت منهم، يخدعون أنفسهم بأن يخلطوا بين الصبر الجميل وتبلُّد المشاعر.

عندما تكون أعلى ثقافة من زوجتك، وأكثر اهتمامًا بالشأن العام منها، وتحضران جلسة فيظهر فيها أنها لا تستوعب شيئًا يذكر عن قضية مهمة تم التناقش فيها والاختلاف حولها، فتضحك من عدم استيعابها في أعماقك وتصغر في نفسك؛ لا تفكر بأن ما هي بينكما هوة واسعة لا تستطيع الآن أن تتغافل عنها، وأنك كنت تستحق أن تقترن بامرأة أحسن من هذه المحدودة، بل فكر في أن الإلمام بقضايا الساعة شيء محمود ولكنه ليس واجبًا من واجبات زوجة طيبة تؤدي ما عليها وتسهر على راحتك وراحة أولادك، فكر في أنك ترجع معها ومع طفلك من العيادة ناسيًا أغلب ما قيل، بينما تكون هي قد استوعبت كل ما أوصى به طبيب الأطفال وخرجت جادةً نظيفة القلب لا تشعر بأنها كثيرة عليك.

عندما تعاني زوجتك فجأة من آلام شديدة، وتهرول بها للمستشفى، وتطلب الطبيبة منها عمل عدة تحاليل عاجلة، ويصيبك وزوجتك الهلع، وتهرولان للمعمل، وتقضيان بعض الوقت في قلق شديد، ثم تأتي ولله الحمد التحاليل كلها بنتائج سلبية لا تحمل ما تخوَّفت منه الطبيبة، ربِّتْ على كتفها وهنِّئها بالسلامة، وابتلع الكلمة التي أوشكت أن تنطق بها: (إنتي بتتدلعي!)؛ لا تفكِّر بأن المال ذهب هباء، بل فكِّر في أنه قد انقشعت الاحتمالات المعتمة، فكِّر بأن هذه التي لا تنام عندما تمرض، سيعزُّ عليها أن تتحسَّر على نفقة أنفقتها للاطمئنان عليها، فكِّر بيدها التي أمسكت بيدك أثناء الهرولة في طرقات المستشفى، بحثًا عن الأمن، لا يصح أن تهرب في العودة من يدك الشحيحة.

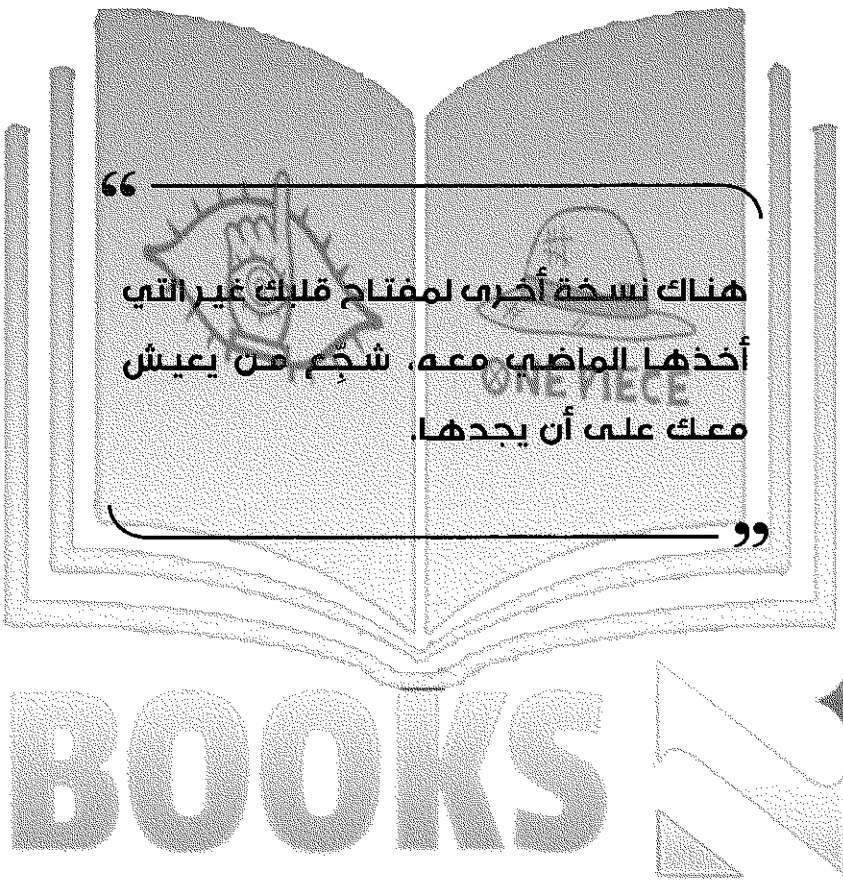
“
هناك نسخة أخرى لمفتاح قلبك غير التي
أخذها الماضي معه، شجِّع من يعيش
معك على أن يجدها.
”
ONE PIECE
BOOKS

طيف القديم

أنت متعلق بشخص أحببته جدًا، وعاش هذا الحب فترة طويلة، إلى أن تفرقتما رغمًا عنكما.

ورغم أن الموضوع انتهى فإن طيفه لا يزال يطاردك صباحًا ومساءً، ولا تزال تتوجع في ليالي الوحدة وتذرف الدمع.

وبعد أن غلب السقم على روحك، ولا تزال متعلقًا بهذا الماضي الذي حفر فيك، قررت وبمعاونة أهلك أو بضغط منهم أنك يجب أن تقبل الزواج من إنسان آخر.

ووقع الاختيار على شريك هادئ عاقل، لم تشعر تجاهه بأي شيء عندما ذكروه لك، إلا أنك قلت: لا بأس؛ قلتها شديدة الفتور، وتناولت الأمر كما يتناول السجين صحنًا من طعام السجن شديد التواضع قد مرروه لها من تحت الباب.

انتبه: كيمياء القصة التي عشتها وعجنت روحك ولم تشف منها، تعمل على تحويلك، أنت الآن تتحول إلى إنسان ظالم، لكنك غالبًا لن تحكم بذلك؛ لأن أغلب الناس يظنون أنهم جيدون وسيبقون جيدين.

أنت غير مهيأ على الإطلاق لاستقبال روح إنسان آخر بطريقة كريمة، بل ستصدمه بقلة الاحترام، وبأنك لا تعبأ به.

ربما في الأيام الأولى سيحدث نوع من الاندهاش والابتهاج الذي يغمر الإنسان مع بدء الحياة الزوجية بفعل الرغبات. وما إن ينته هذا الابتهاج

الأول، ستبدأ في معاملة الشخص الذي لا ذنب له على أنه لا يثير الشغف بالدرجة الكافية، وأنه فشل في أن يعالج جراحك، وأنه شبيه بالحياة الرتيبة، وأنه لا يستحق أن يكون هنا بجوارك، بل إنسان آخر يستحق ذلك.

لا تُقبل على الارتباط إلا وقد شعرت بدرجة واضحة من التعافي، هذا أولًا، وبنوع من الارتياح والتقدير والتعاطف والرغبة في الإكرام تجاه الشخص الذي فكرت في الزواج منه، هذا ثانيًا، وبعد أن آمنت أنه ليس على من كان نصيبك أن يفوز في مقارنة مع طيف القديم، بل عليه فقط أن يكون هو هو، بمزاياه التي فيه، وعيوبه التي ستتقبلها.

أما أن تجد نفسك بعد بهجة الزواج الأولى تتباعد من إنسان لم يسئ إليك، وتطرده من عالمك، وتهرب منه داخل البيت المنغلق عليكما، ولا تكلمه إلا باختصار دون أن تنظر في وجهه، وتجعله يشعر بالتهديد الدائم، فأنت ظالم، ولا يوجد اسم آخر لذلك.

لا يوجد أحد مسؤول عن أن تتعافى من قصة قديمة غير تلك النفس التي فيك، أنت تعالج نفسك، وإن فشلت في العلاج لا تكن بلاء على غيرك، بلاء على شخص قبلك بكل التفاؤل ثم فوجئ بوجهك الساخط المتبرم، حتى دمرت ثقته بنفسه.

الحنين الغامض

للنساء والرجال الذين خرجوا من علاقة فاشلة ولا يزال بهم شيء غامض من الحنين..

إذا انفصلت عن شريك حياة متعب وأناني ومستنزف، كنت تبذل الكثير والكثير من أجل إرضائه، وكنت تتغابى عن عيوبه التي لا يبذل هو حتى جهدًا كي يداريها لا كي يتخلص منها، وكنت تعطيه الفرصة خلف الفرصة وتؤلف له الأعذار التي هو نفسه لا يستسيغها، ثم انتهى كفاحك في العلاقة الشاقة المنهكة بالانفصال، وتشعر بأن هناك شيئًا غامضًا يعمل في وجدانك، كأنه أمل ما خرافي في العودة، يجعلك لا تعطي فرصة لإنسان آخر أكثر عطاءً وأكثر ودًّا، كي يستلم مفتاح قلبك، ويغسل جدرانه مما علق بها من سخام العِشرة السابقة المحزنة، فاعلم أن هذا الحنين الغامض هو تعلُّق يحدث بين بعض الناس وكل شيء بذلوا فيه جهدًا مبالغًا فيه كي يبقى، يحدث هذا بين بعض الناس وسياراتهم المهلهلة، ينفقون عليها وقتهم وجهدهم وأعصابهم وأموالهم، فوق ما تستحق تلك السيارات، كارهين كل نصيحة حتى من الفنيين بأن يتخلصوا منها، إلى أن ينتهي كل شيء في آخر الأمر، وتصبح المحاولة من جديد في ورشة من الورش شبيهة بالسفه، فيشترون الجديد النافع غير المرهق، وبين ضلوعهم شيء غامض من الأسف والألم، وهذا الحب المتعب الذي يشعرون به، ينبع من الجهد الطويل نفسه الذي بذله الإنسان، ومشاعر العناية والترقب، ولا ينبع من استحقاق هذا الشيء للعاطفة الجميلة،

كان هذا الشيء إنسانًا غبيًّا جافًّا أنانيًّا أو سيارة مهلهلة كثيرة الأعطال أو شقة قديمة جدًّا تأثرت سقوفها وأرضيتها وأنابيبها.

الجديرون بالحب لا يحتاجون إلى كل هذا الجهد، وكل هذا الغفران، وكل تلك الفرص المتتالية، كي يقولوا لنا إنهم يشعرون بالحظ كونهم فازوا بأشخاص متفانين وطيبين مثلنا، الجديرون بالحب مثل زهور الصحراء الرقيقة، تنبت ببعض المطر في البيئة القاحلة، ولو بين الصخور، الجديرون بالحب هم هؤلاء الذين يخفون دموعهم عنا حتى لا يتسببوا لنا في التعاسة، لا هؤلاء الذين يعطون ظهورهم لدموعنا ويستغرقون في النوم العميق.

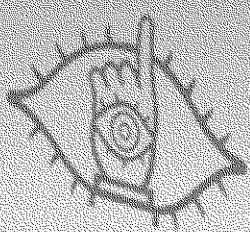

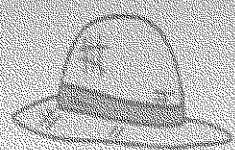

BOOKS

العطش المرير

لماذا يتعثر الشاب بشابة، أو الشابة بشاب، فلا يستطيع تجاوز هذا الشخص أبدًا؟

يظهر آخرون، أنيقون، عاقلون، متفهمون، ناضجون، لكن يظل هذا الذي كان مثل الشبح العظيم الذي لا يمكن الهروب من همسه، وأطياف ابتسامته، ودفء همهمته، وذلك الشجن الذي يشع من نبرته، ويظل كل شيء مرتبط بذكراه رائعًا ثريًا، حتى الأرقة التي شهدت خطواته إلى محطة الحافلات.

هذا الشبح الذي يعوقكم لم يكن عبقريًا، كان شخصًا عاديًا تمامًا، مثل كل الناس، ولكن الوقت الذي ظهر فيه في تلك المرحلة من فجر حياتكم، هو العبقري.

لم يكن فلاحًا همامًا، بل كانت الأرض في كامل تأهبها وخصوبتها.

لم يكن مصباحًا باهر الضوء، بل كانت زجاجة أرواحكم شفافة مثل كوكبٍ من الدر.

لم يكن صفحة لا يمكن أن تُطوى، بل كانت أناملكم الرقيقة لا تقدر على ذلك.

لم يكن نهرًا عذبًا خافيًا في جلال الأودية، بل لم يكن فيه من النهر إلا عطشكم المرير.

"من الثروات المهدرة في هذا العالم هؤلاء الذين يرضون بالقليل، والذين يمتنون بأقل جميل، والذين يتذكرون جيدًا كل لفتة طيبة، والذين إذا دخلوا حياة أحد زادوها ترتيبًا، وأعطوا أكثر كثيرًا مما أخذوا، والذين لا يطلبون فقط أكثر من مراعاة مشاعرهم، والذين يقبلون عذر من يحبون بأجمل مما يعذرون أنفسهم."

أعلى من هذا

الذين لديهم قدر عال من الثقة بالنفس، وهذا ينطبق في الحقيقة على فئات من الجنسين، الذين يرون أنهم مرغوبون على العموم ويشعرون بالتميز والجاذبية. يمكن أن أذكّر الواحد منهم بالآتي، ولنفترض أنه شاب: وأنت تفكر في البحث عن عروس، هناك فكرة تكون مسيطرة على أغلب من يشعرون مثلك أنهم مميزون من الشباب والشابات، فكرة المستوى، (الليفل)، ومن أجل هذا بالإمكان أن يحكموا على إنسان مناسب أو فتاة محترمة جدًا وطيبة بالرفض، تحت تأثير فكرة الليفل، أي أن تسمع من داخلك صوتًا يقول (يمكن لي الحصول على أعلى من هذا)، سواء كنت تقصد أعلى من هذا من ناحية الجمال، أو المستوى الاجتماعي؛ هذا في النهاية حقك بغير شك، لكن وجب التنبيه على أن الزواج قائم على أمور أخرى لا غنى عنها أبدًا، غير فكرة أن أحظى بإنسانة تملأ العين بدرجة مبهرة أمام الناس وتشرّف في حضورهم، فكرة الثنائي الساطع في الكوشة، وهي أني أحتاج في النهاية بعد أن أخلع بذلة الفرح أن أجد في الشريك أفضل إنسان يتحمل عيوبي وهفواتي، أجد فيه الإنسان الذي يمكن أن يدافع عني بالمخالب إذا لزم الأمر.

نحن لسنا فنانين تحت الأضواء، ولا تحت أرجلنا سجادة حمراء، ولا حياتنا تعني الآخرين للدرجة التي نتوقعها، ولا سيظهر عنا خبر في مجلات الثرثرة. فلو وجدت من ينتمي لك بشدة، ويفضِّل العيش معك على الخبز وحده عن الموائد العامرة مع غيرك، وهو معقول من نواح

كثيرة وإن لم يكن صارخ الظهور، لو وجدت هذا ففكِّر جيدًا قبل أن تعطيه ظهرك، لأنه قد يأتي من بعده من يثير بالغ إعجابك، وتشعر أنه انتصارك، والهدف البارع الذي سجَّلته، ثم تعيش من بعد دهشة البدايات وهو حمل على ظهرك.

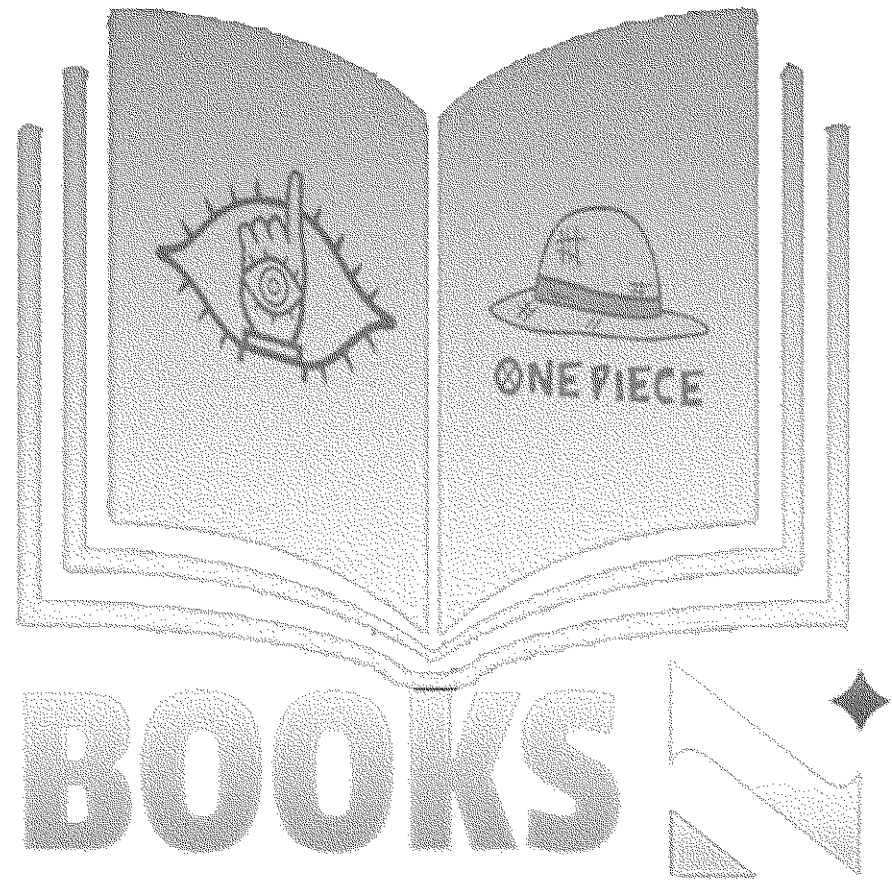

خذ كنزك لا كنز غيرك

من السهل جدًا أن تذهب إلى السوبر ماركت، وتختار عصير الطماطم الذي لك فضول كي تجربه، ثم تأخذ منه قليلًا وتكتشف أنه لم يعجبك على الإطلاق، فلا تكمل شربه، لكن حتى على مستوى المشروبات، وهي رخيصة الثمن، لا يحب الإنسان أن يحدث معه هذا كثيرًا: فكرة أن تأخذ ما لا يرضيك وما لا يناسب ذوقك، وقد كان يناسب غيرك، الأمر لا يصل لتأنيب الضمير بالطبع، ولكن قطاعًا معقولًا من الناس لا يحبون التوسع في تجربة أشياء هم غير متأكدين بدرجة كافية أنها ستمثل لهم تجربة سعيدة.

من الطبيعي بعد هذه المقدمة البسيطة، أن يذهب خيالنا إلى البشر، ونقول: إلا هذا، إن الإنسان يجب أن يكون في مأمن من الاختيارات غير الموفقة، فهذا عبث بالتأكيد؛ لأنه لا يصح أن يختارني أحد ثم يتأفف مني ويتغير ناحيتي، وأرى في عينيه وهو راقد على الوسادة أنه نادم، ويود الهروب من هذا الواقع الذي جلبني هو بنفسه إليه، ما أصعب هذا على الذين رضوا ولاتوا وتعشَّموا خيرًا.

من مآسي حماقات الزواج أن يختار الإنسان وعلى مهل من هو قد يكون كنزًا لغيره وليس له، لينقر منه بقية العمر، ويتعسه كل التعاسة بلا أي جريرة، فيكون قد اختطف عمر هذا المسكين، وقضى على معنوياته، وقد كان يمكن لهذا الشريك أن يكون عند آخر يحمد الله عليه كل يوم، وهذا يحدث بالمناسبة مع الجنسين.

على سبيل المثال لا الحصر، أن تكون الفتاة على درجة عالية جدًّا من الجمال، أي هي بمقاييس وسطها، وبين أقرانها، يشار لها بالبنان عندما تأتي سيرة الجميلات، ولونها خمري مثلًا، وهذا بالطبع لا ينقص من الحكم على مظهرها شيئًا. ومن المعلوم أن هناك قطاعات من البشر، رجالًا ونساءً، وبسبب ثقافتهم، لا يكادون يتخيلون وجود امرأة جميلة غير بيضاء، أما أن تكون جميلة جدًّا وغير بيضاء فهذه عندهم خرافة؛ بل أحيانًا ما يحكمون على شابة بأنها جميلة احتكامًا إلى بياض لونها لا غير.

أن يقفز رجل من هذه الثقافة إلى بيت فيه تلك الآنسة التي وصفتها، تلك الآنسة شديدة الجاذبية خمرية اللون، ويتزوجها، إعجابًا بخصالها الحميدة، وأناقتها، وتحضُّرها، ويحز في نفسه قليلًا بسبب حضور المزايا الأخرى أنها خمرية، وهي عنده هو ومن معه متوسطة الجمال، ولا يشك في ذلك! ثم تنفجر فيه بعد الزواج الميول الراسخة من ميل للمرأة البيضاء، وتنصرف نفسه عن هذه التي معه، وهو ينعى حظه الذي لم يوقعه مع بيضاء، نقول إن هذا اختطفها، وحرمها فرصة أن تتزوج من رجل آخر كان سيسعد بها جدًّا، وهذا ظلم لا شك فيه.

قبل الزواج، على كل من اختار إنسانًا، وتنازل عن بعض الأشياء التي كانت عنده ضرورية قبل أن يراه، سواء كانت تافهة تلك الأشياء أو شديدة الأهمية، عليه أن يتأكد أنها لن تستيقظ فيه مرة أخرى؛ لأن الأمر ليس لعبة، وشريك الحياة ليس علبة من عصير الطماطم يمكن أن تلقي بها، إنك تتعامل مع إنسان، يحب أن يشعر بالتقدير، ويحب أن يشعر بالثقة، وأن يشعر بأن الشريك ينظر له بعين الرضا والإعزاز.

إنك أن تجاهلت هذا تكون قد اختطفت إنسانًا من احتمالات السعادة التي كانت تحيطه، لتتعسه وتتعس نفسك به، وهذه جريمة وإن بدت غير ذلك.

ابحث عن أم أطفالك

هناك شباب يظن الواحد منهم أن أمه وشقيقاته هن مسطرة يقاس عليها زوجة المستقبل من ناحية الخير والشر، وصلاحية الطباع للسكن النفسي إليها، وهذا يصلح أن يكون صحيحًا في بعض الأحوال، ولكنه مخالف للحقيقة أيضًا في أحوال أخرى.

فقد تنفر الأم والشقيقات من شابة هادئة رصينة ويتفقن على اتهامها بأن فيها شيئًا من العجرفة والتعالي وثقل الدم، وربما يرجع سبب هذا إلى أنها لم تحب أن يخضن معها في سيرة الناس وأخبار الجيران، وصرفتهن عن هذا. والكثير الكثير من الأمثلة، كأن تُتَّهم عروس بأنها عديمة الأنوثة؛ لأنها لا تجيد الرقص بين النساء، بينما الأم لا تكاد تعترف بشابة لا تعرف الرقص.

ابحث في عروسك عن أم أطفالك، حسب ما ترجو في عيش وتربية أطفالك، ثم ابحث فيها أيضًا من بعد ذلك عن امرأة تحترم أهلك وتودهم، وتتفهَّم اختلافهم بشيء واسع من الرضا والسماح، من دون أن يعني هذا أن تجبرها على تقليدهم فيما لا تحب ولا تجيد.

سفينة معطوبة

لا أحب لك أن تتزوج من شابة يمسك الأب والأم والأخ الأكبر والخالة وزوجة العم، واحدًا وراء الآخر ذقنها ثم يدير خدها إليه كي يقنعها بك وبكياستك وأدبك وسير أمورك العملية على نحو جيد، بينما هي لا تشعر بأي راحة نفسية تجاهك ولا تحب النظر إليك؛ فالرجل الذي لا تحبه زوجته، وتشعر أن أنفاسها غير منطلقة وهي بجواره، يعيش عمره مثل سفينة معطوبة يرفض الميناء الذي اختارته أن يستقبلها، ويظل صوت صفارتها كأنه عويل ونداء استغاثة لا ينقطع، ويظل عالقًا منتظرًا بين اليأس والأمل، فلا هو بعيد تمامًا ولا هو ملتصق، وهذا هو العذاب الذي لا يوجد له أي داع.

على رصيف الأيام

بالنسبة للشباب الذين يغلب عليهم الاستقامة أو الجدية، ويتقدم الواحد منهم لفتاة تم ترشيحها له، ثم يجد عندها فتورًا أو ترددًا، وتقلبًا بين الرفض والقبول الباهت الذي يفتقد للحماسة، ويشعر بشكل صارخ في صعود تمسكه بها، ويستمر في إنتاج رسالة واحدة بعدة أنماط، أنه متمسك، وأنه شار، وأنه صابر.

لا بد أن تعرف أن هذا ليس حبًا ولو كان فيه الكثير من أعراض الحب، فأنت لا تعرف شيئًا تقريبًا عنها، كل ما في الأمر أن لديك حاجة إلى حياة عاطفية، في حاجة إلى الحب، وهذا الطريق الذي تسير فيه حاملًا عوزك العاطفي هو طريق عناء.

كل ما في أمرك أنك كمن يحمل بين يديه كتلة ملابسه الضخمة، ويمضي بها بين الناس على رصيف الأيام، وهو لا يرى موطئ قدميه، وهو في حاجة ماسة إلى خزانة ملابس، كي يتخلص من الثقل، وعندما قربوا منه واحدة، جعلها هي التي يريد، ولا شيء غيرها، لأنه يريد، والآن، أن يضع حمولته؛ وسيصبر على مفتاحها الذي يبدو مستعصيًا، ليس لأنه متفهم، بل لأنه متلهف. والحياة الطيبة المتوازنة، نادرًا ما تبدأ بمثل هذه القصة.

من يمكن أن نسعدهم بسهولة

إذا تقدمت لأسرة يعجبك شكلهم ووضعهم، فكلموك عما يريدون لبنتهم وما هم مؤمنون بأنه يناسبهم؛ هناك مسألتان مهمتان، فالأمر ليس فقط في عدد جرامات الذهب، ولا النادي الذي قالوا إنهم يفضلونه لعمل الحفلة، ولا في عدد المقاعد المطلوبة وعدد المدعوين، المسألتان هما: ظروفك، ونمط تفكيرهم.

هل تتناسب ظروفك مع أحلامهم فعلًا؟

هل يبدو لك نمط تفكيرهم قريبًا منك؟

إن الذي يمكن أن يجعل شابًا يتردد ويعيد التفكير ليس العدد الذي عينوه من الجرامات، إن الذي قد يدعو للتردد هو أن يشعر الشاب بأن نمط التفكير مختلف عن نمط تفكيره تمامًا، أي يشعر أنهم من عالم آخر.

فإن قالوا لك إنه من المستحيل أن ترتدي شبكة أقل من أختها التي كان ثمن شبكتها كذا، ويبدو عليها أنها ترضى بهذا الحكم وتراه معقولًا جدًّا، وأنت تعرف جيدًا أن هذا الطلب يرهقك جدًّا، وسيجعلك مضغوطًا لفترة طويلة، وفي ذات الوقت أنت من داخلك غير مؤمن بهذه الدوافع الشكلية، ولا يأتي ضمن أولوياتك المظهر الاجتماعي الذي يجب الظهور به أمام الناس، فلا بد أن تعرف أن ما يعرضونه عليك هو نمط تفكير قبل أي شيء آخر، هم يقولون نحن نفكر بهذه الطريقة، ونهتم

جدًّا بالشكل الاجتماعي، ونسعد بأي شيء يضعنا في موضع الوجاهة والبروز، ولا نخجل من كون الأسرة مظهرية،ـ فهل ستدخل معنا في هذا الجو بتفاصيله أم أنك خارج هذا الأمر؟

فكِّر كثيرًا قبل أن تمضي في هذا الطريق إن اجتمع عليك أن الظروف غير مناسبة وأنك لا تفكر على هذا النحو، فهم يريدون فارسًا في المضمار الذي يحبونه، مضمار المستوى المادي والاجتماعي، وهم أحرار في مذهبهم فيما يعشقون، فكِّر كثيرًا لأنك لو كافحت كفاحًا مريرًا من أجل الشبكة التي تناسبهم، فلن ترتاح إلا قليلًا، فهذا أول الأمر وليس آخره، وهناك عشرات المناسبات القادمة التي ستبدو فيها كرجل ليس على مستوى السباق، لو لم تستطع مثلًا أن تشتري سيارة لابنك الشاب في المستقبل، أو عجزت عن أن تدخله جامعة خاصة، ولن يغفر لك أنك تعمل وتهرول حتى في سن المشيب بكل طاقتك وتضع في البيت كل ما في جيبك، بينما يمكن لإنسانة أخرى ألا تعاتبك أبدًا على مثل هذه الأمور، ولو حتى في أضغاث أحلامها.

نحن لا نملك أن نحاكم الآخرين الذين فوجئوا بدخولنا على خطهم على نمط تفكيرهم، أو نضرب كفًّا بكف تعبيرًا عن صدمتنا فيهم؛ لأنه من الأفضل من البداية أن نبحث عمن يمكن أن نسعدهم بسهولة، لا أن نبحث عمن تتحطّم أعصابنا من أجل إسعادهم، نبحث عمن يتوافقون معنا، ويرحبون بنا بشكل واضح.

في حالة الأسرة التي لديها فكرة مسيطرة، فكرة تسيطر عليها وعلى العروس، من الصعب، وليس من المستحيل، إسعاد هذه العروس وأنت لست الفارس في المضمار، بينما لو كنت فارسًا ستكون سعادتها سهلة، وهذا ما يجب أن تبحث عنه، تبحث عمن تسعده بسهولة، وليس بأن تتعذب كي تمنحه الشعور بالسعادة.

الشابة المتدينة تبحث عن طالب علم شرعي نابه، فإن جاءها لن يجهد في إسعادها جهد غيره، لكن إن وجدته بعد الزواج يكسل عن صلاة الفجر في جماعة، ويؤجل ورده من القرآن، سيغمر قلبها الحزن، وسيحتاج هو إلى بذل جهد مضاعف كي يكافح هذا الحزن.

الشابة المتفوقة ترغب في عريس أكاديمي، فإن جاءها لن يجهد في إسعادها جهد غيره، لكن إن وجدته عاجزًا عن الحصول على الدكتوراه وتمتد به السنون وهو متوقف دراسيًّا، سيغمر قلبها الحزن، وسيحتاج إلى جهد مضاعف كي يكافح هذا الحزن.

التي لديها فكرة مسيطرة بشأن أسلوب الحياة، وطريق تتوجه إليها نفسها بالحب والشغف، سيكلفك الفوز بها الكثير من الجهد كي تكافح حزنها إن كنت أجنبيًا بدرجة واضحة عن حلمها المسيطر؛ فمن القواعد المؤلمة للحياة أن الحنان لا يعوض كل شيء.

ONE PIECE
BOOKS

التمسك الخادع

من التراجيديات الإنسانية التي لم أسمع أحدًا يتكلم عنها في العلاقات الإنسانية ومسائل الخطوبة والزواج: التمسُّك الخادع، يذهب رجل غير معروف للأسرة، وغالبًا من وسط آخر وثقافة أسرية أخرى، وأجواء مختلفة بقدر ما، ويتقدم للفتاة، ويظهر عليه تمسك واضح، أي لديه درجة عالية من العزم في الأمر، لدرجة أنه يحاول أكثر من مرة أن يقنع الأسرة دون أن تنخفض معنوياته، ويبدو مرنًا بقدر ظاهر، ومستجيبًا للمطالب، وخافضًا للجناح لوالدها، حتى إنه يبدو في العموم بعد مدة فارسًا ناضجًا عاقلًا كريمًا.

وبناءً على هذا الدخول القوي على خشبة مسرح الأسرة، لا تشك الفتاة في أنه رجل قوي العاطفة، قادر على التعبير عن مشاعره، ومحب من طراز فريد سيعطيها من حنانه كل الذي تمنت وانتظرت.

والحقيقة التي قد تظهر بعد ذلك أنه ليس هكذا أبدًا، فهو ينتمي حسب الأجواء التي خرج منها لفئة من البشر لا يمتلكون من العاطفة إلا قليلًا، لكنهم يمتلكون العزيمة، وذلك التمسك بالأشياء التي يظنون أنها تنفعهم، ويمتلكون في هذا صبرًا مقدسًا، ليس من تحته إلا حب النفس وحب منفعتها.

ليس كل المتمسكين كذلك، ولكن في المتمسكين من في باطنهم حرص وشح مقيم، يدفعانهم لعدم خسارة الأشياء التي رأوها بالعقل

نافعة، وهذا نفس تمسكهم إن سمعوا بقطعة أرض يتوقع الناس صلاحيتها وارتفاع سعرها مستقبلًا، يمكن للواحد فيهم أن يعرض شراءها عدة مرات، بكل تودد وسعة صدر، ذلك لأنهم إذا ما زرع في رؤوسهم أحد ما فائدة شيء، رفضت نفوسهم أن يحظى به غيرهم، وصبروا حتى يظفروا به، وليس بعد ذلك إلا الهدوء والسيطرة، كان الشيء أرضًا، أو كان شابة ناضرة؛ لأن عاطفتهم قليلة، وقدرتهم على رعاية ما امتلكوا أقل كثيرًا من قدرتهم على بذل الجهد للحصول عليه.

مثلما يمكن أن نقول للأسر ضعوا هذا في حسبانكم قبل اتخاذ قرار مصيري بشأن عريس فاجأكم بتمسكه بكم وهو من بيئة أخرى وثقافة أخرى، يمكن أيضًا أن نقول هذا لبعض العرسان الذين يعرفون جيدًا أن إرادتهم على هذا الشكل ومن تحتها القليل جدًا من العاطفة، قبل أن يُتعسوا من فهموهم على نحو متفائل ويُتعسوا أنفسهم.

ONE PIECE
BOOKS

الغضب الأسود

يحدث بين العريس وأهل عروسه بعض الحزازات في فترة الخطوبة وفترة العقد، مثل الاختلاف مع الأب على أمور القائمة، أو على بعض الأثاث، أو أي شيء من هذا القبيل، حيث يحدث بعض الجدل والتعنت، إلى أن تتحرك الأمور بتوافق الطرفين ولو على بعض الضيق والهموم.

ويترك هذا مرارة عند نوع من الرجال الذين لا يغفرون شيئًا أبدًا، وينتظر الواحد عروسه حتى تدخل بيته، وهو ممتص لما يشعر به من غيظ تجاه الأسرة التي اختار ابنتها، وفور أن يفتح لها الباب وتدخل وهي مستبشرة مطمئنة، حتى يعبر عن كراهية واضحة بغير أي مواراة تجاه أهلها، ثم يبدأ من بعد ذلك في استقبالهم عنده ببرود وعنجهية، ويبدأ في فرض شروطه على زوجته لوصل أهلها، مثل الوقت الذي تزورهم فيه، والوقت الذي تستغرقه الزيارة، وألّا يصعد معها إلا قليلًا جدًّا.

تأديب الأهل على ما فات ليس من شيم الكرام ولا شيم الناضجين ولا من يتسمون بالعقل، إنما الكريم ينظر إلى أن ذهابها معه إلى بيته قد غيَّر دنياها للأبد، وأنه بالحنان والتفهم والتودد يكون أقرب إليها من أبيها الذي هو في النهاية يفكر بطريقته في حماية بنته التي رباها. إنما

الكريم ينظر إلى عاطفة زوجته تجاهه، فإن وجدها تحبه، حرَّر أهلها من سجن الكراهية الذي يسجنهم فيه في خواطره السوداء.

من عرف عن نفسه أنه من أهل الغضب الأسود الذي يعلق بالقلب كما يعلق الهباب بالحوائط، فيمكنه الانسحاب من البيت الذي يكره أهله، بدلًا من التخزين والتحمل وانتظار أن تثقل كفته.

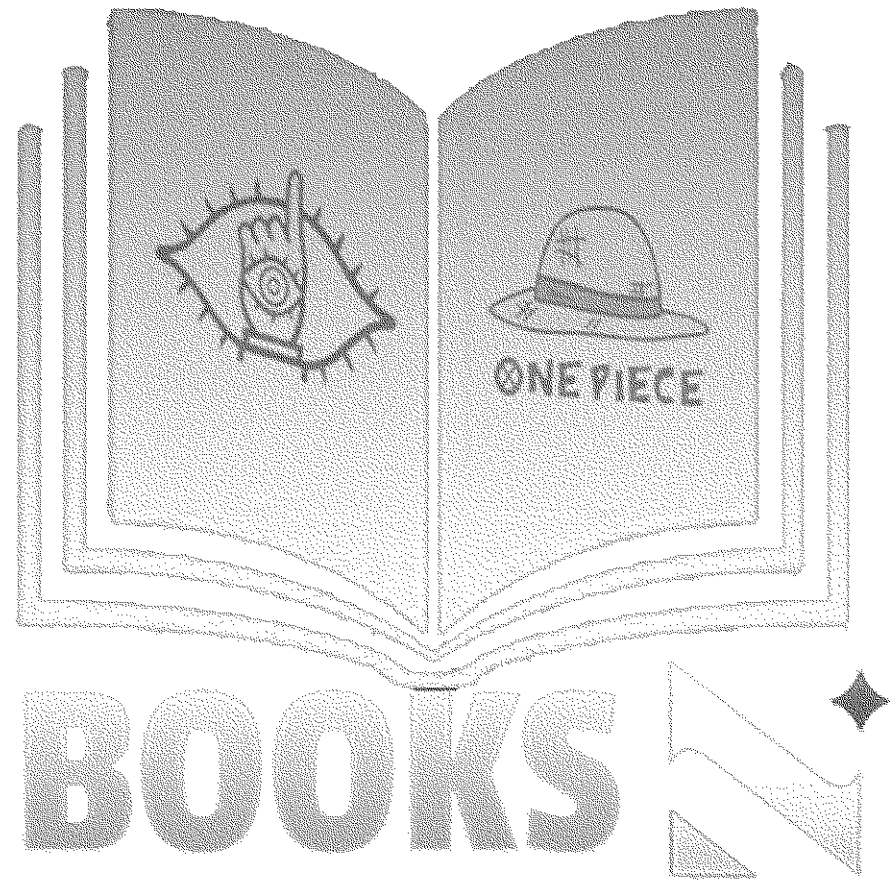

دماء العمر

يتكرر كثيرًا أن يتمسك أحد الأطراف وهو شاب/ شابة في العشرينيات من العمر بالاستمرار مع خطيبة/ خطيب ظهر له بوضوح سوء طباعه، واندفاعه، وعنفه، وميله للإهانة، وعدم التفهم وقبول الأعذار، وفي أحيان أخرى قلة عطائه وأنانيته، وفي بعض الأحيان طمعه واستغلاله ومكره وكذبه ولا مبالاته.

يحدث هذا التمسك بإلحاح العاطفة المتفجرة مع بدء العلاقة، وجو حسن الظن الذي يحيط بالإنسان قليل الخبرة، وبسبب التفاؤل الذي يكون عليه في مقتبل شبابه من إيمانه بأن الأمور تتغير، والحجر يلين، وأن المسألة مسألة بعض الصبر.

وبعد أن تنتهي سنوات اليفاعة والنضارة والإشراق التي يحب فيها الإنسان أن يعطي ويعطف ويحتوي ويصبر، ويدخل في الثلاثينيات، يكتشف حجم التدمير الذي حصل لحياته بعد أن استولى على عمره شريك صعب غضوب شرس، أو أناني، أو جاحد، أو طماع مبتلع يلملم كل شيء؛ عندما يدخل في الثلاثينيات ونحوها يبدأ يفكر وهو وسط ركام ذاته في أنه يريد أن (يعيش).

لذا، فعلى الذين تظهر لهم مؤشرات جلية من الصعب إنكارها والتهرب منها، وهم لا يزالون على البر، عليهم أن يفروا، بكل ما فيهم من حب للحياة والنجاة، يفروا اليوم وليس غدًا، ليس بعد أن يتغذى مثل

هذا الشريك على دماء العمر مثل أخبث الديدان، يفروا اليوم على ساقين قويتين دون أن ينظروا إلى الوراء، قبل أن تثقل خطواتهم بفعل العمر والعشرة التي قد لا تهون، يفروا اليوم ولا يتركوا هؤلاء يبنون أنفسهم من أنقاض المساكين وهم لا يبالون بحجم الخراب الذي تسببوا فيه.

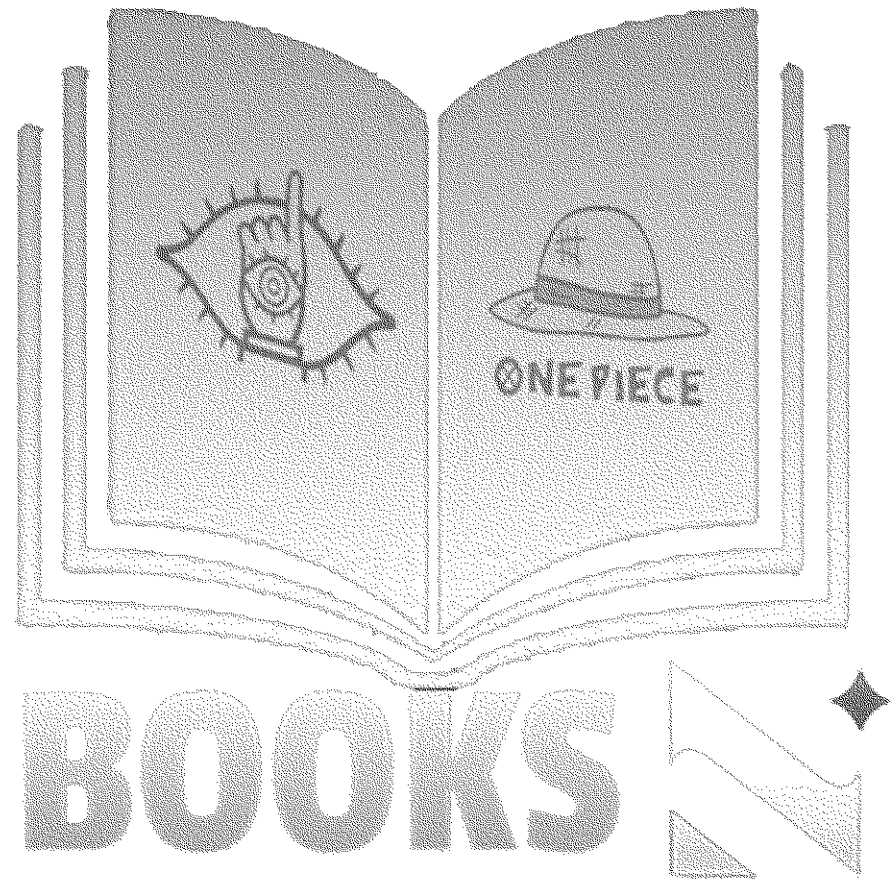

صهد التجربة

عندما تحدث مشكلة كبيرة بينك وبين خطيبتك التي تعلّقت بها، وتتخذا قرارًا متسرعًا بفسخ الخطبة، لا تندفع وتدخل بيتًا آخر ولا يزال صهد التجربة يغشاك، وحبك لها موجودًا كما هو خلف ضباب غضبك، ولا تزال هداياها في درجك تطاردك كلما فتحته.

لا يحق لك أن تتقدم لشابة كي تؤدب الأولى وتثبت عفتك وإباءك وسيطرتك على مشاعرك؛ لأنه من الوارد أن تشعر هذه الإنسانة التي تحبها وتحبك بالندم، وهي تعرف مفاتيحك جيدًا، وربما بسهولة تستطيع أن تبدد ضباب غضبك، وتحرّك حنينك، ربما فقط برابط أغنية عاطفية. وقتها ستشعر بالندم، وستشعر بالغربة عن بنت الناس التي رضيت بك، وستشعر بالورطة كما لو كانت هي التي جاءت إليك وفرضت نفسها عليك، بنت الناس التي قبلتك، وعاهدت نفسها ألّا تجعلك تشقى، وألّا تعاندك، وألّا تحمِّلك ما لا تطيق، وألّا تستنزفك بأي وجه، وتضطر أنت أن تتحول إلى إنسان قبيح السريرة، غير ناضج، وتتبع معها ومع أهلها أساليب وحيلًا خبيثة كي تنهي الموضوع بسرعة وتعود إلى خطيبتك الأولى حتى لو كان الثمن هو كسر قلب شابة لا ذنب لها.

قتل الطفلة

(عرض عليَّ أهلي عرائس كثيرات، وفيهن كثيرات هن أجمل منك، وبعضهن جميلات جدًا ولافتات، ويجب أن تفهمي جيدًا أنني اخترتك فقط بسبب أنك مؤدبة).

هكذا يعرض بعض العرسان الأمر على إنسانة خطبها رسميًا؛ كي تدخل إلى عش الزوجية كسيرة، وهذا أسميه قتل الطفلة التي داخل زوجة المستقبل، الطفلة التي تشعر بأنها جديرة بالحفاوة والتدليل والإكرام.

الخطوبة التي يبتدرها الخاطب باغتيال طفلة الثقة والتفاؤل التي في العروس تنذر بحياة زوجية جافة ومجهدة.

الطعنة المهينة

أن يتقدم إنسان للزواج من إنسانة مختارًا إياها دون غيرها هو من المفترض فيه أنه نوع على الأقل من التعبير عن التقدير الإنساني لها والإكرام، لذلك لا هو من الطبيعي ولا هو من المنطقي أن يذهب إنسان ذو مؤهل عال وهو يرتدي ملابس حضرية، ويقدِّم نفسه لأهل شابة تأخّر زواجها، ومعرفًا نفسه بالشهادة العصرية والوظيفة المدنية العلمية، أي من المفترض فيه أنه على قدر من التمدن والثقافة والإنسانية والذوق، ويعلنها صراحة عند الكلام عن الاتفاق، وكطلقات الرصاص في وجهها، أنه لا يتوقع أن يكون لها أي طلبات على الإطلاق، ويتوقع أنها سترضى بما تسامح نفسه في تقديمه، ويقول هذا بنبرة لا تخلو من استغناء التجار في السوق وهم يشيرون بزهدٍ إلى السلع التي يقبلونها على مضض، ملمحًا لسنوات عمرها.

يجب أن يستحي الإنسان من أن يدخل بيتًا من البيوت المحترمة معبرًا بشكل ضمني عن أنه جاء بحثًا عن شيء (رخيص) على شكل أنثى.

يجب أن يستحي الإنسان أن يبدأ قصته مع إنسانة يرغب في أن يتزوجها، ويكمل حياته معها، ويتوقع أن تحمل همه، وتربي طفله، وتبكيه إذا مات، بهذه الطعنة المهينة.

أحب أن أستمع إليكِ

إذا أردت أن تتزوج من فتاة، فتأكد من شيء ربما لم تفكر فيه كثيرًا، وربما لم تفكر فيه على الإطلاق، وهو شعورك بأنك تحب أن تستمع إلى هذه إن تحدثت إليك، ليس بالدرجة التي يقتضيها الذوق، بل بالدرجة التي تدل على أنسك بها، أي ستنشرح بالحديث معها، وتبتهج نفسك، ولا تشبع من أن تنتظرك لتتحدث إليك.

هذا الأمر في غاية الأهمية للزوجة، وهي إن لم تجده شعرت بأنها وقعت في فخ لن تفلت منه. رغبة المرأة في الكلام مع زوجها، ولو في أمور هينة، هو نوع من التفريغ الضروري عندها، حيث تتحول المشقات والأحمال التي تتعبها إلى هذا الحديث، إن ما فيها يخرج على شكل الكلام في أمور هينة بالنسبة لك، لكنه تفريغ في غاية الضرورة، وكبت هذا الحديث اليومي البسيط، يصيب ذاتها بما يصيب المياه المختزنة الساكنة، فتتحول من متحركة وقابلة لاحتضان الحياة فيها، إلى راكدة موبوءة.

صحبة امرأة

الاستعداد لأن تستقبل إنسانة في حياتك بالزواج، ولا أقصد به بالطبع تأثيث شقة، ولا شراء ملابس العروسين، إنما أتكلم عن الترحيب الوجداني الكافي بها، لا يكفي فيه التمحور حول الشوق إلى الرغبة الحلال، وإن كان ذلك الشوق ضروريًا أيضًا، لكن لا بد أن يكون هناك أمنية للأنس بامرأة وحب الاستماع إليها، وحب التحدث إليها، وقوة في القلب للتعاطف معها والتحيز إليها وحمايتها، واستضافتها بكل ما فيها تحت خيمة (الأنا) التي عشت وأنت تسدل أجنابها عليك وحدك.

الظمأ للعلاقة الجسدية يعطي انطلاقة قوية غالبة، ولكنه لو كان وحده هو كل ما فيك، ربما تكتشف من بعد الارتواء الذي عالج حدة ظمئك أنك عاجز عن صحبة امرأة بكل ما تعني الكلمة.

الأهلية للزواج

الأمر لا يقف عند شهادة أطباء الأمراض التناسلية بخلو الأصلاب والأرحام من العيوب المانعة، الأمر أبعد من ذلك.

الإنسان الذي لا يستطيع أن يستقل نفسيًا عن الأسرة التي نشأ فيها، ويجعل أسرته الجديدة مبتلعة بكل تفاصيلها في جوف الأسرة الأولى، هو غير مؤهل للزواج، أن تكون حياة الزوجين كأنها في عرض مكشوف للأهل، سواء كان الذي لا يستطيع الاستقلال زوجًا أو زوجة، أن يكتشف أحد الأطراف أن هناك تفاصيل مهمة وجمعيات وخططًا مستقبلية تتم من ورائه مع الأهل، هذا من الطبيعي أنه يجعله يفقد الشعور بالأمان والثقة، وتنفجر فيه عدوانية وغيظ وصدمة، وتهتز صورة الشريك عنده اهتزازًا شديدًا.

أن تبني أسرة جديدة، يعني تفاؤلك، وثقتك بالشريك، وغياب المسافة بينكما، ويعني أنه يستحق المشورة والبوح، أن تبني أسرة جديدة يعني أن هناك بابًا للبيت، أنتم تفتحونه من الداخل وقتما تشاؤون، لكن أن يشعر شريك حياتك نفسيًا أن مقبض الباب يمكن أن يدار من الخارج ويدخل الآخرون في أي وقت، وأن غرفة النوم نفسها يمكن أن يرقد عليها الأهل وقتما يريدون، مع ممارسة أساليب الإغاظة المعهودة، فهذا يعني أنك غير مؤهل للزواج.

عشك الوجداني الضيق

أنت أعزب وتنوي الزواج وتحب أن تسمع نصيحة؟

إذا كنت حريصًا على أن يكون التغيير في أسلوب حياتك بأقل قدر ممكن، كأنه لم يحدث أي تغيير تقريبًا.

إذا كنت تبحث عن امرأة هي نسمة لطيفة يكفيها منك القليل عندما ترغب فيها.

إذا كنت تكره الجلوس في البيت تمامًا، وفي ذلك الوقت لا تصدق أنك يمكن أن تحب مرافقة امرأة في الأماكن، وتكاد تشفق على نفسك عندما تتخيل أنك ملتزم أدبيًا ووجدانيًا بالاستماع لزوجة تنتظرك.

إذا كنت تنظر إلى وقت هواياتك كوقت مقدس، مثل مشاهدة المباريات الكروية، أو لعب البابجي، أو الجلوس على المقهى للعب الطاولة، وتريد امرأة تغزل الصوف في هدوء خريفي وهي تتابع شغفك بعين أم ولا تبالي ولا تطلب منك من الاهتمام إلا الذي تجود به عندما يغمرك الحنان إليها أو يحركك الشوق.

إذا كنت هذا بدرجة كبيرة، فأنصحك بأن تؤجل التفكير في الزواج، حتى يكون في (عشك الوجداني) متسع لزوجة، العش الذي في وجدانك الآن ليس فيه متسع لرفيقة حياة.

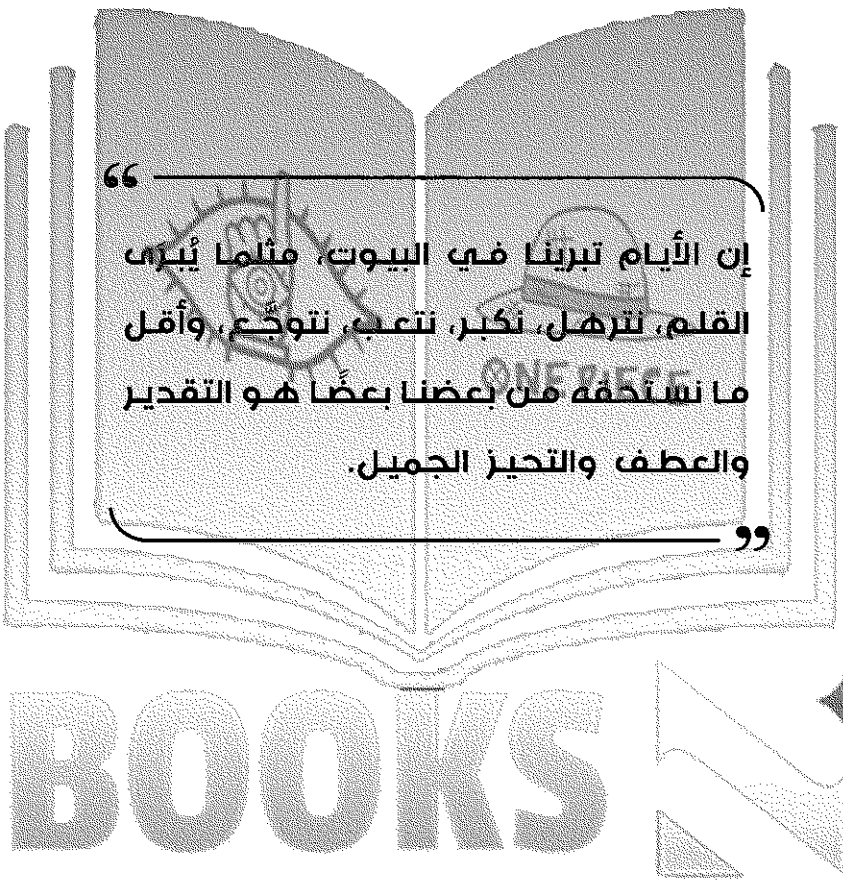
إن الأيام تبرينا في البيوت، مثلما يُبرَى القلم، نترهل، نكبر، نتعب، نتوجَّع، وأقل ما نستحقه من بعضنا بعضًا هو التقدير والعطف والتحيز الجميل.
BOOKS

الفضل

جزء من التقدير المتبادل بين الزوجين يكون تقديرًا عن التعب في الأعمال، وما يقابله الشريك فيها مما يكره. وعدم تصور الزوج لمتغصات عمل الزوجة المنزلي، واعتقاده أن كل أعمال البيت لطيفة عندها، يؤدي لضعف الشعور بالفضل.

كما يحب الرجل بعض الأمور في شغله ويمارسها وهو رائق، ويكره بعضها ويمارسها وهو مضطر، قد تكون الزوجة غير محبة لبعض العمل المنزلي مثل كي الملابس أو غسل الأطباق.

عمومًا، علينا أن نشعر بفضل الشريك الذي يتحمل أشياء يكرهها من أجل رفاهية الأسرة، هذا معنى يجب مذاكرته، لأنه يساعدنا على التماس العذر، والتماس العذر هو واحد من خير المصلحين بين الأزواج.

السرور بالأشياء

ما يجب أن يأخذه الأزواج الشبان في حسبانهم، الذين استعدوا للتعبير عن إعجابهم بشريك الحياة، هو الاستعداد للتعبير عن إعجابهم واهتمامهم بما يوفره ويشتريه الطرف الثاني، هذا لا يقل أحيانًا من ناحية الدعم العاطفي عن تعبير الزوج عن حبه لزوجته والعكس.

المشكلة التي يقع فيها الكثيرون، وخاصة الرجال، هو أنهم لا يبدون درجة مناسبة من الاهتمام بمشتريات الطرف الثاني، فمثلًا إذا اشترت الزوجة ملابس لها وللأطفال، لا يحب الكثير من الأزواج، حتى العاطفيون منهم، تفحص هذه المشتريات والحكم عليها قطعة قطعة، ويحكمون على المشتريات، ككل، وخلال دقيقة.

ضع في حسبانك ألّا تنشغل عن النظر في مشتريات زوجتك، وعش معها ومع الأطفال حالة السرور هذه، وتذكر أن هذا الأمر ليس متعبًا، وهو كذلك لا يتكرر كل يوم، فاستغله في مشاركة أفراد أسرتك مشاعرهم الطيبة، وتأكد أن هذا يترك لدى زوجتك أثر الغزل.

ملامح التعب

من الجيد أن يقوم كل من الزوجين كل فترة بالنظر إلى شريك حياته أثناء نومه بعين الرضا، متذكرًا حمله للهموم من أجل العائلة وتعبه في راحتها واستقرارها والمهام التي أخلص فيها قبل أن يستسلم للنوم. علينا أن نذكّر أنفسنا بتعب شريك الحياة ولا ننتظر أن يقوم هو بذلك؛ فالبيت الطيب هو بيت تقدير وعرفان.

الوصفات التي تشرح للمرأة كيف تبدو جميلة في عيني زوجها كثيرة جدًا، وآخذة في الزيادة، وكذلك هناك وصايا تعلّم الرجال كيف يمكن أن يكونوا على أحسن وجه، وهناك عالم واسع يخص العطور وماركات الملابس والمستحضرات والأصباغ والوصفات وقصّات الشعر، وكلها أمور نافعة حقًا، ولكن كل هذا لن ينفع إلى فترة طويلة إن كان وحده، وإن كان هو كل ما ندقّق فيه، كل هذا لن ينفع إلى فترة طويلة إذا لم يكن من ضمن ما يثير أجمل المشاعر بعد الزواج بين زوجين هو ملامح التعب، نعم، ملامح التعب، أن يشعر الرجل بالعطف والتقدير والإكبار والحنان تجاه زوجته وهو يرى عليها ملامح التعب في تربية الأبناء، وكيف تتخطّف الملابس المتسخة من عليهم كي تغسلها حتى وهي تغالب النوم، وكذلك أن تشعر المرأة بالعطف والتقدير والإكبار والحنان تجاه زوجها الذي فتح الباب مرهقًا بعد أن واجه الحياة من أجل أن يعود بما يكفي الأسرة. إذا لم تجمِّل ملامح التعب الشريك في عينيك فماذا يجمِّله؟!

الحائط والتفاصيل

لا يميل الإنسان بطبيعته إلى التدقيق في الأشياء الهائلة المستقرة، لذا يمضي سكان المناطق العتيقة تحت الجدران الأثرية الضخمة وحوائط الحصون التي يرونها كل يوم دون أن تثير فيهم شيئًا، يمكن لهم أن يجلسوا على الكراسي في الشارع ويعطون ظهورهم لها ملتفتين للرائحة والغادية والتكاتك وأي شيء ينادي عليه الباعة؛ وهذه هي إحدى المعضلات المهمة في الزواج، فحياة الكدح التي يعيشها الزوج الطبيعي من أجل الزوجة والأبناء هي شبيهة بهذا الجدار المهيب الذي تبدو الزوجة أحيانًا كأنها تنكره من شدة ما هو راسخ وعريض ومستقر ويغطي الخلفية كلها، وحياة الكدح التي تعيشها الزوجة الطبيعية من أجل الزوج والأبناء هي أيضًا شبيهة بهذا الجدار المهيب الذي يبدو الزوج أحيانًا كأنه ينكره من شدة ما هو راسخ وعريض ومستقر ويغطي الخلفية كلها. وما يمكن أن يتبادله زوجان طيبان عاقلان كل منهما يعتبر نفسه طبيبًا للآخر، هو تقدير الجهد الذي يبذله الشريك والتأمل فيه، والنظر إلى عمره الذي أفناه معه من أجل البيت ومن أجل الأبناء، ومن ناحية أخرى يضخ في حياة الآخر قدرًا من الحيوية والمرح والحركة التي يبتغيها الإنسان عندما يسحب الكرسي معطيًا ظهره للحائط العظيم باحثًا عن حياة نابضة منعشة متجددة.

كل منهما يجب أن يكون للآخر حائط الحصن العظيم، وكذلك التفاصيل الإنسانية المبهجة.

ما تفعل الأيام

كبشرٍ فتحوا بيوتًا يعيشون فيها تحت سقف واحد مع تشريك الحياة، أزواجًا كنا أو زوجات، يجب علينا أن نستوعب جيدًا أننا لا نتقاسم الأغطية والألحفة فقط مع هذا الإنسان الذي يرقد بالجوار، والذي هو مثلنا بين نَفَس داخل ونَفَس خارج، والذي يفتح عينيه في الصباح وينظر للسقف ويذكر مواجهته مع العيش المتجددة.

إن ما يجب أن ينمو بيننا هو هذا التعاطف القوي مع إنسان نشاهد عن قرب شديد ماذا تفعل الأيام والشدائد فيه، إنسان نقدِّر له كفاحه، واستبساله، وأحماله. ولا يمكن تخيل الحياة الزوجية إلا بتقدير الرجل لتعب زوجته في تربية العيال، ولا بتقدير الزوجة لعودة زوجها مهدودًا من العمل، لا يمكن تخيل الحياة الزوجية إلا ونحن من أجل (شعرة واحدة بيضاء ظهرت في رأس الآخر في حياته معي) نتحمَّل الكثير، ونربِّت، ونبتسم ونحيي الكفاح.

إن الأيام تبرينا في البيوت، مثلما يُبرَى القلم، نترهل، نكبر، نتعب، نتوجَّع، وأقل ما نستحقه من بعضنا بعضًا هو التقدير والعطف والتحيز الجميل.

تراحموا

وكونوا لبعضكم بعضًا أقرب من المناديل التي تمسحون دموعكم فيها.

البيت جزء من كيانها

ما يغفل عنه فئة من الرجال الحريصين على أن يكونوا أخيارًا مع زوجاتهم هو أن البيت جزء من كيان المرأة، وليس ظرف مكان تعيش فيه والسلام، وهي تحسب الإهمال والتأجيل في علاج الأعطال به من سوء معاملة الزوج لها هي شخصيًا. لذا فالرجل الذي يحب أن يكون معتنيًا بزوجته عليه أن يستوعب أن جفاءه تجاه البيت، وشعوره شبه الحيادي معه، وبرودة يده وعزيمته فيه، تشعر معها الزوجة كأنه جفاء تجاهها هي ولو لم يقصد الزوج ذلك على الإطلاق، وبالعكس فإن عنايته بالبيت وحرصه على جماله وهيئته جزء لا يتجزأ من عنايته بها وإحسانه إليها، بل من مغازلته لها.

حب الراحة

ما الذي يجعل شابًّا دمثًا ومحبوبًا من أبيه وأمه وإخوته يبدو زوجًا متعبًا من بعد ذلك على غير المتوقع؟

السبب الرئيس في هذا الأمر الذي يجب أن ينتبه إليه الرجل الذي يحب أن يكون خيرًا لأهله هو: جعل الراحة أعظم هدف راحته كزوج.

هذه الفكرة، فكرة الحرص على الراحة، ترد إلى أذهان الرجال، بعد أيام قليلة من دخول عش الزوجية في غمار العاطفة الأولى المبثوثة.

على النقيض من ذلك، وفي غمار العاطفة الأولى المبثوثة، ترد إلى أذهان النساء فكرة الحفاظ على هذه الأسرة الجديدة كأعظم هدف من أهداف الحياة، ويكون هذا الهدف مرتبطًا ارتباطًا شديدًا في بصيرتها المتوقدة بالعشرات من التفاصيل الصغيرة منها تغيير اللمبة المحترقة، وجلدة الحنفية المسربة، وحمل كيس النفايات أولًا بأول.

اللمبة المحترقة، وجلدة الحنفية التالفة، وكيس النفايات الممتلئ ذو الرائحة النتنة، أشياء شنيعة في عين الرجل كان يجب ألّا تحدث، ولأنها شنيعة فهو لا يحب أن يتعامل معها.

الأمر بالنسبة للزوجة غير ذلك، هذه أشياء عادية، وتحدث، وستحدث إلى الأبد، ويجب التعامل معها بسرعة وسهولة.

جعل الراحة أعظم ما يطلبه الإنسان في أي بيئة، بيئة العمل أو غيرها- يورث اللؤم؛ وذلك لأن الدنيا نفسها مؤسسة على ألّا يكون طلب

الراحة أسمى الغايات في أي علاقة أو نشاط أو رابطة. والرغبة في عدم تقديم أي شيء للأسرة، والتعبير عن الشعور بالاستفزاز والتهكم من كل طلب حتى لو المرور في الطريق من أجل شراء الخبز، حتى تصير كل الطلبات الحياتية المشروعة والبسيطة ثقيلة على لسان الزوجة، كل هذا يزيد الهوة بين الزوجة وزوجها ويملؤها شعورًا بالاحتجاج.

إذا أراد الرجل أن يكون زوجًا تشهد له زوجته بالصلاح والخيرية فلا بد أن يزيح فكرة الراحة كزوج من المرتبة الأولى التي تحتلها بالباطل، وهذه الإزاحة لا تعني أنه سيذوق المر، الأمر أهون من ذلك لمن لم تعد الراحة أكبر همه، فهو في النهاية سيعمل ما بوسعه عمله، دون أن يبدو عليه الضجر.

ومن الإنساني أن أقول إن هناك عذرًا لا يمكن الاستهانة به في حالة الرجال الذي يشقون شقاءً مريرًا في السعي في طلب الرزق، لدرجة أنهم يذهبون ليأكلوا وينامون، والغالب على الزوجة الصالحة أنها تقدر ذلك، وتخفف عنه قدر جهدها.

الزوجة الرائعة

الزوجة الرائعة هي التي تخيط جورب زوجها فور أن ينقطع.

الزوجة الرائعة هي التي تلقي بجورب زوجها خارج البيت فور أن ينقطع.

تكون الأولى رائعة عندما يراها الزوج مهتمة وحنونًا، وتكون الثانية رائعة عندما يراها الزوج معتزة به لدرجة أنها لا تقبل عليه أن يرتدي جوربًا تم إصلاحه.

مع رجال آخرين يمكن اتهام الزوجة الأولى بأنها لا تحسن الغسل فأضرت بالجورب، ويمكن اتهام الثانية بأنها خرقاء مبددة.

الرضا بين الزوجين ليس مبنيًا على أفعال الطرف الآخر فقط كما يظن الكثيرون، بل يُبنى بالأساس على استقبالنا لأفعال الشريك، وقدرة نفوسنا على الشكر.

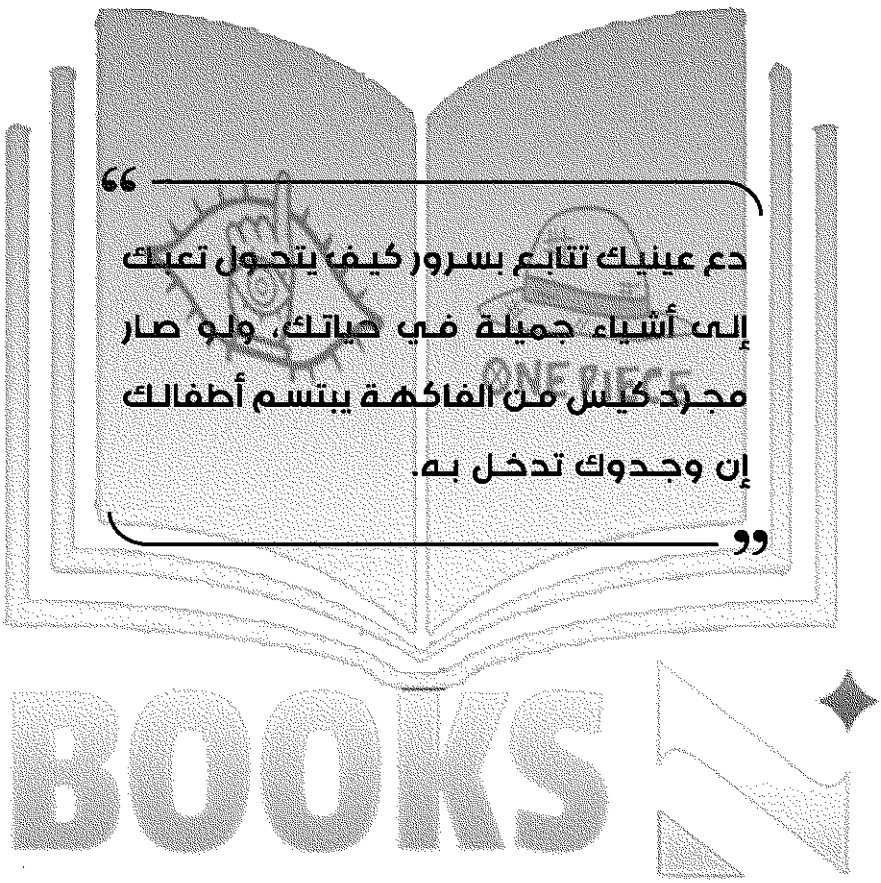
“
دع عينيك تتابع بسرور كيف يتحول تعبك
إلى أشياء جميلة في حياتك، ولو صار
مجرد كيس من الفاكهة يبتسم أطفالك
إن وجدوك تدخل به.
”

الرجل وطلبات الأبناء

الرجال ثلاثة أنواع بخصوص طلبات الأبناء: رجل يعرف بنفسه طلبات أطفاله وما هم بحاجة إليه من ملابس إن حل الشتاء مثلًا، ومن أحذية إن ضاقت عليهم أحذيتهم، وحاجتهم للتنزه بعد أسبوع دراسي شاق، وهذا نوع قليل متفرد يصعب على كثير من الرجال اكتساب تركيبته، وغالبًا ما يكون الرجل هكذا بعمل الفطرة فيه والمناخ الذي تربى داخله.

ورجل يعرف هذه الحاجات من زوجته الملتصقة بأبنائها، ويتفهم هذه الاحتياجات، وينسق معها بشأن عمل ما تسمح الظروف بعمله، بأفضل طريقة ممكنة، وأقرب وقت ممكن، ولا تتسبب هذه النوعية من التقارير الحياتية بتعكير الجو بينه وبين زوجته، ويظل يعتمد عليها في تعريفه بما يحتاجون، فلا هي تنكر عليه أنه لا يعرف بمفرده، وهو لا ينكر عليها أنها تواظب على الكلام معه بهذه الشؤون التي لا غنى عنها لحياة الصغار.

والنوع الثالث الصعب، هو الرجل الذي يعتبر الطلبات بالجملة مكرًا نسويًا ملاصقًا لهن، حتى وإن كانت لحياة الصغار وفرحتهم، ولحماية ثقتهم بنفسهم أمام أقرانهم، لذا يجب أن تخجل المرأة من نفسها وتتلعثم وتتردد قبل قولها، ويحق له أن يبدي انزعاجًا وضيقًا وبغضًا لهذه الطلبات، ينتهي هذا الضيق بأن يقبل أو يرفض، أو يؤجل، بوجه

خال من أي ترحيب، ثم إن ذهبوا لشراء هذه الأشياء، وجب عليها طوال الطريق في العودة أن تعتذر إليه وأن تطيب خاطره.

هذه الوعورة في رفع طلبات الأبناء وطلبات البيت للزوج، التي تصل في بعض الأحيان إلى درجة عالية جدًّا تقتل أي نسمة من الكرم في أجواء الحياة الزوجية، هي إحدى مشقات الحياة الزوجية، التي تتراكم في نفس الزوجة موسمًا بعد موسم، وتصيبها بالإنهاك بغير مبرر، وتصنع المسافة بين الرجل وامرأته، وبين الرجل وعياله، الذين يتأكدون من تعبيراته الساخطة، والسحنة العابسة، أنه لا يقيم وزنًا لفرحهم بالأشياء الجديدة.

والرجل العاقل الذي يبتغي الإحسان إلى أطفاله وأهل بيته، والذي يؤمن بأن من واجبه عليهم أن يعيشوا بغير إحساس بالنقص والحرمان وقلة التقدير، وأن يعيشوا غير مشوهين نفسيًّا، يكرم زوجته بأن يعفيها من تلك المشقة في طلب الطلبات المعقولة، التي تشبه طلبات الأسر في وسطهم، ويقيم العهد بينه وبين الزوجة إن كانت لا تحمله ما لا يطيق، ألا تنكر عليه أنه لا يعرف بمفرده، ولا ينكر عليها أنها تواظب على الكلام معه بهذه الشؤون التي لا غنى عنها لحياة الصغار.

هناك نوع آخر آخذ في الازدياد للأسف، ولم أعطه رقمًا أو ترتيبًا، وهم هؤلاء الذين يحمِّلون النساء نفقة العيال، فتعمل المرأة وتشتري، دون أن تصدع رأسه، ودون أن يبدي أي اهتمام.

رجل الدقة القديمة

رجل الدقة القديمة قد يكون زوجًا طيبًا وحنونًا ولكن قد يعيبه أن عقله ليس به تحديث لأسعار الأشياء، كما أنه يسمي سلعًا وخدمات كثيرة باعتبارها مما لا داعي له، ومن ضمنها حتى تناول الأسرة لوجبة في مطعم؛ وتعيش الزوجة في جهاد لإقناعه بأن الأجهزة الحديثة في يد الطفل لم تعد من التدليل الزائد، وأن الميكروويف لم يعد من وسائل المظهرة الفارغة.

بشكل عام، تكون المرأة أكثر تنبهًا للمتغيرات الحياتية، وأكثر رغبة في حفظ شكل الأسرة ورفعها عن مستوى المعيشة غير اللائق بها. وبشكل عام، يكون الرجل أكثر تشبثًا بمفهوم الضرورة.

وعلى الرجل الذي يشعر بأنه بدرجة ما، دقة قديمة، أن يتحرك للإحصاء، للملاحظة، وينظر في حال الأسر المناظرة، ويذهب مع زوجته للأسواق، بدلًا من التشبث بنظرته لها كإنسانة مقلدة للآخرين سحبتها الميول الاستهلاكية الهوجاء.

لأنك الذي يستطيع أن يحول الرغبة إلى حقيقة ملموسة

إنه لا يحب منها أن تقترح أي شيء له كلفة، وأحيانًا أيضًا لا يحب منها أن تقترح أي شيء له جهد، ينظر فورًا لكل شيء مكلف أو مجهد تعرضه على أنه شكل من أشكال الاستفزاز الذي جبلت عليه. فور أن تقترح، وربما قبل أن تكمل اقتراحها، يتغير وجهه ويشعر كما لو كان يريد أن يترك المكان، وحتى لو لاحظت ضيقه وقالت إنها تعبر عن رغبة ليس أكثر، يظل مصمتًا لأنها اقترحت: إنه يعتبر أن أسوأ أحاديث النساء هي ما يقع تحت عنوان الاقتراحات. وقد جعله كرهه لهذه النوعية من المقترحات، يتوجس عندما تفتح حديثًا معه، ظنًّا منه أنها لا بد أن تكلمه عن عبء ورد إلى ذهنها، لذا صار هذا القلق الذي ينتبه إليها به عندما تتكلم حاجزًا قويًّا بينهما.

إنه صاحب مؤسسة متوسطة، وقد قال له صباح اليوم موظف من الموظفين عنده: يا ليتنا نشتري سيارة توزيع صغيرة أخرى، وقد تقبَّل الاقتراح بكل تفاصيله ومبرراته التي شرحها الموظف بصدر رحب، وقال إنه سيفكر في الأمر، ومضى الموظف من أمامه وهو لا يشعر مطلقًا بأنه يجب أن يكون أكثر تحفظًا في تقديم المقترحات.

وعندما عاد إلى بيته، وأثناء تناول الغداء، نادته زوجته باسمه وقالت إنها تريد أن تقول له على شيء ما، فتوجَّس كما هو معتاد، فقالت إنها

تفكر أنه قد حان وقت تغيير الموكيت، فقد بدأت رائحته في التغير، فتكدَّر، وتغير وجهه رغم أنه حاول ألّا يحدث ذلك.

هي لاحظت ما حاول أن يخفيه، فأكملت كلامها بأن هذا مجرد اقتراح، يمكن تنفيذه في أي وقت مناسب، وظلا كما كانا دائمين متجاورين، وأنزل الهم ستارته بينهما، وكل منهما يشعر أنه غير قادر على المرور إلى شريكه، وكل منهما يشعر أنه كان بإمكان الآخر ألا يتعبه.

مشكلة هذا الرجل وغيره أنه يعتبر حديث الموظف إليه هو حديث طموح، يستحق أن يستمع إليه بصدر رحب، أما حديث الزوجة فيعتبره نوعًا من البحث عن الإنفاق، أو نوعًا من التأنيب، أو تعبيرًا عن ذات لا تكف عن النقد والبحث عن النقص، ذات قليلة الرضا.

حديث الزوجة في هذه الأمور هو حديث طموح، حديث ذات ترغب في أن يكون بيتها في أحسن حال، حديث ذات لا تريد أن تشعر بالحياء من الأهل والضيوف إن جاؤوا، ولا بد ألّا ينظر الرجل لهذه النوعية من الحوارات على أنها تقع في مساحة الالتزام، فهذه هي المشكلة، بل هي في مساحة العناية والحب والنماء؛ ولا بد أن ينظر إلى ما تشير إليه الزوجة بهذا الشأن سواء اتفق معها أم لم يتفق، على أنه رؤية شريك يبصِّره بالأمور التي لا يعطيها بطبيعته حجمها.

يؤمن هذا الرجل بكل رضًا عن النفس بأنه لا أحد آخر كان يمكن للموظف المجتهد أن يذهب إليه بهذا الاقتراح، لأنه صاحب المؤسسة، وهو الذي يمكن ببساطة أن يحول فكرة الرجل إلى حقيقة، وعليه أن يؤمن بأن تلك السيدة التي في بيته، زوجته وشريكة حياته، ليس لديها أحد آخر غيره تذهب إليه بما تريده أن يتحول إلى حقيقة.

لا يجد الناس غضاضة في البوح بأن تربية قطة أليفة قد غيرتهم، وبدَّلت عاداتهم، وعدَّلت مواعيدهم، وعملوا حساب ودادها وخصامها وما تحب وما تكره، يقولون ذلك بغير أي حساسية، بل يقولونه بكل الحب والإعلان، لكن بعضًا منهم يأنفون من أن يروا أن شريك الحياة يستحق ذلك.

من لم يغير وجودها في حياته شيئًا

سواء كنت معتادًا على لعب الدومينو مع الأصدقاء بالمقهى بمعدل ساعتين يوميًا، ثم تزوجت وظللت كما أنت زبونًا يوميًا أصيلًا لا ينظر في ساعته ولا يعتذر وينصرف مبكرًا، والأمر كما هو، أو كنت تكرس معظم وقتك للدعوة والتنقل من أجلها، ثم تزوجت وظل جدول أعمالك الدعوية على نفس المستوى ولم يؤثر فيك دخول زوجة في حياتك، فاعلم أن هذا لا يدل على صلابة الشخصية، ولا على الرصانة، فليس من علامات قوة الشخصية أن يظل نمط الحياة الذي كنت تعيشه كأعزب كما هو، بل هذا من علامات الإهمال والجمود وضعف الشعور بالمستجدات المهمة.

إن نبل المقصد نفسه، ذلك الذي عند رجل الدعوة المخلص، لا يبرر ظلم الزوجة بطول البعد، والانشغال، وانصراف الوجه. والمرأة قد تعذر رجلًا يغيب عنها بالأشهر بسبب السفر في عمل، وهي تعلم أن هذا على عينه، لكنها لن تعذر من يراها وكأنه لا يراها، لن تعذر من لم يغير وجودها في حياته فيه شيئًا.

البر في البيت أولًا

مثلما أنه لا يوجد أي منطق في أن تفتح شركة دولية فرعًا في مدينة كبرى، ثم لا تركز في التسويق فيها، وترسل المندوبين كي يجتهدوا في قرى صغيرة بعيدة عنها، كذلك ليس من المنطقي أن يكون إحسان الرجل المؤمن بعيدًا عن بيته وكذلك إحسان المرأة المؤمنة بعيدًا عن بيتها، ويتجاهل الناس البر داخل بيوتهم، رغم أن البيت فرصة كبيرة لاكتساب الحسنات وإرضاء الله.

الزوجة سوق حسناتك، عليك أن تغطيه أولًا ثم تتوسع، وكذلك أقول للزوجة إن زوجك سوق حسناتك عليك أن تغطيه أولًا ثم تتوسعي.

اللحم والدم والأعصاب

لا أفهم هؤلاء الذين يلاحظون أقل تغير في صوت السيارة أو في أدائها، ويسرعون بها إلى الورش، حتى تعود الأمور كما كانت، ولكنهم في نفس الوقت مع الزوجات مهملون وضعيفو الملاحظة، ولا يقومون بأي شيء من أجل صيانة العلاقة، ويتركون الأمر دائمًا على صبر الطرف الثاني، وهم عاجزون عن أن يفهموا أن أنين الإنسان يتعب الوجدان أكثر من أنين السيارة، وأن اللحم والدم والأعصاب أولى بالعناية والطبطبة من كل الحديد.

ONE PIECE
BOOKS

زائر البيت

لا أفهم كيف يفكر الذي يتمنى بعد الزواج أن يحتفظ بكل معالم حياة شاب أعزب منطلق مع الأصدقاء، لا يحمل أي هم ولكن يحمل دبلة في أصبعه، ولا يكون السكن عنده أكثر من سرير جديد ألطف وأنعم من الذي كان ينام عليه في بيت أهله، ومتعة حلال، لكن لا شيء يلتصق بروحه، لا زوجته، ولا وجوه أطفاله، بحيث يبدو في الساعات التي يقضيها تحت سقفه شبيهًا بزائر يرتدي ملابس البيت. لا أفهم كيف يتمنى حياةً خاليةً هكذا ستقف بسببها الزوجة في لحظة من لحظات الانفجار لتقول له: ذهبت إلى مناسبات الفرح دونك، ذهبت إلى واجبات الحزن دونك، خرجت مع الأبناء دونك، ذهبت إلى الطبيب دونك، مسحت دمعي دونك، وقويت عزمي دونك.

ثمرة التعاسة

الأشغال الشاقة النفسية في العمل أو في الزواج أو في أي علاقة مهمة، أو اللب من ثمرة التعاسة، هو أن تكون مزايا الإنسان، أو النقاط التي تعطيه بريقه، لا تمثل للطرف الآخر نقطة لتثمينه أو الاهتمام به أو الشغف به، ويظل ينظر إليه بعين لا مبالية لأنه لا يجد فيه أشياء أخرى محببة إليه، مما يجعل الإنسان ينظر إلى نفسه بعين الحسرة، ويخفض بصره عن عين شريكه التي تراه كاسدًا، ويجتهد، ويجتهد، ولا فائدة تذكر.

إذا كانت نقاط قوة شريكك التي راهن عليها كي تحبه وتمدحه ليست هي التي تهمك وتشغلك، فعلى الأقل يجب أن يهمك فوق الوصف اجتهاده في كسب ولائك ورضائك، لأنه ليس لك مصلحة، أي مصلحة في أن يشعر بأنه في المكان غير المناسب والعلاقة غير المناسبة.

قتل الروح البطيء

لا أحد تكون مهمته في الزواج أن يطاردك من ظهرك، وأن يختلق دائمًا هو الحديث معك، وأن يفتش عن أي شيء يخرجك من انغلاقك على نفسك، وأن يثبت لك دائمًا أنه يؤثرك على نفسه، وأن يضع كل شيء تحت قدميك كي تهز رأسك، أنت تقتل روحه ببطء هكذا، تقتل روح هذا الإنسان الذي تكمن مأساته في أنه الوحيد الذي أحبك، ولم يشغله شيء عنك.

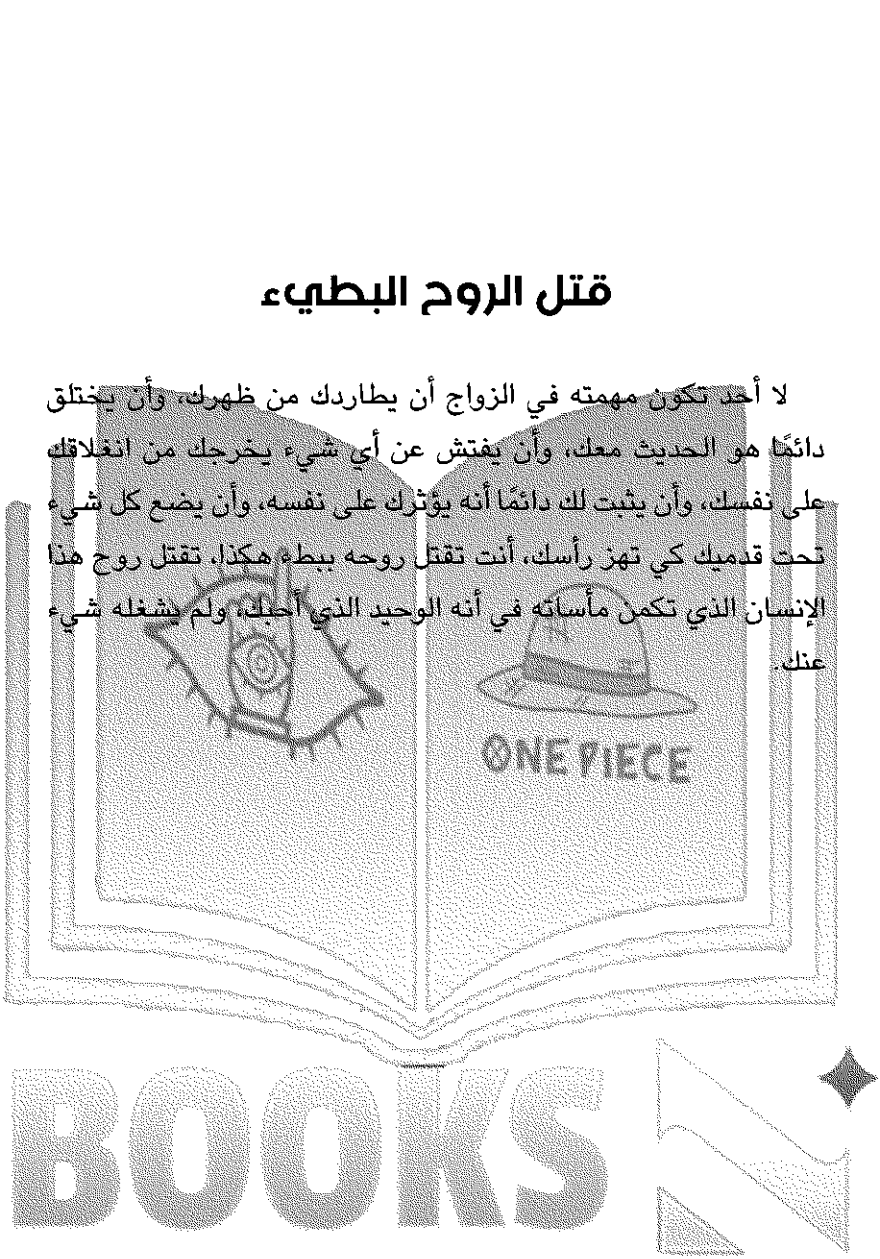

الترحيب

الترحيب بين الزوجين مستديم استدامة الحياة الزوجية، مثلما أن الترحيب بين صديقين مستديم طول الصداقة، والتعوُّد لا يصلح كحجة للاستغناء عنه تمامًا، فقط يكون هناك ترحيب بسيط غير مفتعل.

لذا فعلى المرأة إن فتحت الباب لزوجها والجوال على أذنها وهي تكلم صاحبتها، أن تحرص على التبسم له، ولا تفتح الباب وتعطيه ظهرها منصرفة عنه للحوار التليفوني، فهذا عدم اعتناء.

ولو عادت زوجتك بصحبة الأبناء من عند الأهل وأنت تشاهد المباراة، احرص على أن تبتسم لها، ولا تفتح وتهرول للجلوس أمام التلفزيون، فهذا عدم اعتناء.

تخيل، أن هناك من يبخل بمجرد بسمة واحدة على سبيل الترحيب، ومع ذلك يصر على أنه يفعل كل ما يستطيع لإسعاد شريك حياته.

حرارة الزوجة

أحيانًا ما يكون ترك الرجل لزوجته، وعدم التفاته إليها ليس طبعًا فيه، بل جاء كنتيجة كراهيته لصياحها الكثير على أطفالها، لذا فهو يعيش داخل البيت مستاءً من ارتفاع صوتها، ويشعر بأن انفعالاتها المفرطة هذه في التربية تمس بوجوده وتزعجه وتتجاوز مكانته، وتعكر مزاجه.

إنه غير راض عن هذا الجزء في أمومتها، ويشعر بخصومة تجاهها بسببه، وهو عاجز عن أن يتفهم أن هذه الانفعالات في المرأة ناتجة عن نظرها لكل تفاصيل الأبناء بعدسة مكبرة، فيحدث بسبب هذا للمرأة من الانزعاج ما لا يشعر الرجل ببعضه.

قد يكون للرجل بعض العذر إن زاد الأمر عن حد طبيعي وجعل تكيفه مع الوجود في البيت صعبًا، ولكن يجب أن يلتمس العذر قدر الإمكان، ويتفهَّم قدر الإمكان، ويرحم، وينتظر الهدوء، وينظر للأمر على أنه ناتج عن فارق فطري غير قابل للتضييق في الرغبة في العناية، وفي القدرة على العناية، فإن كانت زوجتك هي التي دائمًا ما ترتفع حرارتها في التعامل مع طفلك، فلا تنس أنها هي دائمًا التي تكتشف قبلك ارتفاع حرارة طفلك.

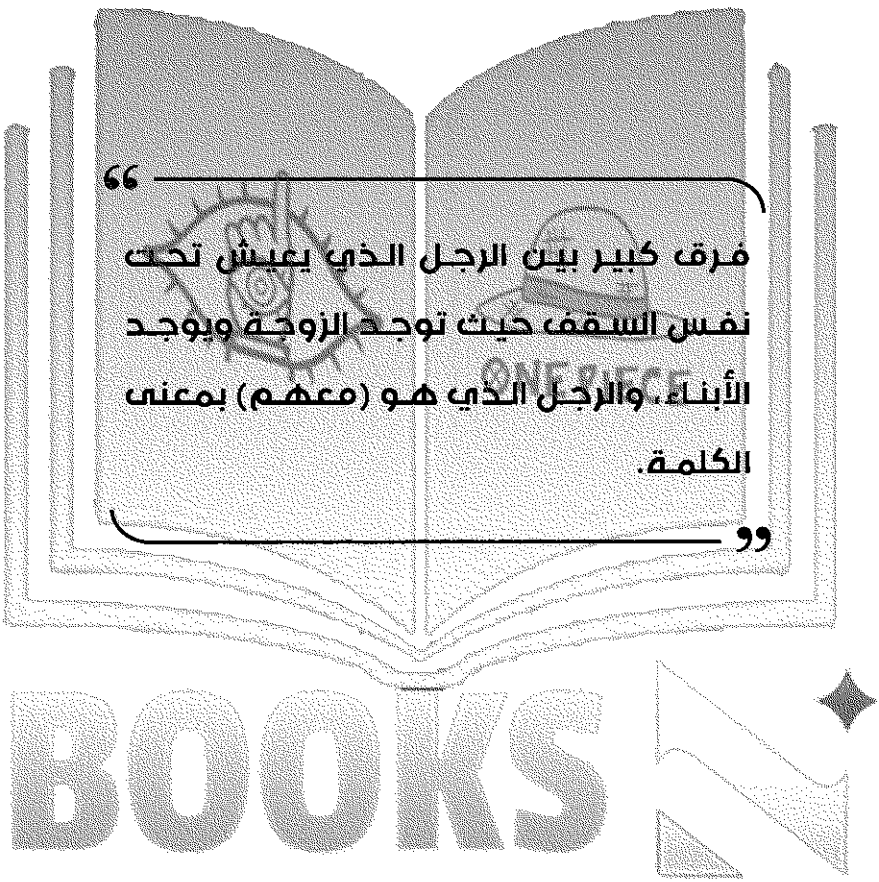

فرق كبير بين الرجل الذي يعيش تحت نفس السقف حيث توجد الزوجة ويوجد الأبناء، والرجل الذي هو (معهم) بمعنى الكلمة.

معهم

من الجميل في الأوقات التي يجدك أهلك فيها في البيت معهم، أن تشاركهم أعمالهم التي لا تهمك، هذا لأنهم هم يهمونك جدًا، فالتعاون مع طفلك في عمل طائرة ورقية صغيرة أو تثبيت كرسي دراجته هو نوع من أنواع التعبير عن الحب، وأن تمسك لامرأتك شيئًا تصلحه أو قماشة تقصها هو نوع من أنواع التعبير من الحب؛ فلم يكن الحب أبدًا هو الغزل والغزل وحده، بل أن تقاسم من تحب الأشياء المقربة إليه التي تشغله، وأن يكون لك بعض الهوى فيما يهواه، وأن تقدم له عونًا فيه من الحنان أكثر مما فيه من العون.

لا بد أن تعرف أنك ربما تكون الأكثر استفادة عندما تنخرط معهم في أشياء سهلة وبريئة يقومون بها، فهذا يزيل عنك قشرة القسوة التي تكسو بعض الرجال في الحياة العملية شيئًا فشيئًا، فتصير أكثر لطفًا، وأوسع صدرًا، وتكتشف أنك كنت تحرم نفسك من مذاق مختلف من السعادة، وكنت تحبسها تلك النفس داخل خط وهمي من الجدية في غير محلها، بينما لا شيء أكثر جدية في حياة رجل عادي لا تنتظر منه البشرية أي اختراع هو أن يشبع أهله وعياله عاطفيًا ويجعلهم يواجهون العالم وهم في غنى عن أن يشحذوا الاهتمام من أحد.

الرجال والإجازة

الرجال أنواع فيما يخص الإجازة، نوع يظنها له وحده من أجل راحة بدنه من اليقظة المبكرة ومن ضغوط العملاء والمديرين، ولا يفكر في أن لأهله منها نصيبًا، ويأوي إلى فراشه في نهايتها وهو يشعر بأنه استراح حقًّا ولا تثريب عليه، ونوع يرغب في أن يسعد زوجته وأبناءه وأن يكون وجوده بينهما حيويًّا ومثيرًا للحماس، ولكنه لا يحذق هذا ولا يفهم كيف يدير أمر هذا السرور بما هو متاح، ويغلب عليه الشعور بالخوف من مرور وقت الإجازة، ويعشش فيه وهمًا بأن السكون يمط الوقت، والحركة تذهب ببركته، ويشعر بالمرارة وهو يرى عقارب الساعة تمر بغير أن يقدم شيئًا طيبًا لهؤلاء المنتظرين من حوله جرعة من البهجة العائلية، وينتهي المساء بامرأة مهمومة تكوي له ملابس العمل، وينام وفي نفسه أمنية بأن يعوضهم في المرة التالية، أما النوع الثالث فهو نوع ودود حنون مرح محب للحياة يعرف كيف يجعل أهله ينتظرون هذا اليوم.

بإمكان الرجل من النوع الثاني أن يقف وقفة مع نفسه ويتغيَّر، فالاستفادة من الإجازة هي نوع من أنواع الخبرة الحياتية القابلة للتطور، وهي مهارة يمكن اكتسابها، وهو شخصيًّا سيسعد ويكتشف أنه لم يقدم فيما مضى على جزء أخضر من الحياة، وأنه بدأ يستعيد مرحه القديم قبل حمل الهموم. وليعلم أن الطفل عندما يكبر يظل متذكرًا مرات الخروج العائلي اللطيفة وتبقى من أجمل وأرق ذكرياته؛ وليعلم

أن الذكريات الطيبة التي يمكن أن يقدمها لأولاده وزوجته، بالضحكات الصافية، بالذهاب إلى أماكن جديدة، بالجلوس على الأعشاب الخضراء الجميلة متمتعين بما يتناثر عليهم من رذاذ النوافير البعيدة، باللعب معًا بعض الألعاب المرحة، هي أشياء تبقى في الصدور تجاهه أكثر مما يبقى أثر الرواتب، وهي أشياء تجدد شبابه وشباب امرأته، وتجعل الأطفال أكثر ثقة بأنفسهم وبالحياة، وهي أشياء لا تفترس يوم الإجازة كما يتوهم، فلا يفترس الإجازة إلا النكد والظمأ الطويل للبهجة العائلية.

المؤسف حقًا أن هناك من هم أقل من النوع الأول الذي يرتاح في البيت في يوم الإجازة ولا يختلط بأهله في المرح والسمر حتى ولو بغير خروج، وهو لا ينوي غير ذلك مستقبلًا، نعم، فهناك نوعان آخران في التعامل مع الإجازة، نوع يقضي الوقت كله، بضمير مرتاح تمامًا، مع أصحابه في أماكن السهر والمقاهي، ويعود وقد علا وجهه أثر الضحك والأنس الذي كان فيه، من أجل أن ينام، وبغير أن يتكلم كلمة واحدة، ونوع آخر يمكث في البيت ويخترع أسباب النكد والتنغيص، ولا يكف عن التعبير عن شعوره بالاستفزاز من كل شيء ومن كل تصرف حوله، كأنه لا يعرف من هؤلاء الذين هم من حوله ومن أتى بهم.

الزمن الذي يخطفونه بك

رب الأسرة الرائع قد لا تكون نظرته للمول التجاري ومدن الملاهي والأسواق التجارية مختلفة عن نظرة أي رجل تخطى العشرينيات لتلك الأماكن التي يغلب على الرجال الشعور بالملل فيها، هو فقط صارت نفوس أفراد أسرته المبتهجة هي مكانه الذي يرتاح فيه قلبه ومحل نزهته، إنه لا يذهب في الحقيقة إلى هذه الأماكن، بل يذهب إلى حيث يجد وجوههم المرحة ومشاعرهم المنطلقة، فلا يكن المكان همك وأنت معهم، بل الزمن الذي يخطفونه بك من رتابة الحياة.

ONE PIECE
BOOKS

المواكبة

المواكبة رحمة، وتقدير، وفن من فنون الحب وحسن العشرة، لذا لو خرجت مع أسرتك لا تستمر طوال الطريق تسبقهم، ثم تقف وتنظر وراءك ناحية زوجتك وناحية أطفالك وتنادي: (أسرعوا.. هيَا).

الرجولة هي تفهم والتماس عذر ومجاراة لمن هو أضعف وأوهن. هكذا كان أهلك يعاملونك في صغرك، وهكذا كان المدرس يسهب في شرحه لكي تفهم، وهكذا كان من يعلمونك أسرار العمل يصبرون عليك؛ واليوم يجب أن تقدم لزوجتك ما تستطيع في مجاراتها فيما يجعلها مستريحة ومسرورة أثناء التنزه والمشي.

كيف تتخيل أن ابنك الثري في المستقبل سيواكب الابن الفقير ويحنو عليه ويتفهم الفوارق بينهما بغير قسوة، وقد عاش سنوات طفولته وأنت تجر أفراد العائلة وتزجرهم وتلوم عليهم ولا ترحم قدراتهم في أثناء الخروج؟!

صحن التعاسة

عندما يذهب شريك الحياة دونك إلى نفس المكان الذي جاء إليه معك من قبل، ويشعر أن الدنيا جميلة، والأمور تسير بطريقة مريحة للأعصاب، والتفاصيل وديعة، وشيء من السلام يعم الأجواء، وأنه يمكن قبول الأشياء والناس كما هم، بينما مر الوقت عصيبًا في المرة الفائتة التي كنت معه فيها، ويقول في نفسه وهو يتذكر: كأن الكون كان يتهدَّم وقتها شيئًا فشيئًا من حولنا، لقد ظل يومها غارقًا في متابعة الهفوات والأغلاط الصغيرة يذكرها ويضخمها، من دلال الأطفال الزائد حتى أكشاك الكهرباء المفتوحة في الطريق، ويتابع اللاشيء ويعمل منه شيئًا، كأنه يصر على العودة إلى البيت غاضبًا مستاءً. عندئذ تعرف قدرتك على تدمير الصحة النفسية لشريكك، وإصرارك على أن تغمِّس لنفسك في صحن التعاسة، وأن تغمِّس له ولو لم يشأ.

وجودك

أبناؤك وزوجتك ليس عليهم أن يدفعوا ضريبة عدم اعتيادك على الجلوس لوقت طويل بينهم، بحيث تخرج فيهم ضيقك وقلة صبرك وشعورك بالحرمان من أنشطة اليوم التي اعتدت عليها، وتطيل متابعتك لما يدور حولك بعينين متهكمتين؛ بل يجب أن تكون داعمًا نفسيًّا لهم بوجودك بينهم، ويزداد دعمك للزوجة إذا ما أحاط بها جو ثقيل من القلق كما يحدث للنساء في بعض منعطفات الحياة، وهذا الدعم الذي يجب أن يوفره وجودك هو جزء لا يتجزأ من قوامتك وحسن رعايتك، ويجب أن تستغل فترة وجودك في البيت في تجديد شعورك بقيمة الأسرة، وفي الاقتراب من كل فرد فيها، وفي التمتع بوجودكم معًا تحت سقف واحد، وفي السرور بأبسط النشاطات التي يعملونها، ولو أن يرمي أحدهم ابتسامةً لك وهو يغسل أسنانه بالفرشاة؛ حتى إذا ما رأوك في الصبح وأنت تلمع حذاءك من أجل الخروج للعمل بعد ليلة رائعة قضيتها بينهم وضحكت معهم وحكيت لهم فيها بعض الذكريات اللطيفة، قالوا بلسان حالهم وهم ينظرون إليك بحب: شكرًا؛ لقد متَّعتنا بوجودك.

أن تكون رجلاً في بيتك

أن تكون رجلًا في بيتك هو أن ينتظروا عودتك، لا أن يتنفسوا الصعداء عندما تغلق الباب من ورائك.

أن تكون رجلًا في بيتك هو أن يحبوا أن يخبروك بأشياء كثيرة قد لا يكون بعضها مهمًا، لا أن يتجنبوا قدر المستطاع إخبارك بأكبر قدر ممكن من الأحداث خوفًا على مزاجك الذي ينقلب بسرعة.

أن تكون رجلًا في بيتك هو أن تسألهم عما ينقصهم، لا أن تذكرهم دائمًا بما قمت بإحضاره.

أن تكون رجلًا في بيتك هو أن تحسن ضيافة أهل الزوجة المحترمين، لا أن يتحرى الأهل غيابك من أجل اللقاء.

أن تكون رجلًا في بيتك هو أن تتأسف إذا غضبت وأخطأت، لا أن تتمتع بأن يحوموا من حولك ويتمسحوا فيك بعد غضبك وإساءتك وأنت تبتزهم وتثقل عليهم وهم يحاولون فقط إحلال السلام.

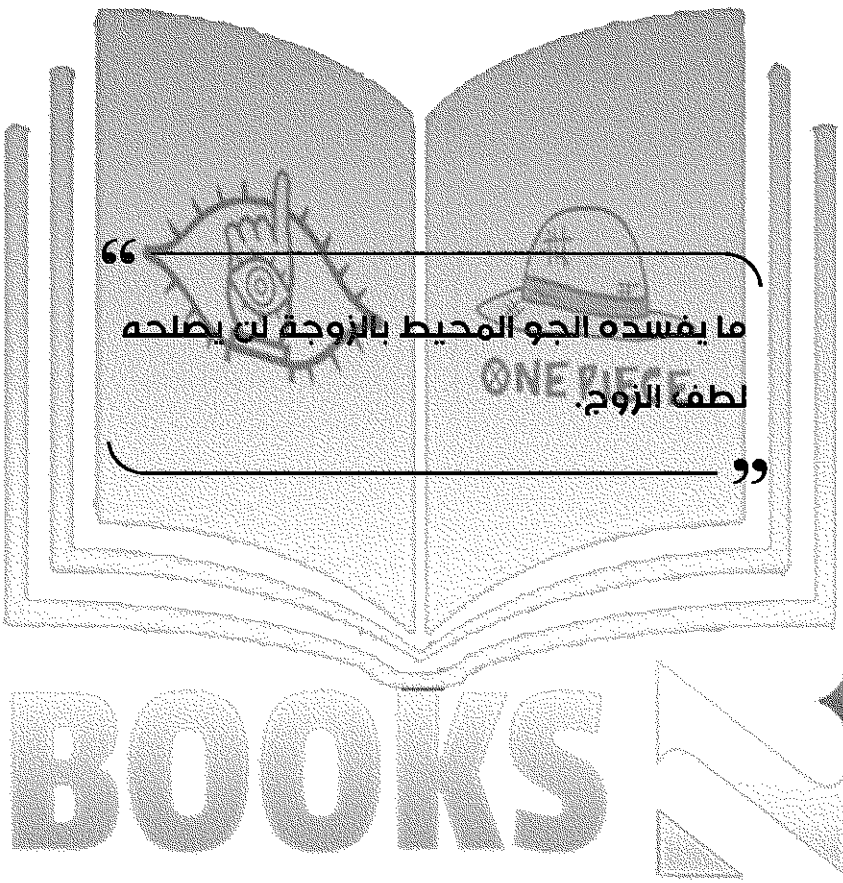

"ما يفسده الجو المحيط بالزوجة لن يصلحه لطف الزوج."

المكان الذي تذبل فيه الزوجة

كانت شابة صغيرة مهذبة متواضعة، وخفيفة الظل، نشأت في بيئة بسيطة، تقدَّم لها شاب محدود الدخل، ووفَّر لها شقة صغيرة جدًا، في حي عشوائي أكثر فوضوية من الذي تعيش فيه، وهي بروحها الحلوة وافقت ولم تر أن المساحة الصغيرة يمكن أن تعيقها عن طلب السعادة.

من ضمن أول المشكلات التي قابلت العروس في سكنها، أنها كلما ذهبت تفتح شباك الحمام الصغير، كي تسمح بمرور بعض الهواء، أو كي تغلقه، فوجئت برجل لا يفصل شباكه عنها غير مترين، يميل بجسده إلى الأمام ناظرًا لها بعينين جائعتين.

كان جديدًا عليها تلك الفتاة النحيلة ذات الملامح البريئة أن تكون مطمعًا لرجل، ولم تختر أن تحكي لعريسها الشاب هذا الشيء، وهذا اختيار الآلاف من النساء بطبيعة الحال، يرين أن هذه النوعية من المشكلات لا داعي لنقلها للأزواج، وتبدأ المشكلات وتنتهي، والزوج لا يعرف عنها أي شيء.

لما ضاقت من تكرار الأمر، حكت لجارة تكبرها سنًّا، تعاملها كما لو كانت أختها الصغرى، فأخذت الجارة تكلمها على أنها ليست مشكلة عويصة على الإطلاق، ووصفت لها الوصفة: فقط كلما ذهبت تقفلين الشباك أو تفتحينه، ووجدته في مكانه ينظر إليك ابصقي ناحيته، سيتوقف عن هذا.. كانت تتكلم عن البصق كمجرد إشارة بسيطة عن

عدم الترحيب، وكانت الشابة الصغيرة تراه عملًا خارقًا لا يتناسب مع خبراتها الحياتية المحدودة، لكن بالفعل نجحت الوصفة، وانسحب الرجل من الشباك إلى الأبد، ولم تعد العروس تشعر بالضيق في بيتها الصغير الذي رضيت به.

لكن هل يمكن لكل شابة أن تروِّض نفسها وتتأقلم هكذا؟ وهل لو فشلت وتملَّك منها الانقباض واسودَّت الدنيا في عينيها لأنها ترى أن منظرها لا يبعث على جرأة المنحرفين، وكرهت الشقة، وتقيَّدت فيها ولم تعد تفتح شباك الحمام أبدًا وظهر عليها الانطفاء نقول عنها إنها متبرمة وساخطة؟

هذه القصة الحقيقية هي مجرد مثال، ومحاولة اصطياد جارة ليس كل ما يمكن أن ينغص على امرأة في بيتها، فهناك تفاصيل أخرى قد تكون منغصة، وقد يكون بعضها مألوفًا بل حميميًّا للزوج، أما القضية فهي أمر واحد: الضغط على العروس لتقبل بعش زوجية أقل مما تحب بشكل واضح، العش نفسه غير مناسب، أو الجيرة، أو الأجواء ونمط الحياة الغالب في المنطقة، بمنطق (لا داعي لحب الاستعراض والنفخة الكذابة) أحيانًا ما يكون ضغطًا في غير محله، لأن التفسير أحيانًا ما يكون غير صحيح، فحب الاستعراض والتباهي لا يفسر رفض الإنسان للسكن في مكان ما في جميع الحالات، فأحيانًا ما يرفض الإنسان جوًّا ما لأنه يشعر فيه بالتشوه النفسي، وفقدان الذات، وتلف الشعور بالحرية، أحيانًا ما يرفض الإنسان جوًّا ما لأنه يشعر فيه بالانسحاق، والضعف، والإعاقة.

يختلف الناس في قدراتهم على قبول واحتمال ظروف غير مناسبة اختلافًا كبيرًا، والمقصود بالقبول والاحتمال ليس القبول المذعن لظروف الحياة وعدم الانتحار، بل أن يحتفظ الإنسان بمعنوياته ومرحه

وقدرته على العطاء، ويحتفظ بحبه للحياة، ويحتفظ بالقدر الضروري من الثقة بالنفس والتفاؤل.

فيمكن أن نجد شابًا ينتمي لأسرة فوق المتوسطة، عنده سيارة ما وفرها له الوالد وكذلك اشتراك في ناد، يقرر السفر إلى أوروبا، فيعمل بكل ترحاب في غسل الصحون في فندق، ويظل يمتلك روح الشباب والتألق، ويحكي عن هذا الأمر، ويسعد به، ويجلس في آخر اليوم على المقهى مع أصحابه ويقهقه كما كان يقهقه في النادي في بلده، رغم أن خلفيته الاجتماعية غير ذلك؛ هو يمتلك قدرة داخلية على العيش في غير الظروف التي نشأ فيها، ويتعامل مع الأمر بروح معنوية عالية.

وعلى النقيض من ذلك يمكن أن نجد شابًا جامعيًا من أسرة دون المتوسطة، يستخدم المواصلات العامة، ولم يكن له أي حياة اجتماعية شبابية منعمة، ولكنه لم يعمل أبدًا في الصيف في أعمال متعبة أو غير مناسبة، لو سافر إلى أوروبا، ولم يجد إلا فرصة غسل الصحون في الفندق، نجده كئيبًا حزينًا منطفئًا، وضعيف الإنتاجية، ويخفي الأمر عن أهله عند الاتصال، ويبكي على وسادته، وينهار بعد عدة أيام؛ هو شخص ليس لديه القدرة الداخلية على العيش في ظروف غير التي نشأ فيها والتي اعتاد عليها، ليس في الأمر استكبار أو انتفاخ غير مبرر، فهذا الانطفاء يحدث رغمًا عنه، هو يدخل العمل، ويجد الصحون، ويشعر بالغربة، ويشعر بالكراهية للعمل وللمشرفين، ويشعر بأن يوم العمل طويل جدًا.

كذلك الحال في مسألة الجو المحيط بالزيجة، يحدث أحيانًا أن تستطيع فتاة من وسط اجتماعي راق نوعًا ما العيش دون أي ضغوط مع شخص تحبه في مسكنه بحي متوسط أو أقل من ذلك قليلًا، وتحتفظ بمعنوياتها، وبقوتها، وببصمتها، ويظهر على أسرتها وأطفالها نوع من

التميز بالمقارنة بمن حولها، أي إنها قادرة على أن تحتفظ بنفسها حتى في قبولها للعيش بعيدًا عن مستواها، ولا تقل عندها الرغبة في الحياة.

ومن ناحية أخرى، يمكن لفتاة تسكن في أحد الأحياء الشعبية ولكن بشارع نظيف وممهد وسكانه مهذبون، أن تشعر بالرفض تجاه السكن الذي عرضه خطيبها خلف الحي نفسه، ولكن في شارع ضيق ومهمل وينتشر في شبابه الإدمان. هي لا تشعر أنها قادرة على الاحتفاظ بروحها الجميلة وأن تسعد زوجها في بيئة كهذه، ستشعر بالخوف والانكماش والذبول والانطفاء.

إذن يجب أن نضع في اعتبارنا أننا كما نبحث عمن ننفعه وننتفع به في الحياة العملية، ولا نرغب فيمن يكتئب وهو يغسل الصحون، كذلك في الحياة الزوجية نبحث عمن تقبل ظروف المعيشة عن طيب خاطر وليس بروح الإذعان، نختار من يناسبها جوّنا وتفاصيل حياتنا، أو نختار إنسانة ونوفر لها الجو المناسب لها.

أحيانًا ما تكون كلمة (عش عيشة أهلك) في محلها، هذا بغير شك، خاصة عندما تقال لزوجة تتمنى ما لم تعتد عليه لا هي ولا الزوج، وتلح على ذلك، ويكون ما تتمناه بعيدًا عن قدرته، لكن أحيانًا ما نضغط على إنسانة صالحة طيبة لقبول بيت هي لن تستريح فيه، وأن تعيش وهي محاطة بتفاصيل هي تكرهها وتنفر منها، أو جارات فضوليات وجريئات هي لن تندمج معهن. ولا يمكن أن نسميه عشًّا ذلك المكان الذي تذبل فيه زوجة، ومن حقائق الحياة الزوجية أن ما يفسده الجو المحيط بالزوجة لن يصلحه لطف الزوج.

الأخت المهيمنة

كثير من أخوات الأزواج هن نساء طيبات انشغلن ببيوتهن التي عمرت بهن، وليس لديهن رغبة في الانشغال بحياة الأخ الزوجية، ولا لديهن رغبة في متابعة كل تصرفات زوجته؛ هذا هو الأساس، فلديهن ما يشغلهن.

لكن هناك نوعًا من أخوات الأزواج يكون لديهن الكثير من النشاط، والطاقة، وفرط الحركة، والطبيعة شديدة الغيرة، مما يجعلهن عقبة أساسية في سبيل الاستقرار الأسري، تتفوق في بعض الأحيان على عقبة الأم المتسلطة نفسها.

مشكلة الأخ نفسه، وبسبب الثقافة السائدة، أحيانًا ما يعتبر حنانه مع أخته قوة ورجولة وشهامة، لكنه في ذات الوقت يظن أن الحنان مع الزوجة انكسار وخنوع وهوان وضعف شخصية.

وتفهم الأخت ذلك، وتبتز أخاها به، وتوحي إليه بنظراتها بأن مجرد التفكير في أن تساوي بيني وبينها هو يعني أنها سيطرت عليك، وأنستك نفسك وأهلك، فأنا أصيلة، وهذه دخيلة.

ويبذل الرجل في هذه الفوضى الاجتماعية جهدًا لإثبات أنه ليس ضعيفًا، وأنه ليس متعلقًا بها بالدرجة اللازمة، كل هذا دفاعًا عن نفسه، حتى لا يكون محل تهكم.

وكثيرًا ما تقوم الأخت بهذا وهي في ذات الوقت ترفع أسوار بيتها وتنأى بزوجها وأبنائها عن أي عين لديها فضول، وأي أنف يريد أن يندس، لدرجة إنها يمكن أن تخفي أشياء مهمة إلى آخر وقت، مثل خطوبة بنتها، أو دخول ابنها لكلية ما، ومع ذلك هي مصرة على أن تعرف آخر خاتم اشتراه أخوها لزوجته.

وأنا أقول للرجال إنهم يجب أن يتحرروا من أسر هذه الأجواء المريضة المنهكة، بغير تحطيم العلاقات الإنسانية، ليس لأحد أن يتدخل في كل شؤون بيتك، وهو في ذات الوقت واعٍ تمامًا لخصوصية بيته، ولا يخجل من إخفاء أي شيء.

مثلما أن حنانك مع أختك وسعة صدرك معها وتلطفك بها هو قوة ورجولة وشهامة، كذلك فإن حنانك مع زوجتك وسعة صدرك معها وتلطفك بها هو قوة ورجولة وشهامة، فاعدل بهدوء، وترفق بأختك، وعرفها بثقة بأنك لا تحب هذا.

مفتاح الشقة

مفتاح شقة الزوجية هل يعطى للأم؟ بحيث يعني هذا أن تدخل متى تشاء من أجل ما تشاء، وأن تتجول في أي مكان في الشقة بتلك الطمأنينة التي يتجول بها الإنسان في شقته وهو لا يشعر بأي حاجز نفسي يمنعه من النظر والتقليب والتفتيش؟

لا.

ودعنا ننظر للأمر من ناحية أخرى، أنت بار، دعنا منك، ولنكن عند الأم نفسها.

الأم العاقلة الناضجة المؤمنة بأن أبناءها المتزوجين قد فتحوا بيوتًا مستقلة، وأنها تحب لهذه الأسر الصفو والسعادة والاتفاق، ستعتبر وجود المفتاح عندها عبئًا وواجبًا للضرورات فقط، في حالة السفر، لتنوب عن المسافرين في مشكلات المياه والكهرباء والغاز، والتسربات، وما شابه.

بمعنى أوضح: الأم الرصينة لا تريد أن تحظف المفتاح إثباتًا لسلطتها، وتعرف أنها ملكة في مملكتها عليها تاج الوقار، بل هم يأتون إليها ويطلبون منها أن تتكرم بالاحتفاظ بنسخة عندها للطوارئ.

من حق الزوجة أن تشعر باستقلالها في السكن، وأن تشعر بأن أسرتها أسرة صحية مستقلة، وليست نتوءًا ظهر في أسرة أخرى؛ ومن

حقها أن تخشى أن يقلّب الآخرون في أغراضها الخاصة، من ملابس وصور، وهدايا، وخطابات.

إذا كانت الأم فيها غيرة وفيها رغبة في دس أنفها، تُعامل بلين، ويتم احتواؤها قدر المستطاع، لكن دون أن يسمح لها بتدمير أسرة ناشئة.

كون الناس في بعض الأوساط يعتبرون فتح البيت على مصراعيه للأشقاء والشقيقات والأم هو من البر، فهذا ظنهم، البر لا يكون بعدوان على طرف آخر له حق الاستقلال.

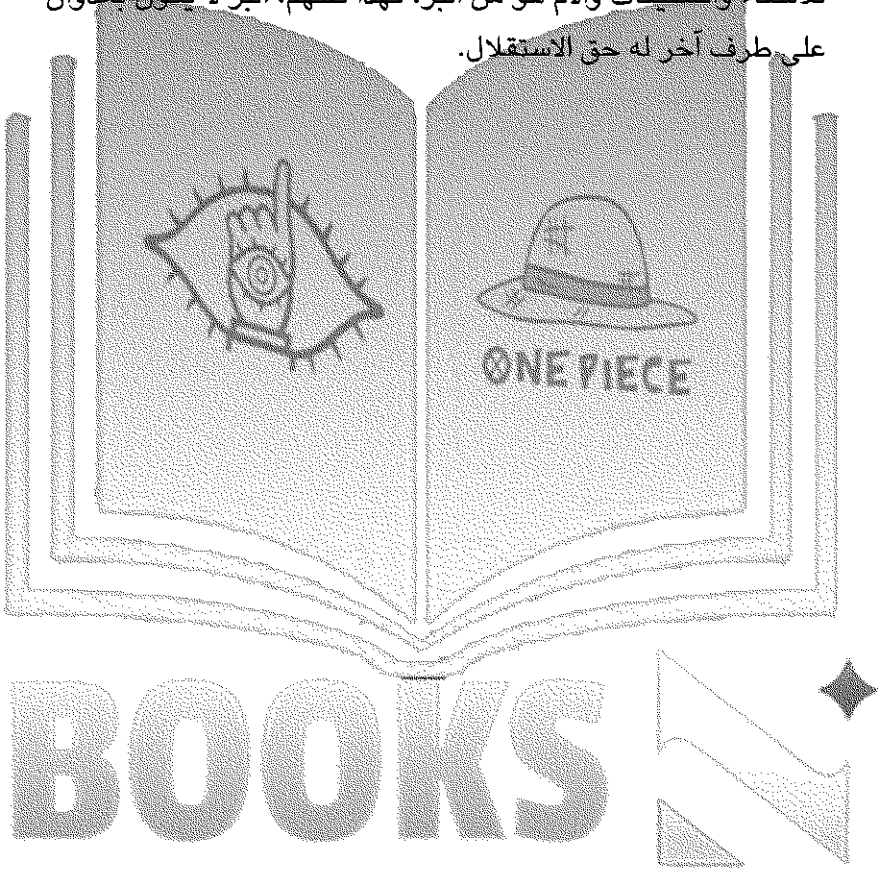

الأم المهيمنة

المقبل على الزواج وهو يعلم أنه سيعيش في بيت عائلته، ويعلم أن أمه صعبة الطباع ومتجبرة، بحيث إنها ستجبره على أن يرسل لها لو سافر نفقة زوجته وأطفاله، لتأخذ منها زوجته ما تريد كما يأخذ الناس إحسان الناس، أو يعلم أنها يمكن أن ترفع أي غطاء في البيت وتقول لزوجته تنهرها على عدم الترتيب وقلة النظافة: وهل أصابك الشلل حتى تتركي هذه المساحة هكذا! أو يمكن أن تفتح خزانة ملابس الزوجين وتمسك بعض قمصان نوم الزوجة وتصفها بأنها رقيعة، أو أي شيء آخر ضمن قائمة المساخر الاستبدادية المتخلفة الطويلة التي تحصل من بعض الحموات، أقول إن هذا المقبل على الزواج ظالم، وإن بدا مسكينًا، وبخاصة إن كان يعلم عن نفسه أنه لا حيلة عنده أمام أمه، وإن كان يعلم عن زوجة المستقبل أنها غير مؤهلة بحال للتعامل مع هذا الجبروت ولا طاقة لها بتحمله.

حلم العودة

بالنسبة لبعض الرجال العصاميين الذين تركوا بلداتهم وذهبوا إلى مدن أخرى، أو دول أخرى، وشقوا طريقهم في الحياة، وحققوا نقلتهم الاجتماعية والثقافية عن الأسر التي خرجوا منها، فعاشوا في أوساط أخرى، واختلطوا ببشر آخرين لهم مفاهيم وقواعد حياتية مختلفة، وتحسنت دخولهم، وتسربت عناصر الرفاهية في حياة أسرهم مقارنة بحياة أهلهم، يتمنى بعض هؤلاء العصاميين، الذين لديهم حنين لجذورهم، ويغلب عليهم البر بآبائهم وأمهاتهم، يتمنى الواحد منهم العودة والاستقرار في بيت العائلة الذي أنفق على تجديده وهو في الغربة، كي يتمتع بصحبة الأب والأم في سنوات كبرهما، وفي خضم هذا التفكير العاطفي الصادق، لا يلحظ أنه يكاد يكون مستحيلًا أن يعود إلى بيت العائلة ويسكن فيه ويحفظ لزوجته وأبنائه نمط الحياة الذي اعتادوا عليه، ولا يتصادم في ذات الوقت مع أبيه وأمه.

فالقطة التي تربيها ابنته قد تتهم بسببها بأنها على شيء من الميوعة والدلع الماسخ، وقد ينهر الجد حفيده إذا رآه يخرج ببذلة الكاراتيه ذاهبًا لأقرب ناد كي يمارس الرياضة التي تدرب على أسسها، معتبرًا الخروج من البيت بمثل هذه البذلة غير لائق بما يجب أن يتصف به الغلمان من خشونة، وقد يتم توبيخ الأطفال بألفاظ ما سمعوها من الأب والأم نفسيهما، وقد تنجرح الطفلة التي كانت لا تسمع النداء إلا باسمها، عندما يقال لها يا (بت)؛ ولن يستطيع الرجل البار أن يشكك في أساليب أبيه

وأمه التربوية التي تناسب نشأتهما ومستوى تعليمهما، ولن يستطيع أن يحمي كذلك أطفاله من الشعور بالإهانة.

وإجمالًا فإن العيش في بيت العائلة كأنه توقيع على تعهد بعدم الخروج على النمط الثقافي والاجتماعي الذي يسود البيت، وكأنه تنازل عن أي رغبة في حدوث نقلة اجتماعية، وفي هذا التنازل يتنازل الرجل ليس فقط عما يخصه، بل يتنازل عما يخص زوجته، وما يخص أطفاله أغلى ما عنده.

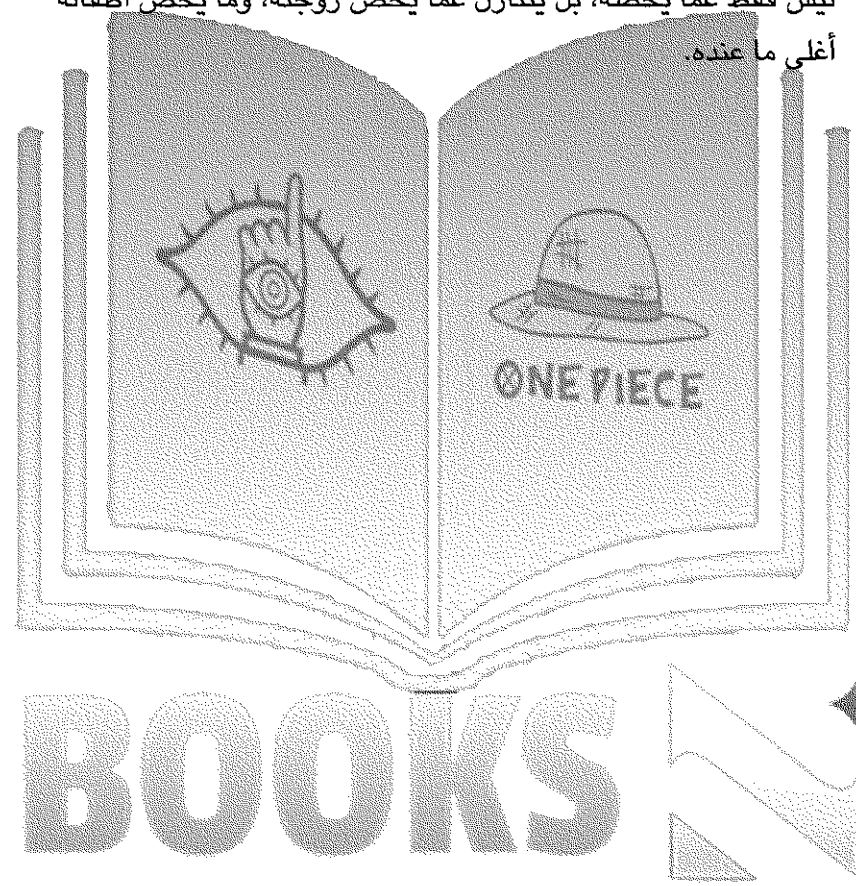

الوعد الذي قد تخلفه

لا تتزوج من فتاة وأنت تعدها بأن بيت العائلة حل مؤقت، وستبحث بعد فترة من الزواج عن سكن مستقل، لأنك بعد الزواج وبعد أن تلد منك، وبعد أن تكون بالنسبة لك واقعًا امتلكته، واقعًا رماديًا، وبعد أن يكون قد حدث بينها وبين والديك بعض الحزازات، وتكون قد ارتبكت بين الفريقين، وحدث شحن فيك ناحيتها، ولم تعد هي تلك الأميرة التي تريد الظفر بها، ستقول لها إن أهلي لا يريدون هذا، ويهددوني بغضبهم، وأنا لا أتحمل غضب أبي ولا غضب أمي، وأنت كزوجة يجب أن تعفيني من ذلك وتتقبلي معيشتك هنا!

إن كنت ستسكن في بيت عائلة، فامسح من تفكيرك فكرة الاقتران بفتاة من خارج المناخ، فكرة أن تختار فتاة بطموحك، لتحقيق نزعة إنسانية إلى التمدن، تأخذها لمرابع طفولتك والبيت الذي لن تخرج منه، وهي ليس لديها خبرة بالعيش المشترك، بتفاصيله المعروفة، واقترن بمن تستطيع العيش بلياقة نفسية عالية في بيت العائلة، الذي تم إعداد شقة لك فيه وقضي الأمر، والذي لا يرغب أبواك في أن تتركه.

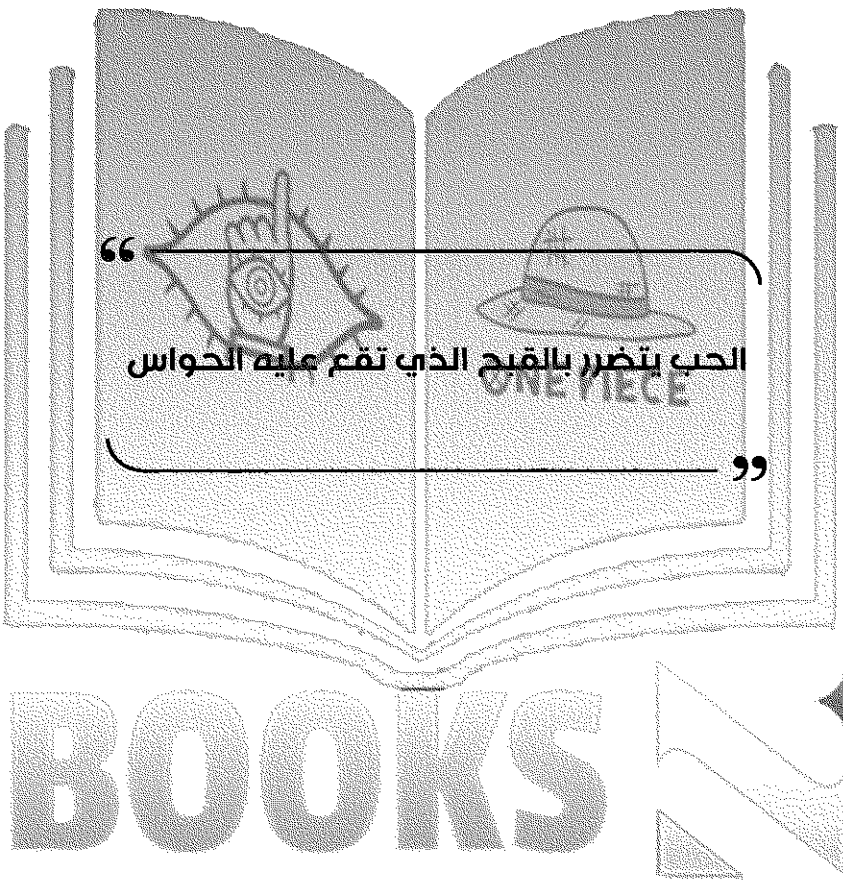
الحب يتضرر بالقبح الذي تقع عليه الحواس
ONE PIECE
BOOKS

التفاصيل المتعبة

ممكن أن تجد من يحبك، لكنك لن تجد إنسانًا سويًا يحب أن يتعذب بك.

شريك الحياة الأصيل لا يتكلم عنك باستخفاف مع الأصدقاء أو الأقارب، ولكن حتى شريك الحياة الأصيل يمكن أن يمتعض من الأشياء المزعجة فيك.

لذا ما يجب أن يفهمه الإنسان جيدًا هو أن الاعتزاز بالنفس يعني الإصرار على القيم والمبادئ، لكن الإصرار على العيوب المزعجة المنفرة لا يعد من الاعتزاز بالنفس، بل هو من الحط منها.

قشرة الشعر الظاهرة، الأظافر الطويلة المتسخة، رائحة الفم الصعبة، الجلوس إلى الطعام بيدين غير نظيفتين، عدم التعطر مع وجود رائحة ثقيلة للجسد، وإصدار أصوات منفرة أثناء الأكل والشرب، والعيش في البيت وقد صار الجسد والثوب كتلة متحركة تنبعث منها رائحة السجائر المقبضة، والإصرار على أكل أطعمة في البيت يعاف منها ومن رائحتها شريك الحياة، كل هذه الأشياء، بالإضافة إلى أشياء أخرى من المحرج ذكرها، ويضاف إليها استقبال الضيوف بملابس غير مناسبة، ودعوة الآخرين لزيارة البيت بشكل مفاجئ بغير أن يكون الشريك مستعدًّا، كلها أمور مما يراكم نوعًا من العداوة في أنفس النساء تجاه الأزواج حتى

لو كان منهم رجال طيبون، وهي مما يصنع فجوة تأخذ في الازدياد قد لا يتوقعها بعض الرجال.

ولفت النظر إلى هذه الأمور للتغلب عليها، ليس من الإهانة في شيء، فشريك الحياة الذي يحبك، يحب أن تبدو أمامه أنيقًا ونظيفًا وراقيًا، ويحب أن يحفظ انطباعه عنك، وأنت يجب أن تعينه على ذلك.

تذكر هذا مرة أخرى ولا تخدع نفسك بتخيل شريك حياة أصيل ومثالي لم تفز به، لو كان معك لأعماه الحب عن رؤية تلك التفاصيل المتعبة: لا أحد من الأسوياء يحب أن يتعذب بك، وكذلك فإن الأسوياء لا يحبون أن يتعذب بهم أحد.

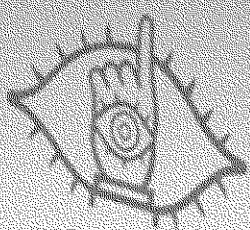

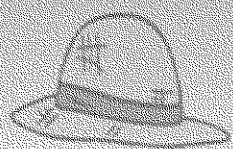

أن تراك أنيقًا

عندما تستعد أنت وزوجتك للذهاب لمناسبة فرح عائلية، وتجدها قد أزاحت بعيدًا الطاقم البسيط الذي تريد الذهاب به، والذي تذهب به لعملك اليومي، واعترضت على أنك فكَّرت في أن تنتعل (شبشب الخروج) حتى لو كان جديدًا قيِّمًا، ووضعت لك على السرير بذلتك الأنيقة الملائمة لمكانتك، والتي لا ترتديها أبدًا، وقرَّبت إليك الحذاء الذي لم يخرج من علبته، لا تفكر وأنت بين مظاهر اعتراضها الضاحك والجاد في آن واحد بأنها تفرض وصايتها، وأنها تحجِّمك، بل فكر بأنها مهتمة بك.

لا تفكِّر بأن عملها على أن تراك أنيقًا في أعين الناس وهي بجوارك فكرة سطحية وجارحة، بل فكِّر بأن إهمال المرأة لأحوال زوجها ورضاءها عنه في جميع أحواله هو دليل على سلبيتها لا على هيامها به، لا تفكِّر بأن تعبير (المنظر قدام الناس) هو تعبير مستفز ودليل على هوانك عندها، بل فكِّر في أنك أيضًا تحب أن يكون طبخها شهيًّا في ذائقة الضيوف، وتحب أن يثني الأهل على درجات ابنك المرتفعة، ولو لم تحسن الطبخ مرة للضيوف ستكون مستاءً بسبب (المنظر قدام الناس)، فكِّر بأنه لا يوجد شيء من التطويع لأفراد الأسرة في حرص المرأة على شكلهم أمام المجتمع.

الابتعاد الجميل

إننا لا نحسن العشرة في الزواج فقط عن طريق الحرص على ألّا يرى منا شريك الحياة ولا يشم إلا ما يحب، ولكن أيضًا وبنفس الأهمية عن طريق الحرص على ألّا نرى منه ولا نشم ما نكره وما يؤذي إحساسنا به وما يجعلنا نزهد فيه، لأن الله لا يريد من أحد أن يزهد فيما أنعم عليه من الحلال.

ليس الأمر فقط أن نتهيأ له، بل أن نبتعد بلطف في الوقت الذي يكون فيه مجروح الحضور ونتخذ مسافة تحمي شعورنا تجاهه.

لا نديم النظر إليه أثناء النوم إن كانت ملامحه تبدو غير محببة وقت نومه.

لا ننظر في صوره التي يكرهها.

لا نقتحم عليه مكانه أثناء قيامه بعمل من أعمال النظافة الشخصية.

لا نسارع في دخول الحمام بعده.

لا نسارع في التقرب إليه قبل أن يتعطر كما يحب.

لا نتقبَّل طاقم الملابس الذي يبدو سخيفًا عليه وغير ملائم، فنلفت انتباهه بطريقة لائقة.

حفلة وامرأتان

كانت الحفلة واحدة، ذهبت إليها امرأتان، واحدة في أوائل الخمسين من عمرها، والثانية تقترب من الثلاثين، غير أن الفارق بين البيت الذي خرجت منه هذه وتلك كان كبيرًا.

الكبرى، هي زوجة رجل طيب، دخله محدود، ولكنه محب للحياة، ومحب لزوجته، ومحب لأن يراها مسرورة فرحة بنفسها، وكان ينعش روح الطفلة التي فيها، ويدللها، ويتغزل بها، ويشجعها على الاهتمام بمنظرها كما تحب هي، ويبدي اهتمامه بقصات شعرها، لذا كانت تبدو متهللة الوجه بين النساء، أنيقة، واثقة، ولا يبدو عليها أبدًا أنها أكبرهن.

الصغرى، هي زوجة المشرف الشاب الذي يعمل تحت رئاسته زوج الكبرى، وهو رجل عملي، قليل الاهتمام بنفسه، يميل إلى العزلة، ولا يختلط بالناس إلا بدواعي العمل، وهو لا يبدي منذ أن مرت فترة قليلة من الزواج كثير اهتمام بزينة امرأته، ولا بالحلول التي تسارع إليها لتغيير منظرها في عينيه، ويناديها وهي في العشرينيات (يا حاجة)، ويستخدم في وسط كلامه معها تعبيرات من عينة (كبرنا)، (راحت علينا) كلما تعلَّقت به وطلبت تجديد حياتهما، وهو لا يدري ماذا تفعل بها هذه التعبيرات، حتى صدَّقته في النهاية، ونسيت نفسها، وتنازلت عن حظها، وأهملت جسمها، استجابةً لروح تشاؤمه، وضعف اكتراثه.

التقت المرأتان في الحفل، وابتسم الوجه للوجه، ولا تكاد سيدة من الجالسات تصدق أن هذه أكبر من تلك بأكثر من عشرين سنة، هذا اللقاء يحكي قصة بيتين، وأثر رجلين.

أن يتجمل الرجل لامرأته هذا ليس كل شيء، أن تتجمل المرأة لزوجها هذا ليس كل شيء، من المهم أن يشجع الإنسان زوجته وهي تحاول أن تحافظ على جمالها وتألقها وتدافع عن حظها من السنين التي تمر، من المهم أن تعبر عيناه عن الفرحة بها مع كل ثوب جميل وإطلالة جديدة، وكل ما تفعله كي تبدو في عينيه جذابة.

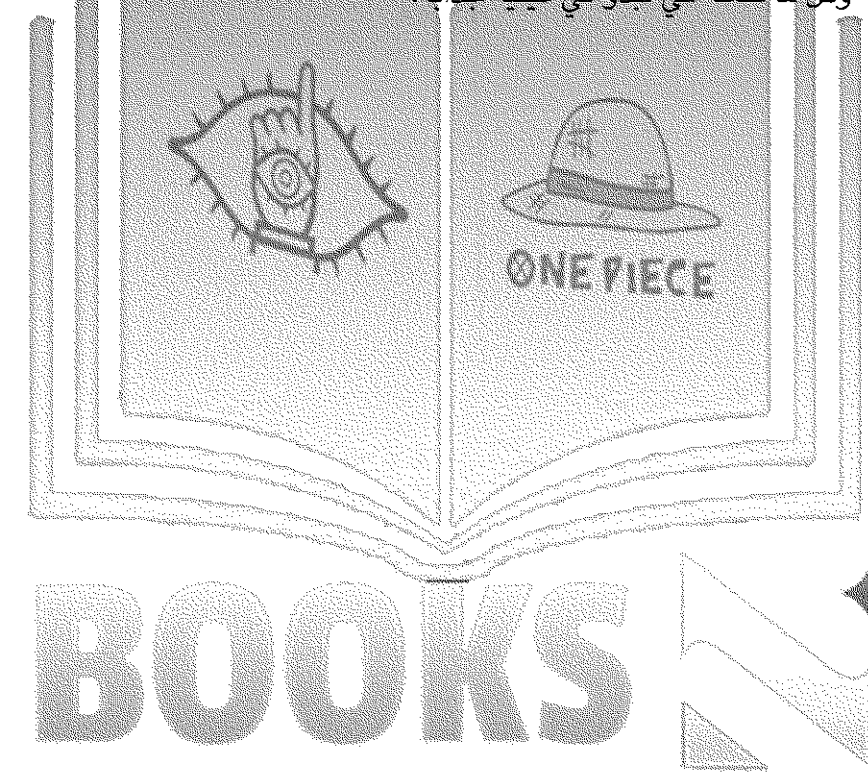

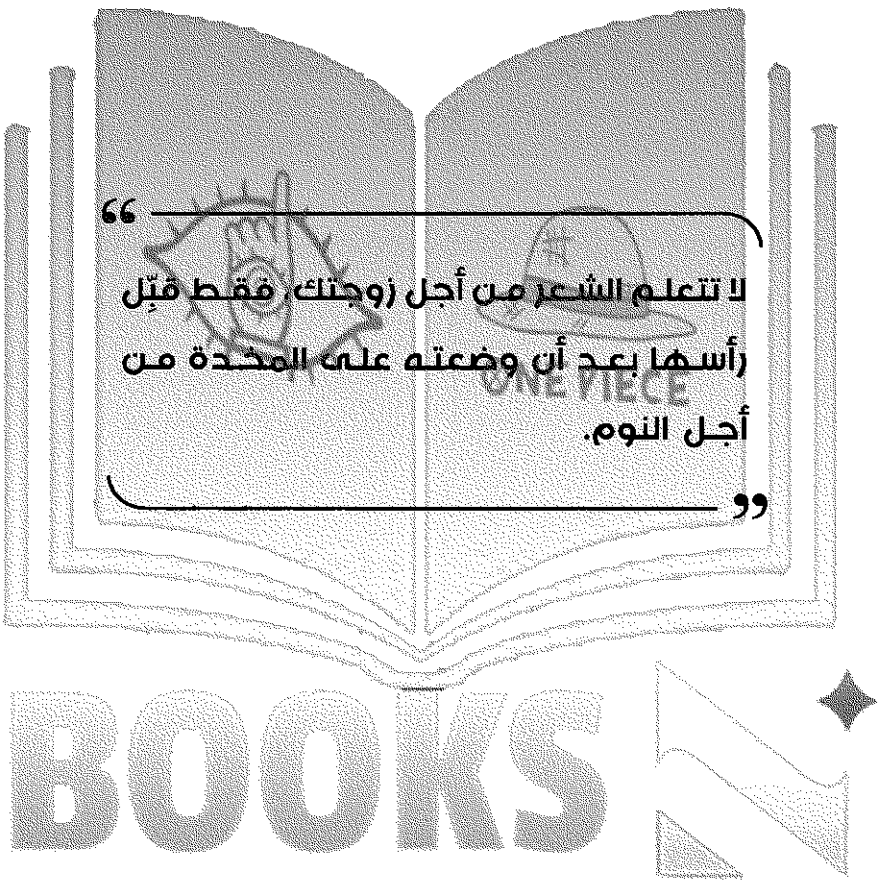

"لا تتعلم الشعر من أجل زوجتك، فقط قبّل رأسها بعد أن وضعته على المخدة من أجل النوم."

الصعوبة الجميلة

وجود أطفال لا يؤدي إلى تباعد زوجين متحابين، بل يصنع صعوبة لطيفة ضد الملل. الحفاظ على سحر الورد أو الحب أو أي شيء جميل، يتطلب ألا يكون متاحًا لدرجة تقتل الأشواق. كل رجل يعبر بطريقة ما عن انتظاره لوقت ما من زوجته المنشغلة بطفلهما، كي تهتم به ويهتم بها، والرجال الناضجون لا يعبرون عن هذا بالتأفف، بل بانتظار فيه قدر من الحنان ونكران الذات، والمرأة تحب أن ينتظرها زوجها هكذا بغير احتجاج على اهتمامها الشديد بطفلهما.

ONE PIECE
BOOKS

الحب ترجمة

الحب هو أن تترجم أبسط أفعالها إلى حب ولو أنها أمسكت بثوبك في الزحام.

الرجال الناضجون يعرفون هذا جيدًا، يعرفون أن الحب يتم إثباته بشكل عفوي مائة مرة في اليوم، في كل نظرة، في كل نداء، في كل طلب، في كل وجبة يتم تقديمها، في كل بسمة تتولد من ابتسامة وجهك، وفي كل مسرة عندما تبدو متأنقًا في ملابس جديدة، ويدركون جيدًا أن الأمر لا يتطلب هذا الهيام الذي يمكن أن يبدو على وجه شابة في السادسة عشرة من عمرها في مغامرة مباغتة.

النبض العاطفي

النبض العاطفي بين الزوجين لا يحتاج تنبيهه بالضرورة إلى حلول سياحية كعشاء في مطعم راقٍ على ضوء الشموع، أو نزهة نهرية على جندول، أو الركض في غابة، كلها أشياء جيدة ننصح بها من وسعه المال والوقت، ولكن النبض العاطفي قد ينبهه أيضًا وضع الرأس المهموم من ضغوط الحياة في الحِجر، قد ينبهه تثبيت الزوجة لأحد أزرار قميص زوجها وهو مرتديه.

حياة الشكر والامتنان بين الزوجين، حياة الاغتناء المتبادل، لا يعوقها ضعف الميزانية أو زحمة الأوقات بقدر ما يعوقها الغفلة عن الفرص اليومية البسيطة.

ضع رأسك هكذا فجأة في لحظات الصفاء.

كل ما يغلب علينا من ناحية تنبيه النبض العاطفي، هو السهو عما يمكن فعله ببساطة لتلوين لحظة ما، كل ما يغلب علينا هو أن الرجل يترك قميصه على حرف السرير لتثبت له الزوجة الزر، بدلًا من أن يذهب إليها به، وما يغلب علينا هو أن المرأة تلتقط القميص وتعمل فيه، دون أن تكتشف قيمة أن يأتي إليها كالطفل وهو مرتديه.

واقعها وحلمها

أنت عملي أكثر منها، وهي أكثر رومانسية منك، حسنًا، ليس الحل في أن تكبت عنفوانها العاطفي في حدودك الضيقة، بل تحاول أن تكتشف المكافأة التي تنتظرك عندما تحاول أن تتوسع عاطفيًا من أجلها، فيتحول هذا الذي من أجلها إلى شيء من أجلك. ستجدها تلجأ لهذا الملاذ فيك الذي أوسعته من أجلها، وتمتلئ نفسها بالسرور، وهذا السرور لن يظل شيئًا تراقبه، بل سينتقل إليك، ويضيء شيئًا في جوانحك.

إذا كنت واقعها، فلماذا لا تكون واقعها وحلمها؟

إذا لم يكن عندها بديل وستضطر للاستمرار على أية حال حتى لو أصابها اليأس من أن تعبر عن عواطفك، فما الجميل في أن تكون سجنًا؟

بحبوحة عاطفية

على الزوجين أن يساعدا بعضهما بعضًا من أجل العيش في بحبوحة عاطفية، فمن المفهوم أن تضطر الظروف الإنسان لأن يعيش على غير المستوى المادي الذي يريد بتفاصيله من سيارة ومسكن وأثاث ومأكل ونزهات، لكن من غير المفهوم أن يكون مدبرًا في شأن العاطفة، ويجعل شريكه يعاني من هذا النوع الغريب من الحرص.

البحبوحة العاطفية أن تهتم بالتعبير العاطفي، تهتم باستغلال الأوقات السعيدة لإعطاء شريكك في الحياة منحة عاطفية، أن تمرر في شرايينه شيئًا من النشوة والأنس بك، ألا تستخف بأمر العاطفة ولا باحتياج شريكك لها، بأي حجة، لأن نضالك في النهاية في الحياة، نضال السعي، هو نضال الجميع، لكن غيرك يعيش، وأنت اخترت طواعية أن تسعى فقط.

البحبوحة العاطفية أن تنصت لشريكك بشكل جميل، أن تهتم بتقديم الهدية مهما كانت بسيطة، أن تحاول أن تنفرد به بنزهة ولو في حديقة مفتوحة، أن تربت على كتفه، أن تقبل رأسه، أن ترسل رسالة رقيقة فجأة، أن تعبر عن بالغ حزنك في وقت آلامه بدلًا من أن تثبت مدى صلابتك، أن تبوح له بما يؤلمك بدلًا من أن تثبت مدى قوتك، البحبوحة العاطفية أن يحب شريكك أن يراك، وينتظر عودتك، لأنك بالطبع تختلف عن الجميع في عمق شعورك به.

أن يُـرَى عليك

هناك نوع من الناس، إذا اشترى الواحد منهم سترة أنيقة غالية، وفرها لـ (الأيام القادمة)، لدرجة أنك لا تكاد تراها عليه، وتظل هذه الأيام القادمة أيامًا قادمة، وهكذا الأمر على مستوى المشاعر، هناك من يوفر للأيام القادمة التعبير عن أجمل وأرقى عواطفه، إلى أن يأتي وقت يفاجأ فيه بأن من كان يريد أن يرسم على وجهه فرحة مدهشة من أثر كلمة حب يقولها له دون أي تحفظ قد رحل، رحل ولم يسمعها. هناك من يتمنى لو عاد إليه أبوه، وهناك من يتمنى لو عادت إليه أمه، وهناك من يتمنى لو عاد إليه شريك حياته.

الحب الحقيقي، الذي يستحق التعبير عنه، حب الأب، حب الأم، حب الابن، حب الزوجة، حب الصديق الوفي، ليس شيئًا معلقًا على الشماعة مثل السترة الغالية، الحب الحقيقي لا بد أن يُـرَى عليك، ويأخذ رسمة روحك ويلقط رائحتك، مثلما تأخذ السترة التي ترتديها رسمة جسمك، وتلقط رائحتك، لا ينفع أن تقول عندي حب، بل الصواب أن تقول عليَّ حب، لو كنت تعرف كيف تحب.

حاضر غائب، وغائب حاضر

شريك الحياة الغائب في بلاد الله قد يتفوق في مقدار الطمأنينة والرضا والكفاية التي يوفرها لشريكه عن شريك الحياة الحاضر الذي ينام على نفس الوسادة ويشم شريكه رائحة قميصه طيلة اليوم على مقربة. ومن يتفوق عليه غائب عليه أن يراجع نفسه.

شريك الحياة الميت ذاته قد يتفوق على هذا الشريك الحاضر ببدنه الذي يتناول مع شريكه الطعام على المائدة، الذي لا يكاد يوفر شيئًا من حاجات الشريك العاطفية، ولا يدعمه، ولا يؤنسه.

ومن يتفوق عليه عكاز رجل ميت تركه خلف الباب، وتعمل الزوجة لهذا العكاز ألف حساب، ولا تسمح لأحد أن يلهو به، عليه أن يبكي على نفسه.

ما تستطيع أن تقدمه بحب

يعمل بعض الرجال منذ بداية الحياة الزوجية، وبإصرار لا يعرف متى نبع فيه، على استنزاف ما في روح زوجته من طفولة وإشراق ولهو ومرح ورومانسية ورغبة في الانطلاق العاطفي معه، ناظرًا إلى هذه الأشياء باعتبارها مخلفات (البنت) التي كانت، والتي يجب أن تلقي بها الزوجة الطيبة الرصينة على الباب، ولا تحتفظ منها إلا بالقليل الذي يكفي احتياجات لقائهما الحميمي لا أكثر؛ وبعد أن تفتقر روح الزوجة بعد مدة لهذه العناصر النفسية الضرورية، جراء ذلك الاستنزاف وعدم التجاوب، وتصير الزوجة من ناحية الروح في أخفض درجات الأنثوية، كمثل بئر لم يبق فيها من الماء إلا ما يبلل القاع، يشعر الزوج بعدها بشيء من الظمأ يدب في عروقه لهذا الشيء الذي أهدره متعمدًا، ويبدأ في البحث عنه ولو في أحلامه المضطربة وهو يشعر بالظلم!

لذا نقول إن رغبة الزوجة في العيش العاطفي الرغد مع الزوج هو شيء لا يجب أن ينظر إليه بأي قلق، وعليه ألّا يصدقها عندما تقول إنها ترغب في تعبيرات ومشاهد رشيقة كالتي في المسلسلات المدبلجة، هي فقط تشير إلى مناطق الري التي ترغبها، ولا تقصد أن تتحقق لها حياة كهذه الحياة الممثّلة، هي فقط تريد أن تقول إن هناك شيئًا جلالًا من السعادة ينقصها، وهذا الذي تطلبه في الحقيقة لا يتطلب وقت الجد إمكانات المنتجين ولا وسامة الممثلين، بل يكفي في تحقيقه بعض الكلمات الطيبة، والبسمة الحنون، والتنزه ولو في محيط الحي،

ومراجعة الأيام الحلوة، وأن تقهقه في بيت أهلها وأنت بينهم كأنك منهم، وأن تكون أقرب الناس إليها في لحظات الحزن والمواساة، وأن تجس حرارتها بيدك على جبينها إن مرضت، مبديًا أسفك، ولا تكتفي بعرض الذهاب للطبيب. هي ستقول لك إنها تريد رومانسية كهذه التي تراها في الشاشة، فلا تشعر بالإحباط ولا تتهكم منها وتزداد بعدًا عنها وبراءةً من أفكارها وعالمها، فهي سترضى منك بما تستطيع أن تقدمه بحب.

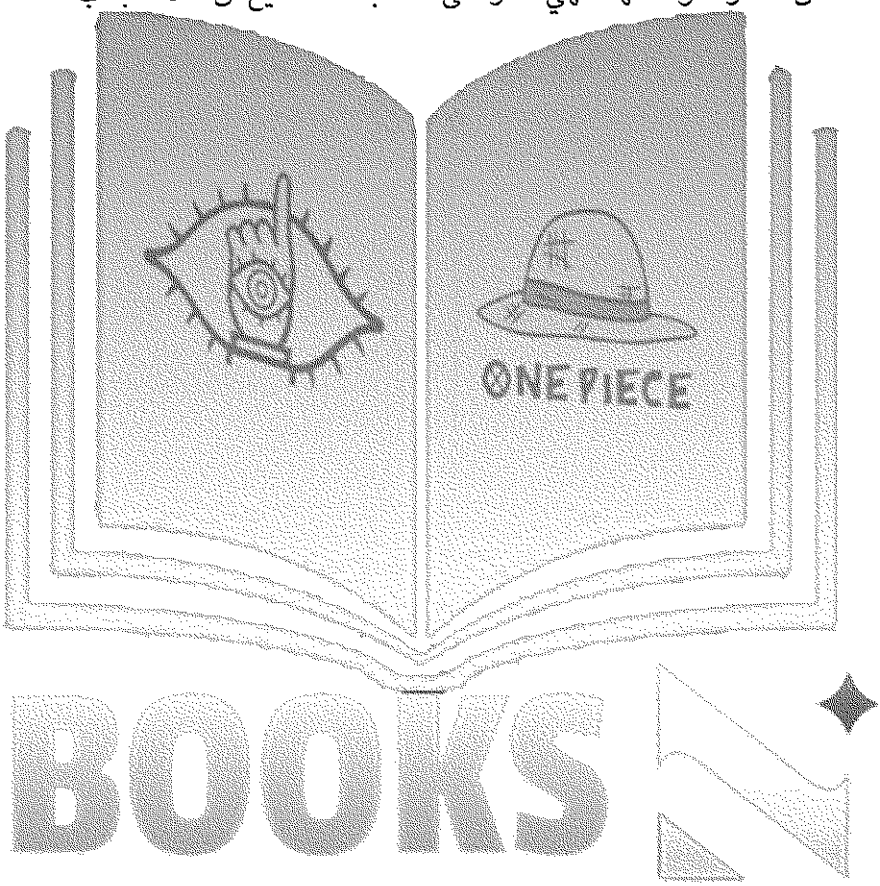

الحرمان المخيف

من مشكلات البيوت، التي أظن أنها موجودة بنسبة ليست قليلة، هي عدم وجود أي قدرة معتبرة عند الشريك للتعبير عن الاهتمام الشخصي بشريكه، وعدم وجود رغبة للبحث عنه داخل البيت، وعدم القدرة على مغازلته والتودد إليه، وعدم القدرة على التعبير عن الإعجاب بأي شيء من الملامح أو الجسد أو حتى الذوق في اختيار الملابس، أو العطور. كل ما لديه من تعطش هو وقت الاستثارة، وتحت إلحاح الجسد لا غير، وفيما عدا هذا فهو لا يراه تقريبًا إلا كما يرى الإنسان السائر فوق الرصيف إنسانًا آخر يمر قبالته، تلك الرؤية الخالية من أي شيء.

إن الذين هم هكذا لا يظنون أن هناك مشكلة على الإطلاق، وهم ماضون في جهلهم بحاجة الشريك بقلب مطمئن، وإن ألمح إليها الشريك لا يفهمون، وإذا صرَّح بها، صرَّح برغبته في أن يتوجه إليه شريكه بغير حرٍّ الشهوة، تعجبوا واندهشوا، وظلوا على إيمانهم الحسي العقيم بأنه ليس ثمة مسرات أخرى بعد طعام الشريك وبعد جسده.

إن الشريك في هذه الحالة يعاني من حرمان شديد، حرمان مخيف، يعيش به في أجواء صعبة في هذا العصر، ومن حق أي إنسان تزوَّج أن يأخذ قدرًا معقولًا من الاهتمام والحنو، أن يرى نظرة طيبة لوجهه، أن يشعر في عيني شريكه بشيء بهي من الأنس به، ألّا يكون بالنسبة له مجرد إنسان يؤدي الغرض، وكان بالإمكان أن يكون هنا أحد غيره، أي أحد والسلام.

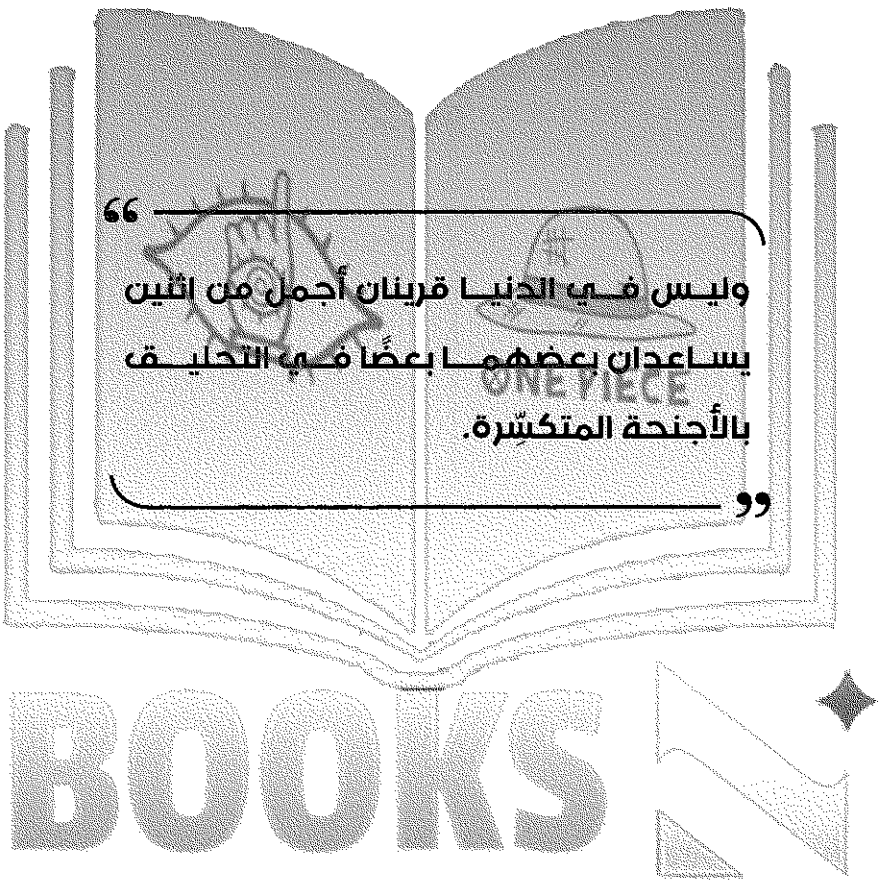
"
وليس في الدنيا قرينان أجمل من اثنين
يساعدان بعضهما بعضًا في التحليق
بالأجنحة المتكسّرة.
"
ONE PIECE
BOOKS

أيام تجعلك جذابًا

إذا لم يكن الزوج جذاب الملامح، فإنه ليس بحاجة إلى عمليات تجميل حتى تنظر زوجته إليه بنوع من الرضا والقناعة والولاء، فهناك أيام تفعل ذلك.

أيام ارتباكه في مرضها وخوفه عليها وسعيه بها للمداواة كما لو كانت طفلته.

أيام مواساته لها في أحزانها وحنانه معها وهو يربت عليها ويحيط بها ويحثها على الصبر.

أيام وقوفه للدفاع عن كرامتها باعتبارها كرامته وعدم سماحه لأحد مهما كان بأن يؤذيها وينال منها.

أيام سعيه لشراء الأشياء التي وجد عينيها متعلقة بها عبر زجاج الفاترينات، والتي خجلت من طلبها لضبط المصاريف.

أيام اهتمامه بأهلها وشؤونهم ووقفاته الرجولية معهم.

وتلك الأيام التي قلقت من نومها صباحًا، فوجدته يتحرك في الغرفة بهدوء، حريصًا على ألّا يوقظها؛ لأنها قد نامت متعبة.

الوفاء للنهاية

الأصل في العلاقة الزوجية بين مؤمن ومؤمنة هو أن أتوقع من شريكي الوفاء للنهاية، أن أتوقع أن يحمي للأبد ثقتي بنفسي، أن يكابد بكل ما يستطيع حتى لا أحزن على التغيرات السيئة التي حدثت لي.

إذا ازداد وزن الزوجة المؤمنة، لا يليق بزوجها المؤمن أن يقول لها: من يراك بجانب زوجة أخي يظنها بنتك من بعد أن سمنتِ.. أنا لا أطيق أن أراك الآن قادمة تجاهي بلحمك المترهل.

كذلك إذا تعرض الزوج المؤمن لأزمة مالية، لا يليق بامرأته أن تقول له: ضعت وأضعتنا معك، وأنا لا أتحمل هذا الشقاء، فإما تصرفت وإما تركت لك هذه المخروبة.

إذا كان الطرف الآخر المؤمن في العلاقة حساسًا وليس متبلدًا أو متكيفًا مع سوء الحال فإن استفزازه وتهييج أعصابه وإشعاره بالإهانة عن طريق إبداء الامتعاض منه والزهد فيه ووضعه مهزومًا في مقارنة؛ هو من عدم الوفاء بغير شك.

يستعين المؤمن بالله في توجيه شريكه برحمة ولطف ومودة، فيقول الرجل لزوجته التي سمنت: هيا نحاول معًا أن نعود لوزننا كما كنا وقت العرس، فأنا أيضًا أحب أن أتخلص من هذا الكرش الذي بدأ في الظهور. هيا نعيد لأنفسنا صورتنا الأولى قدر المستطاع.. أنا أريد أن تشجعيني وأشجعك.. أنا حريص على ذلك لأنه يسعدك.

وتقول المرأة لزوجها الذي ضاقت به الأحوال: تعال نفكر معًا في الخروج من هذه الأزمة.. من المهم جدًّا أن تخرج منها لأني في حاجة لأن أرى مرة أخرى وجهك الرائق الذي كان لك قبلها.. أنا معك حتى تقف على رجليك.

إذا لم تجد هذه الرحمة فيك، فتخيل أنه قد يصيبك مستقبلًا -لا قدر الله- ما يثير الزهد فيك.. ولن تحب وقتها إلا أن تجد إحسانًا.. فأحسن كما تحب أن يُحسَن إليك.

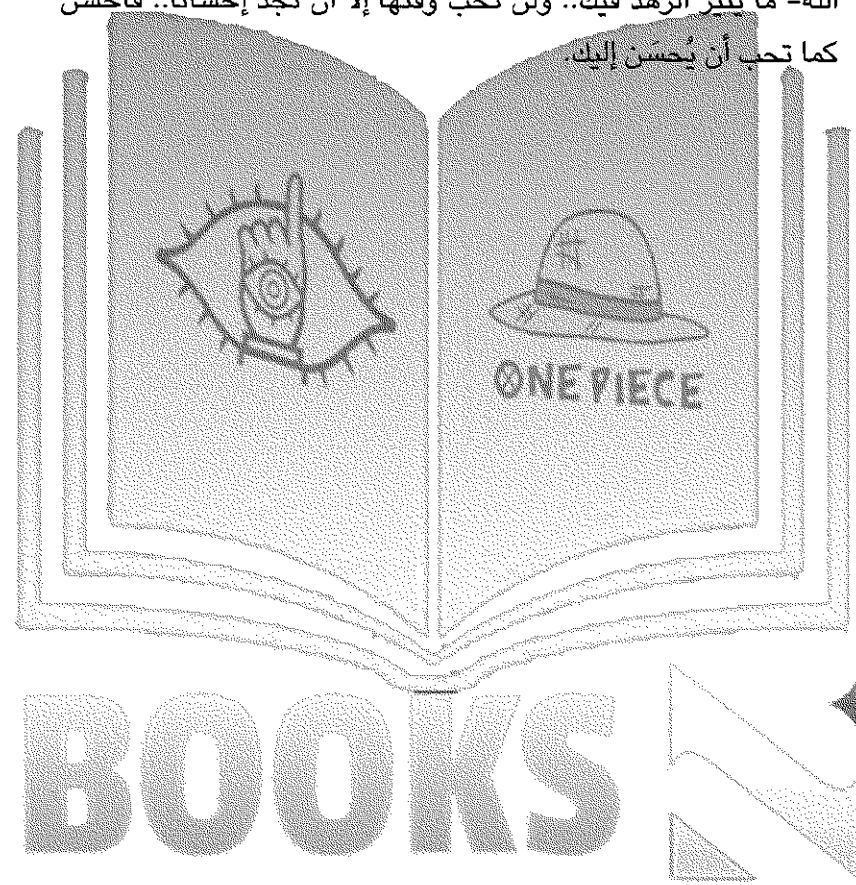

سعادة البذل

إن الحياة الزوجية السعيدة لا يبنيها التربص والشروط وأن يضع كل طرف ما يقدمه في ميزان الذهب، بل تأتي السعادة عندما يغلب الحنان والتعقل على الشريكين، حتى يقدم كل منهما ما يستطيع للآخر بنفس الروح الكريمة الطيبة التي تقدم للأبناء بغير شح وتسجيل للمعروف، وبغير ترقب للنتيجة.

اتفقا فقط على أن تكون روح العطاء بينكما هي نفس الروح التي ترعيان بها أطفالكما وتسعدان بما تقدمانه لهم أكثر مما تسعدان بالأخذ منهم.. فالسعادة في البيوت التي يستريح بها القلب هي سعادة البذل.

حديقة رجولته

كان لي صاحب عندما خطب كانت خطيبته تطلعه على كراسة الرسم وقد رسمت فيها إوزة وبطة كطالبة ثانوي صغيرة.

وكان يضحك، ويهبها ثقة في نفسها، حتى صارت بعد الزواج ومرور السنين، تخطط معه، وأحيانًا ما يكون رأيها أصوب من رأيه.

الرجل هو الذي يعطي دفعة نمو عقلي ونفسي لزوجته، أو يجعلها خاوية للأبد.

ونصيحتي إلى أي شاب اقترن بشابة صغيرة في السن يشعر بفارق في التفكير بينه وبينها أن يهبها ثقة في نفسها، ويقدرها، فإن الشابة تكبر وتنضج وتتفتح إذا ما عوملت بتقدير، أما التي سيدير زوجها وجهه عنها لأنه يشعر بأنها خاوية، ويبدو عليه الندم، فستفقد ثقتها بنفسها، وتنطفئ، وتهزل روحها، وتبدو أمامه أكبر قليلًا من طفلة، طفلة حزينة تقوم بالواجبات المنزلية.

ارعوا من عندكم برجولة ونبل، واجعلوا الواحدة منهن تشعر بأن حلالها يثمِّنها، ويقدِّرها، وأنها تفتَّحت في حديقة رجولته.

الحنان والظل

عامل زوجتك بشيء من الأبوة الدافئة المستوعبة، وعامل ابنك وابنتك بشيء من الأخوة المرحة المتسامحة. لا تقدم الحنان بيد بخيلة، مثل الشحيح الذي يحل كيسه المربوط على بطنه، ويخرج منه القروش وهو متحسِّر، فإن القسوة تقتل كما تقتل الشمس الشديدة النبات الأخضر في الحقول، قدِّم لنباتك الحنان، وافرد عليه ظلالك، حتى يتضح له أنك كل شيء، وأنك الظلال الرحيمة، وغيرك الضلال.

ONE PIECE
BOOKS

التشبه

الود والارتياح بين الزوجين لا يتغذى فقط على (الشبه) بينهما في بعض الطباع وبعض الاهتمامات، ولكن يغذيه أيضا شيء لا يقل أهمية عن الشبه وهو (التشبه)، بمعنى أن يعجب أحدهما بصفة في الآخر ويعمل على اكتسابها، كأن يعجب الرجل بكون زوجته مدبرة، ويوافقها على هذا التوجه، ويبدأ في اكتسابه، وكلما وجد ثمرة طيبة لهذا التشبه في حياتهما المشتركة ازداد اقترابًا وامتنانًا. وكذلك أن تتشبه المرأة العاطفية التي تأسى على تغير الصاحبات معها بزوجها الذي لا يفكر في أحد أعطاه ظهره.

وهذا أحد مواطن الجمال في العلاقة الزوجية: أن تستعين بموطن القوة في شريكك كي تصير أفضل في مواجهة الحياة والناس.

وما لا يعطي فرصة لهذا التشبه كي يجعل حياتنا أكثر إبداعًا هو دخول الزوج والزوجة إلى الحياة الزوجية بإيمان كامل بالنفس، وإحساس بأن المطلوب من شريكه أن يسره ويسايره لا أن يعمل على تغيير شيء فيه.

خيطوا شقوق العلاقة الزوجية بالتشبه بينكما بما فيه الصلاح والخير، وآمنوا بمواهب بعضكم بعضًا.

عذوبة المواقف

أهم علامات الحب الحقيقي ليس أن يتكلم المحب مثلما يكتب البعض في الصفحات الوردية والحسابات الناعمة، ليس الحب هو اللغة العارفة في الرقة والحروف الشبيهة بالفراشات، والجمل المعطرة التي تنثر الورود، وإن كان كل هذا جميلًا. الحقيقة أن الشهامة معك، والحراسة لك، والتضحية من أجلك، أو كل ما يسميه المصريون (الجدعنة) هي أهم علامات الحب كلها، حتى لو لم يكن اللسان بطبيعته مجيدًا للغزل والترقق.

لو كانت الزوجة تغار على كرامتك، وتقف معك بأقصى قدرة عندها، ولا تتحمل فيك كلمة، ولو كنت أنت كزوج، تجعل الأولوية لما تحبه هي، ولا يهون عليك حرمانها من شيء تشتهيه، فهذا دليل على حب كبير بينكما، فلا تسخط لأن الآخرين يسمعون كلمات أجمل من التي تسمعها، فللمواقف عذوبة تغلب عذوبة اللسان، وليس كل الناس يستطيعون التعبير عن أجمل ما بهم. الشهامة، والخوف عليك، والفرح بانتصاراتك، والتعصب الجميل لك، كلها معًا هي المبرر الأقوى للاستمرار، وهي الشيء النادر الذي إن وجدته لا تفرط فيه.

كفة الإخلاص

قبل أن تعطي درجة لأي حد من المقربين منك، صديقًا، أو زوجًا، ضع في كفة إخلاصه لك، وبكاءه على ما يوجعك، وغيرته عليك، ودفاعه عنك، كل هذه الأشياء التي قد تنساها وهي ذات وزن عظيم!

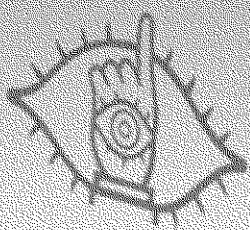

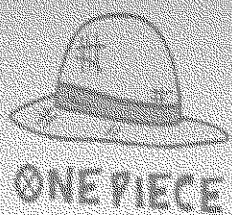

ثقلت دموعها

عدت مرة من العمل إلى البيت، باديًا عليَّ نوع من الهدوء المبالغ فيه، كأني مهدود القوى، وفي وسط الحديث بيني وبين زوجتي، وما كنت أنوي أن أبوح، قلت لها إنني دخلت بوجهي بكل اندفاع في باب من الزجاج في العمل، لم أنتبه أنه مغلق، فألم بي شيء من الدوار، والألم ينبض في جبهتي، فانخرطت في البكاء على الفور، رغم أني دخلت عليها سليمًا أمضي على قدميّ، وأخذتْ وقتًا وهي تبكي بحرارة، وأنا أهدِّئ فيها، وأطمئنها، وأقول لها إنني بخير، وقد ارتبكت من انهمار الدموع، وصوت نحيبها الذي يمزّق القلب. حدث هذا منذ مدة، وللآن، ورغم أنها فعلت أشياء كثيرة رائعة طاعنة في الإخلاص، إلا أن هذا البكاء لا أنساه، أبدًا لا أنساه، وكلما وضعت أمامه أي موقف ضايقني ثقلت دموعها ونزلت بالكفَّة.

أن تحب زيارة أهلك

لا بد أن تعمل الزوجة على أن يحب زوجها بيت أهلها، بأن تدلله هناك وأن تكرمه أمام أهلها وتظهر اهتمامها به، وعلى الزوج أيضًا أن يجعل زوجته تحب أن تزور أهله معه، بأن يظهر لها الود والرفق عندهم، ولا ينشغل بالممارسات السطحية التي يثبت بها رجولته معها أمامهم بخشونة الصوت والحزم وكثرة الأوامر، هذا حتى لو كانت أمه تتلذذ بذلك، وتحييه عليه بنظراتها، فهي لا ترضى أن يفعل زوج ابنها هكذا ببنتها لإثبات رجولته. الصحيح أن تكرم زوجتك أمام أهلك حتى يعتادوا على ذلك ويعتادوا على أن أسرتك أسرة قوية لرجل واثق لا يحق لأحد أن يعتبرها أسرة تابعة مستباحة يشارك في صنع قرارها. الحقيقة التي لا يدركها بعض الرجال أن إذلال الزوجة للأهل لا هو من بر الوالدين ولا هو من قوة الشخصية.

كل من الزوجين عليه أن يعتبر شريك حياته زائرًا كريمًا لبيت أهله، لا أن يستعيد الذكريات الجميلة لعيشه الأول في بيت العائلة من تجاهل وجوده برفقته.

أن تحب زيارتك لأهلها

من الإحسان المتبادل بين الزوجين ألّا تجعل شريك حياتك يحمل هم أي تقلب في مزاجك يظهر عليك عندما تكون معه عند أهله، بسبب مكالمة جاءت أو هم من هموم العمل، أو أي عبوس قد يساء تفسيره، وألّا تجعله دائمًا بلسانه يدفعك عندهم لإثبات أنك مهتم بهم وتسأل عنهم ومتأثر بما يؤثر عليهم، ويوجهك للمجاملة والكلام الطيب، ويضع الكلام على لسانك، بينما أنت لا تهتم بأن تثبت شيئًا من تلقاء نفسك، فهذا أمر محبط ومحرج للرجل والمرأة على حد سواء، ويجعل شريكك يتهمك في قرارة نفسه إن كان هذا طبعك بأنك أظهرته أمام أهله في مظهر العجز، وهو شيء يصعب عليه أن يغفره، وبخاصة إذا ما كانت الأمور مع شركاء الأشقاء والشقيقات تسير بشكل أفضل.

حماية

الزواج علاقة حماية، حماية الرجل لزوجته، حماية المرأة لزوجها، لكن بمعنى واسع للحماية. وهذه الحماية لا تتطلب بالضرورة حتى أن يكونا معًا، فقد كانت المرأة تحتمي في زوجها وهي تسمع شريط الكاسيت الذي أرسله من الخارج، تتقوى به، وتستند إليه، وتفكر فيه، وتفكر معه، بل قد تشعر الزوجة بحماية زوجها الراحل لها، متوفرة تلك الحماية في أبنائها الأبرار منه، وفي أشيائه التي تعزيها عن غيابه، وعلى النقيض من ذلك قد لا تشعر الزوجة أن زوجها يوفر لها أي حماية وهو يعيش معها تحت سقف واحد، وقد لا يشعر الزوج بذلك أيضًا، فلا حماية الرجل لزوجته تتوقف على الإنفاق وحده، الإنفاق الذي يحميها من الفقر والحاجة، ولا حماية المرأة لزوجها تتوقف على العطاء الجسدي، العطاء الذي يحصنه ويقيه الوقوع في الزلل، الحماية هي أن تشعر أن الآخر يفكِّر فيك، ويحفر في الأرض بحثًا عن سعادتك ورضاك، ويشعر شعورًا قويًّا بوجودك معه، ويراقبك مبتسمًا عندما تفرح أو تنجح. وأجمل ما في الحماية عندما تكتمل هي أنك تعتاد على أن تحمي الآخر، حتى تحتمي بحمايتك له، وتشعر بالهلع والضعف إذا ما غاب عنك، فلا تعرف من فيكما يحمي الآخر.

جبيرة

الزوج جبيرة الزوجة، الزوجة جبيرة الزوج، جبيرة النفس، والروح، والضمير... وكل منهما من المفترض أنه أدرى بخريطة الأوجاع عند الآخر، ويرى دمع شريكه الذي منعه الكبرياء ولم ينزل.

جزء من الرعاية والحماية بين الزوجين هو أن تعمل على علاج شريك حياتك من الصدمات الصغيرة والكبيرة التي تضعفه أو تهشِّم فيه، بالكلمة الطيبة، بالمواساة، بالتفكير معًا؛ أن تكون أنت الملاذ عندما يشعر أن الدنيا كلها تعصره، وتضغط عليه، وتحطم ضلوعه.. أن تكون أنت مساحة اللجوء عنده في معترك الحياة.. أن تكون الظل الذي يهرب إليه في صحراء العمر القاحلة.

هذا هو دورك ودورها.

فإن لم يستطع الإنسان أن يجبر الكسور ويضمد الجراح ويوفر الظل لشريك الحياة الذي قتلته شمس أيامه الحارقة، فعلى الأقل عليه ألّا يزيده تحطيمًا.

الرجل الصالح بحق يحرص على ألّا تشكو منه زوجته، ويتألم إن شكته حتى لو لم تكن هي على حق، ويرهق نفسه كي يثبت أنه غير جائر، أما من هو على النقيض تمامًا، فيكون الوحيد الذي تشكو منه امرأته لله، وهو مع ذلك لا يبالي طالما أنها لا تجرؤ على فعل ذلك في وجهه!

مشفقون

أجمل أنواع الأزواج والزوجات هؤلاء الذين إذا أنقصت الأيام من شركاء حياتهم، بسبب الفقر أو المرض، ازدادوا حبًا لهم وتمسكًا بهم، كأنهم آباء وأمهات يشفقون ويحنون على أضعف أبنائهم وأقلهم حظًا، إن هؤلاء هم الإنسانية إذا تفجرت!

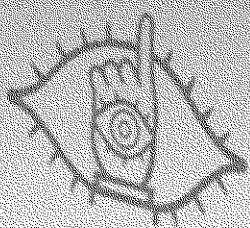

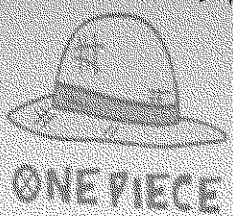

BOOKS

الأدب الذي يليق بالقوي

عندما يحمل اثنان شيئًا ثقيلًا، الثلاجة مثلًا، أحدهما ضخم البنيان، خشن التكوين، معتاد على المكابدة، والآخر رقيق الجسد نوعًا ما، ومرهف الشعور، فإن من أدب الذي زاده الله بسطة في الجسم، ومن فتوته، أن يتسع صدره ويتحمّل تعبير الآخر عن ضيقه، وكثرة تذمره الذي يعبر عنه بلسانه وعينيه، الذي يصل أحيانًا إلى الظن بأن الآخر لا يبالي، ويجور عليه في قسمة الأحمال بينهما.

الفتوة أن تقدّر طاقة الآخر، وأن تتحمّل حملك، وتتحمّل قبل حملك ضعفه هو ووصوله قبلك إلى الإنهاك. الفتوة أن تقدر لمن يحمل معك أنه قد وصل إلى مرحلة الإجهاد التام والمعاناة في سبيل ألّا يقع منكما ما تحملانه ويتضرر. الفتوة ألّا تجادله في تلك اللحظات التي يئن فيها، وألّا تثبت له أنك تحمل ما يجب عليك حمله وأكثر مما يحمل.

هل هذا يبدو نبيلًا، ومفهومًا، وفيه قدر من الفروسية والرجولة؟

حسنًا، هذه هي القوامة.

ما لا تقدمه المساحيق

هناك أشياء لا تقدمها المساحيق، الأمر أبعد من كثافة الرموش، وظلال الوجنات، وضراوة الشفاه، فبأي شيء تحلم؟! فالمرأة التي تنتظر رجوعك وكأنها طفلتك، المرأة التي ترضى منك بالقليل، المرأة التي تتفتح مثل وردة بأبسط كلمات الغزل منك، المرأة التي تنسى همومها إن أنت أسعدتها، المرأة التي تشعر وكأن الأعاصير قد ضربت أنحاء الكوكب إن أنت تعرضت للظلم، المرأة التي تشعر أنها امتلكت الدنيا لأنك بسطت يدك على كتفيها، هذه المرأة هي أمك، وهي كرامتك، وهي سترك، وهي أثرك.

BOOKS

أن تنمو الرحمة

الحياة الزوجية الخالصة الجمال والتامة النضج ليست هي التي تخلو من الخلاف، فهذا محال، إنما هي أن تنمو الرحمة في قلبك تجاهها، يومًا بعد يوم، حتى تصير بطول العشرة الطيبة مثل رحمتها بنفسها، أو قد تتأجج فيك بفعل الحب والعرفان والذكريات الجميلة والمواقف التي تبين أصالة المعدن، حتى تكون رحمتك بها أكبر من رحمتها بنفسها، بل أكبر من رحمتك بنفسك، فتصير أغلب وأعز وصاياك إليها أن توصيها بنفسها، وتطالبها بحقوقها، بدلًا من أن تطالبها بحقوقك، وتذكرها بنفسها أكثر مما تذكرها بك. وهذا كله بالعكس أيضًا منها إليك، ينمو فيها ما ينمو فيك من الرحمة فتوصيك بنفسك أكثر مما توصيك بها، كأن ذلك الحب الفطري الذي يكون في قلب الإنسان تجاه نفسه قد تبادلتماه، فراح حبك لنفسك إليها، وحبها لنفسها إليك.

إن فطنة الرجل تُتهم إن لم يشعر من تلقاء نفسه بالألم الذي ملأ جوانح زوجته وبان على وجهها ونبرتها، ومنعتها كرامتها من التعبير عنه، ألم الاحتياج إليه، وإن عدالة الرجل تُجرح إن عبرت من بعد ذلك ولم يعط للأمر حجمًا، وظل على تقصيره، أما إن فاض بها الكيل من شدة الألم والاحتياج وطول الهجر، وبدأت تشكي همها معه لغيره، فإن كرامته تُخدش.

قمة الأنوثة وقمة الرجولة

قد يقضي الرجل وقتًا طويلًا وهو يبحث في النساء عمن تتمثل فيها قمة الأنوثة، المرأة التي تشبع رغباته كلها، ولكنه عندما يتزوج ويجهده المرض، يكتشف أن قمة الأنوثة هي في تلك الزوجة التي تسهر عند فراشه ترفض أن تنام وهو مؤرق في آلامه.

قد تقضي الشابة وقتًا طويلًا وهي تبحث في الرجال عمن تتمثل فيه قمة الرجولة، ذلك الرجل الذي تستسلم له بكل كيانها بدافع المحبة الخالصة، ولكنها عندما تتزوج وتزدحم في صدرها الأفكار، تكتشف أن قمة الرجولة هي في ذلك الزوج الذي يصبر على الاستماع إليها حتى تكتفي.

الجهل بتلذذ الزوجة

سنفترض أن هناك رجلًا دعا زوجته للعشاء خارج البيت، ويتوفر في هذا المطعم ميزتان رائعتان، الأولى تتعلق بالديكور والأجواء والقطع الفنية والشموع والكريستال، وكل ما يمكن أن يمثل لذة للبصر، والميزة الثانية هي أن الطباخين به يعدون وجبات لا مثيل لها، بحيث يمثل الأكل نفسه لذة حقيقية، وتجربة تذوق فريدة.

سنفترض في هذا الرجل أنه عملي إلى حد ما، وهو من النوع الذي لا تسحره المشاهد الخلابة كثيرًا، بالإضافة إلى ذلك فهو ليس من النوع صاحب الذائقة العالية في الطعام، وكل ما هو طعمه فوق الستين في المائة متساوٍ، المهم أن يعالج جوعه فقط.

سنفترض أنه كلَّف نفسه بسبب هذه الدعوة، ولكن لأنه غير مشدود للأجواء والإضاءة وخلافه، ولأنه يأكل بسرعة دون أن يعيش كصنف (الأكِّيلة) مع الطعم والنكهات الرائعة، أنهى طعامه خلال خمس دقائق، وفور أن شعر بالشبع، رأى أنه لم يعد هناك أي داع للبقاء، ونادى العامل لكي يضع الطعام لزوجته في عبوة من الكرتون لتحمله معها للمنزل، وهي لم تزل تتمتع بالمكان الساحر، وتنظر بسرور للشموع والقلوب، ولم تزل تتمتع بالنكهات والروائح الفريدة، وشعرت بغصة والرجل يلملم لها الطعام في العبوة الكرتونية؛ لأن الزوج قطع عليها المتعة دون مبرر كافٍ.

هنا نقول إن الزوج صاحب تلذذ متواضع قياسًا إلى زوجته، وهذا في حد ذاته وارد ومقبول، ولكن مشكلة الزوج هنا هو الجهل بالتلذذ، تلذذ الآخرين، وهي الزوجة هنا، أي عدم القدرة على إنعام النظر في حاجة الآخر، وغض الطرف عنها، بل استهجانها وقت اللزوم دفاعًا عن النفس، واعتبارها متطرفة ومفرطة؛ لأنه يقيس الأمور على نفسه.

لو مددنا الخط على استقامته، سنجد أن هناك جهلًا منتشرًا جدًّا، بدرجة مخيفة، داخل البيوت، بخصوص التلذذ الحسي بين الزوجين، فالرجل الذي أكل بسرعة ليعالج جوعه، هناك مثله من يكون حريصًا على علاج رغبته والتخلص منها بغير مقدمات عاطفية، ولا حتى قبلة واحدة، بجهل تام ومرعب بالشريكة، التي تكون في تنغيص أشد من تنغيص التي حملت وجبتها إلى البيت، جهل بتلذذها، وعدم إنعام النظر فيه، وغض الطرف عنه، بل استهجانه إذا ما ألمحت إليه كحق مشروع.

الأمر يعتبر جريمة في أحيان كثيرة، جريمة يتم ممارستها على مدار سنوات، وظلم واضح لا يراه من يقعون فيه كذلك، وهو يترك تداعيات نفسية شديدة الخطورة في أحيان كثيرة.

الزواج هو في جزء منه مراقبة تلذذ الآخر، ومحاولة الانسجام معه؛ لأنه لا يمكن أن يكون الزواج رائعًا وهو قائم على حرمان مستديم، وهو حرمان لا يبرره مرض جسدي، بل سببه الوحيد هو (الجهل) بتلذذ الآخر، الآخر الذي لا يجب أن يكون أكثر من شيء يدب فيه الروح في الغرفة، أي أفضل قليلًا من وسادة.

من باب الهدية

بعض الرجال، وبسبب التنشئة في الغالب والجو المحيط، يتزوج بغير شروط عاطفية تقريبًا، أي فتاة تتصف بأنها قنوع وهادئة وحمول، وممكن أن يكون من الناحية الوجدانية ابنًا صالحًا جدًّا وأخًا ودودًا تمامًا، ولكنه لا يضم زوجته مهما بدا عليها من ولاء له ضمن الدائرة الضيقة من الناس الذين يمكن أن يحاسب نفسه إن قصَّر معهم، أو من الناس الذين يوجعه عتابهم إن عاتبوه، فعلاقته بأهله (الأب والأم والإخوة) هي علاقة روحية، أما علاقته بها فلا ترقى لذلك، وهو يظن أنه من كمال الرجولة والرصانة ألّا يسمح لها بأن ترقى تلك العلاقة كي تكون علاقة روحية.

إنه لا يسأل نفسه من تلقاء نفسه عن حقوقها عليه، أي حقوق حتى حق الفراش، فكل ما تأخذه منه سواء من مال أو كلمة حلوة فلتت منه أو علاقة حميمة أو نزهة، هو من باب الهدية التي جادت بها نفسه، فهو من وجهة نظره تزوجها، وهذا أفضل ما يمكن تقديمه.

هذا نوع من الرجال أدرك وجوده جيدًا، وليس كل الرجال هكذا طبعًا، هذا النوع يحيا بتخيل مشوش تجاه معنى (الزوجة)، ويريد أن يموت به، ويميت من معه حيّة به؛ هذا النوع لا يفعل هذا وهو متلذذ بالظلم، بل هو يجهل هذا الظلم، ويتخيل الأمر على نحو بسيط بدرجة مزرية، كهذا الذي يصف زواجه بأنه شبه صوري؛ لأنه مغترب ولم يجمعه بزوجته خلال السنوات الماضية إلا بعض الأيام، ومع ذلك فهو يفكر في النزول

فقط بسبب إلحاح أبويه الشيخين، أما هذه المحرومة، ففوق البيعة، فهو عندما سيعود لأبيه وأمه سيجدها هناك أيضًا، فتفكيره فيها تلك الزوجة الشابة التي هو بعيد عنها مدة طويلة، والتي تخدم أبويه، لا يزيد كثيرًا على تفكير الرجل المغترب في شريكه في محل خردوات صغير يجب أن يجدد الود معه ويرى كيف صارت أمور الشراكة.

وأنا لا أتكلم عمن ساقتهم الظروف رغمًا عنهم للتقصير، أسأل الله أن يقويهم، بل أتكلم عن مقصِّر لا يهمه كثيرًا أنه مقصِّر؛ لأن الزوجة من وجهة نظره يكفيها أنها زوجة، أتكلم عن ضعف التصور لحقوق الزوجة، وضعف التصور لاحتياجاتها، وضعف الأسف تجاهها، وعدم وجود رغبة قوية لتحويضها عن أي أيام صعبة، أتكلم عمن يتمعَّر وجهه إن كلمته عن حقوق الزوجة، فيكلمك عن حقوق الوالدين، كأنك عندما تطلب منه الإحسان للزوجة تأمره بعقوق الوالدين، كأن الكلام عن حسن معاملة الزوجة يهدد عالمًا يعيش فيه منذ الطفولة، بينما الحقيقة أن القادم هو أنه أب مثل أبيه، وأن زوجته ستكون أمًا يراها أبناؤها بالدنيا وما عليها، وهو كما هو مسؤول عن حسن معاملة أبويه، مسؤول عن أن يوفر لأبنائه حياة أسرية تسمح لهم بالشعور بأن علاقتهم بالأب والأم روحية.

مستوى الحماية

للزوجة حقوق عاطفية وحسية لا يصح للرجل العاقل أن يتطر لها باعتبارها أمرًا ثانويًا، وليس صحيحًا في أغلب الأحوال أن المرأة إن حملت وأرضعت واعتنت بطفل تتطفئ فيها تلك الحاجة العاطفية ولم تعد من ضمن اهتماماتها لدرجة يمكن معها إهمال تلك الحاجة، فبالرغم من أن تربية الطفل تشغل الأم وتكون في المقدمة من ضميرها ووعيها بذاتها؛ فإن الحب والحنان واللحظات الخاصة كلها تظل في بالها، وكل ما في الأمر أنه قد صار هناك نوع من الترتيب، بل إن قوة شعورها بأنوثتها وبأنها مقدرة ومرغوبة كامرأة، يجعلها تمارس عطاءها الأمومي بقدر أكبر من الاغتباط والانسجام والتقدير للذات.

الإيمان بأن الخوف الوحيد على المرأة إن لم تنل حقوقها العاطفية على نحوٍ مرضٍ هو خوف من الانحراف والخيانة، وبناءً عليه فإنها إن لم تنحرف وتخن زوجها فلا بأس، هو إيمان ينطوي على درجة كبيرة من التسطيح، ومن الفهم الضحل للقوامة، ولمستوى الحماية التي يجب أن يوفرها الرجل لامرأته، فالفساد الذي قد يحدث لدين المرأة بسبب إهمال زوجها الصارخ لها بغير عذر، قد يكون له مظاهر أخرى أقل فجاجة من الخيانة، فلو هجرت القرآن وتركت وردها اليومي وتفرغت لسماع الأغاني العاطفية وعاشت بخيالها معها، أو بدأت تدمن مشاهدة المسلسلات الرومانسية المدبلجة، أو إن دب فيها الشعور بالفرحة بسبب أن أحد الشباب في الشارع أثنى على جمال عينيها، أو حتى مجرد أن تجلس في بيتها كئيبة متشائمة، كل هذه أمور يُحمَل همها، ويجب على الرجل أن يحمي زوجته منها.

“إن المرأة الطبيعية تحتاج إلى رجل يعتني بها، حتى لو بقيا على قيد الحياة بعد غرق سفينة، وسبحا منهكيْن إلى جزيرة وهما لا يملكان شيئًا. عدم امتلاك الرجل المبتل مثلها لأي شيء، وتفكيره في البحث عن وسائل العيش حتى يتم إنقاذهما، وخوفه من المصير، وكلها دوافع قوية، أقوى من دوافع أي رجل معاصر يعيش في المدينة ويصارع من أجل أن تتحسن أوضاعه، هذه الدوافع لا تعفيه من أهمية أن يبدو حنونًا ورقيقًا ومهتمًّا بها وحريصًا على أن يطمئنها، وهو يشعل بعض الحطب بالقرب منها من أجل التدفئة.”

رحلة الصعود

لا بد للزوج إن حدث تطور في ظروفه، فصار لديه المال الذي كان يهفو إليه، وصار رجلًا ناجحًا مرموقًا واثقًا من نفسه، أو حقق الشهرة التي كان يصبو إليها، وصار نجمًا لامعًا يوقفه الناس ويسألونه إن كان هو هو؟! لا بد له أن يصر على أن تكون زوجته بجواره تمامًا من أول رحلة الصعود ذات الفرح والضجيج والخفة النفسية، ولا يسبقها ولو بخطوات، ليعرِّفها على الوضع الجديد، ويصاحبها عليه منذ البداية، ويكتشفاه معًا، لأنه إن غفل عنها في مهرجان النجاح الصاخب، لن تنسى له أنه أهملها في الوقت الذي كان يجب عليه أن يطمئنها، ويهديها هذا النجاح، ويبدد خوفها من أن يعيد النظر تجاهها ببصر الفخر، وسيحتاج إلى بذل مجهود كبير كي يجبر هذا الكسر، وكي ينجو من تأنيبها، وربما كي يقاوم شعوره المباغت بالتميز عليها.

الهدف الأعظم

الشرود والانفصال النفسي عن شريك الحياة سعيًا وراء (الهدف الأعظم)، أيًّا كان هذا الهدف، هو نوع من العنف الهادئ الذي يمارسه الكثيرون، لدرجة أن الواحد منهم يشعر بالقلق من لحظات الهناء العابرة بينه وبين شريك الحياة حتى وهما على الكنبة يشاهدان التلفزيون؛ و(التأجيل)، تأجيل الرضا والدعة إلى أن يتحقق الهدف، هو غمامة يموت الكثيرون وهي على أرواحهم.. اسعدوا وارضوا، واخطفوا أي لحظة سرور عابرة، ولا تموتوا بالغمامة.

علاقة خطرة

هناك رجال تتكون بينهم وبين المال علاقة شديدة الخطورة، على حساب أي شيء في الحياة، ولا يتوقف الأمر عند عدم إحساس الواحد منهم بزوجته، بل يتخطاه إلى عدم إحساسه بأولاده أنفسهم، وعدم وجود رغبة أصيلة في التمتع بمباهج الحياة، بل عدم إحساسه بنفسه، ويتلبسه شعور طاغ بعدم الفهم لأيٍّ من تفاصيل الحياة الإنسانية، بما فيها قيمة الزيارات والود، ورغبة الزوجة في الثناء والغزل، وحب الأطفال للتدليل، ويظن الواحد منهم أن كل من يحيطون به مزعجون ويضخِّمون أشياء تافهة، أشياء لا ترقى إلى مستوى المال الذي هو سيد كل شيء. نذكِّر هؤلاء البخلاء التعساء المتعِسين بأن ما يتذرعون به للدفاع عن أنفسهم وهو أنهم من تاركي الميراث في النهاية، هو لا يكفي، فهم يتركون زوجات ممزقات وأبناءً مشوهي الأنفس، وذكريات مؤسفة عن رجل عاش ميتًا.

النفقة ليست كلها في الجيب

أن تجلس مع زوجتك في حديقة في جزيرة الشارع العام، في العيد، أو في يوم من أيام عطلتك، تتكلمان معًا وقد غلب عليكما الشعور بالانبساط والسرور بالرابط الجميل الذي بينكما، الذي يشبه الصداقة أو الأخوة، من غير دفع أي فواتير، هذا أحسن من أن تجلس معها في مكان راق وتطلبان الجاتوه والمشروبات ولا تتكلمان معًا كلمة واحدة، فهذا مشهد رأيته في العيد، بين زوجين يجلسان بالقرب مني أنا وزوجتي، لم ينطقا ولا كلمة واحدة، وكل منهما كان يعيش تمامًا داخل جدران ذاته. النفقة ليست كلها في الجيب، فجزء مهم جدًّا منها هو نفقة تواصل عاطفي، ورضًا بوجود الشريك بالجوار، وتواصل إنساني، ولو بحكايات طفولية وبسيطة.

الطلب الحقيقي والملحُّ غير موجود في قوائم الأطعمة والمشروبات، على كل المتزوجين أن يساعدوا بعضهم من أجل توفيره.

هو يريد أن ينهي وهي تريد أن تعيش

الرجل في العموم يكون له روح المقاول، بدرجات مختلفة بالطبع، المقاول المسؤول عن عمل طريق سريع بين مدينتين، عنده شروط هي بالنسبة له التزام، ولن يعطي هذا الطريق أكثر مما افترضوه عليه، وعنده هاجسان كبيران هاجس المال وهاجس الوقت، تشتد أعصاب هذا المقاول ويرى أشياء كثيرة سخيفة، المهم أن يتم يوميًا وبسرعة فرش الأسفلت للأمام. وبعد أن ينتهي الطريق، يتحول بالنسبة إليه إلى بند من بنود صحيفة أعماله، وإلى إيداع بالبنك، ويمكن ألا يفكر في زيارته على الإطلاق، فالرجل هنا هو المضي قدمًا، الرجل يريد أن ينهي، يريد أن يتخلَّص من التحديات الحالية.

المرأة في علاقتها بالأعمال التي ترتبط بكونها زوجة وكونها أمًّا، تعيش، تعيش وهي تعمل، لذا هي تذهب إلى الروضة وتعود إلى زوجها سعيدة بورقة ملونة لطيفة تحمل نتيجة اختبارات صغيرها الذي هو في الرابعة من عمره، إن هذا شيء أصيل في أمومتها، قد لا يهتز كيانك وأنت بروح المقاول، وربما تستهين بالأمر وأنت تنظر في شهادة طفلك هذا، وردية اللون، ومزينة بالنجوم والدباديب والفراشات، لكن فكِّر فيما ترى مرة ثانية، كعمل من أعمال أم، ستجد أنك يمكن أن تقدره بالفعل. يمكن أنك لا تحتاج إلى هذه الحفاوة بشهادة، ولكن طفلك في حاجة إلى هذا في نموه النفسي والعاطفي، يحتاج إلى هذا الاهتمام الفائق الجميل الذي يملأ كيانها. وتأكد أن تربية طفل أخذ حقه من الحب والحنان، هو عمل من أعظم الأعمال الإنسانية، وأعظم من مد طريق بين مدينتين.

هذه التركيبة العملية العَجول المتوترة، والتي لا تقدر أشياء كثيرة ما دامت ليست ضمن تحديات المسيرة، يتركها بعض الرجال على باب البيت، لكنها تدخل مع البعض منهم وتسيطر عليهم في حياتهم الأسرية، فيعيش الواحد منهم وكأنه يريد أن ينهي أي ساعة صفاء بسرعة، كأنه يهرب من رحيق السعادة العائلية كما لو كانت ذنبًا.

إذا جلس على المائدة، جعل هدفه أن يصل إلى الشبع، ولا يعطي أي أهمية إلى التحدث إلى زوجته وأبنائه أثناء الأكل، وفور أن يبتلع آخر لقمة يقوم كي يغسل فمه.

إذا ذهب مع زوجته لزيارة قريب مريض، جعل هدفه اقتناص لحظة مناسبة للاستئذان، وليس هذا من باب التخفيف على المريض، بل لأن واجب الزيارة تم ولو بأقل وقت، بينما تكون الزوجة أكثر مجاملة واهتمامًا بالمريض وأهله.

إذا خرج للنزهة مع الأسرة، جعل هدفه العظيم هو العودة بهم، بدلًا من أن يتمتع معهم بتغير الجو وعيش اللحظة، وغالبًا لا يكون صبورًا تجاه رغبتها في إطالة الوقت، أو إذا تلكأت أثناء العودة أمام واجهة محل ملابس، إنه يريد أن ينهي، وهي تريد أن تعيش.

إن الفكرة المسيطرة على الإنسان بأن ينهي كل شيء بسرعة، الرغبة في الفراغ من المهام، يجب أن يهزمها، وخصوصًا في الساعات التي لا يكون فيها هناك مبرر كاف لفعل ذلك.

الطعام الذي نأكله ونحن محاطون بأهلنا هو نعمة كبيرة، محروم منها المساكين والمغتربون عن أهلهم، والذين لا يستطيعون أن يأكلوا ذات ما يأكله صغارهم بسبب المرض، نعمة يجب أن نتعامل معها برضًا، وأن نشعر شعورًا جميلًا تجاه وجود الأطفال، الذين منحهم الله بنا الطعام والأمن والستر، وكذلك نشكر الزوجة على حسن طبخها. وأن

نزور أحدًا في مستشفى ونحن أصحاء فهذه نعمة، وكذلك أجر بإذن الله، لذا يجب أن نفعل ذلك بطريقة تعبر عن شكرنا لله. وأن يكون لدينا من فراغ البال وحسن الصحة والوقت والمال ما يسمح لنا بأن نخرج بأطفالنا والزوجة إلى مكان جميل فهذه نعمة محروم منها غيرنا، المقعدون، العاطلون والمفلسون، والمسجونون، ومن العيب ألّا نشكر هذه النعمة بأن نجعل هذا الخروج مبهجًا لمن معنا.

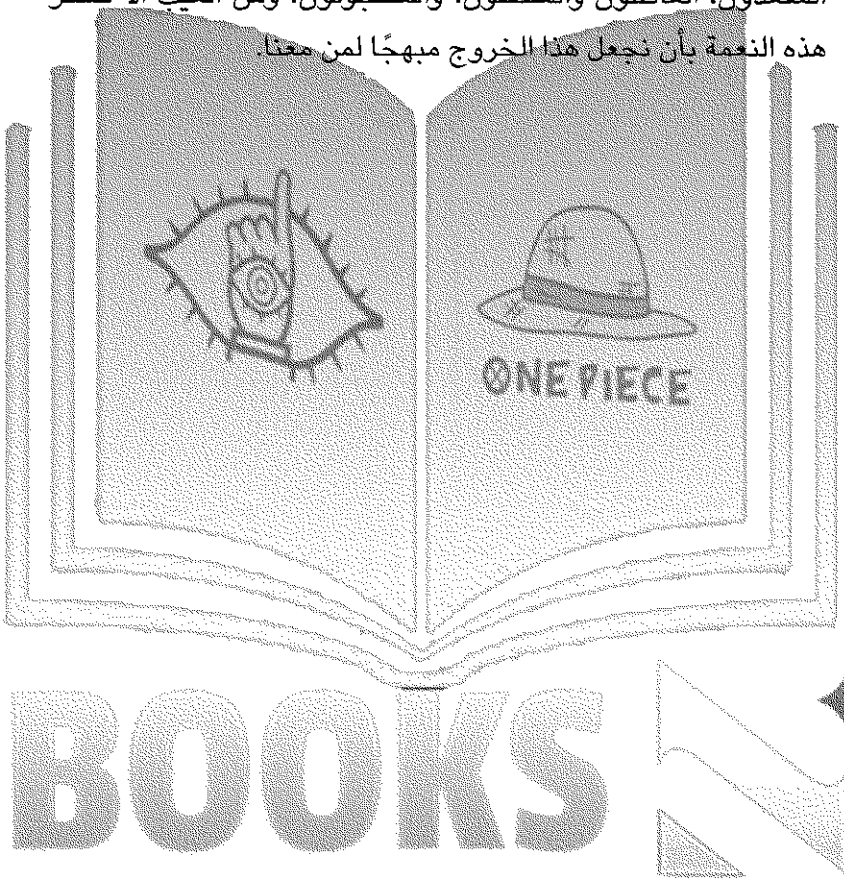

المرح أكثر جدية مما نظن

المرح بين الزوجين هو واحد من أفضل أمصال الحياة الزوجية، نعم، يتفوق حتى على كون الزوجين يخططان معًا ويجتهدان في تحقيق خطتهما؛ وهذه هي المفارقة: وهي أن ما يبدو هزليًا، يكون أكثر جدية وتعميرًا حتى من شراء البيوت. لم أسمع عن رجل فرّط في زوجة اعتاد على المرح معها وحافظ على طفولة روحها، لكن سمعنا كثيرًا عن زوجين اشتريا الأرض أو البيت بعد عناء وسنين ثم لم يعد بينهما شيء يذكر من العاطفة.

ضعا نصب أعينكما أن كونكما تمتلكان خطة تتعلق بمستقبل الأولاد، أو بتحسين وضعكم الاجتماعي، هذا شيء لا يتعارض مع عيشة المرح، بل إن هذا التعارض وهم في مخيلتكما قد يكلفكما الكثير.

أعرف صيدليًا كان محبًا للمال جدًا، وكان يبدو كأنه قد أقسم ألّا يلين أو يبتسم إلا بعد أن يصير ثريًا، وكان متزوجًا من صيدلانية مثله، وقال لها لا إنجاب حتى نغتني ونمتلك صيدليتين، ليس لدينا الآن ما نحب أن ننفقه على طفل، بل نضع القرش على القرش. فداومت على ما يمنع حملها من أجل أن ترضيه، وكافحت معه كفاحًا مريرًا في حياة لا مرح فيها، واندمجت في الحالة التي اختارها، وصارا شخصين يعملان ويعملان، ويأكلان من الشارع، ولا يبتسمان في وجه بعضهما بعضًا بحجة أن لهما خطة مقدسة، إلى أن امتلك في النهاية الصيدليتين كما

أراد، ولكن بعد أن راحت قدرتها على الإنجاب، فخرجت مرة واحدة من الحالة التي أدخلها فيها وكرهته وكرهت الكفاح وكرهت وجهه الذي لا يبتسم أبدًا من انشغاله بالادخار، ووقع الطلاق بالنهاية.

الولاء لا يُبنى فقط على الأفكار، ولا على وقوع اثنين على هدف يرونه عظيمًا يمكنهما العمل معًا من أجل تحقيقه، بل يبنى الولاء أيضًا وقبل هذا على من يمكن أن تنبسط النفس في وجوده، وتتجدد به الحيوية، لذا لا بد للزوجين أن يحرص كل منهما على أن يكون واحدًا من أكثر الشخصيات المرحة والداعية للتفاؤل في حياة الآخر.

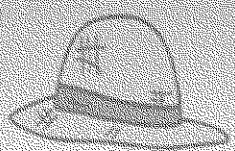

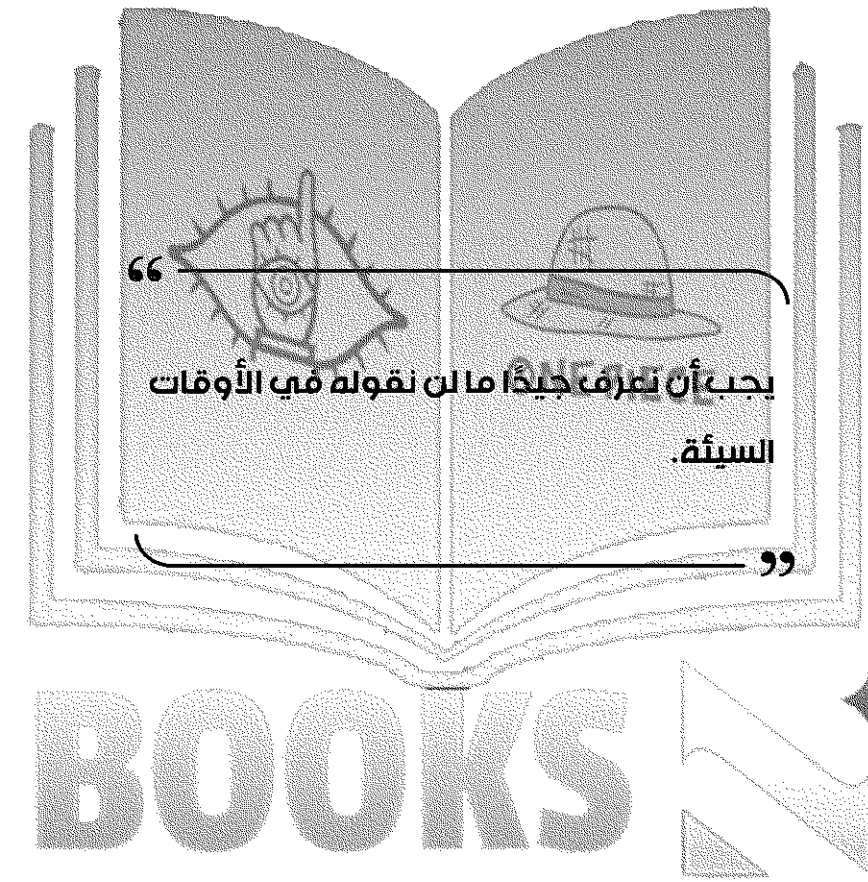

“يجب أن نعرف جيدًا ما لن نقوله في الأوقات السيئة.”

التعلم والصبر

لو أن هناك شيئًا يمكن للإنسان أن يتعلمه من شخص ما، أو من خلال جهة ما، وفي المقابل يمكن أن يتعلمه من زوجته، فالأفضل أن يتعلمه من زوجته، ليس لأنها الأكثر مهارة على الإطلاق من أي شخص وجهة، لا، بل كي تُغمس العلاقة الزوجية في الصبر، ويقل ضيق الصدر، الذي هو واحد من أهم أعداء الحياة الزوجية.

ولو كان الأمر بالعكس، وأنت المعلم، ولجأت إليك كي تعلمها شيئًا، فابذل أقصى جهدك وصبرك ورعايتك، لأن هذا يولد إحساسًا فريدًا بالجميل.

التعلم هو وسيلة لكسر الأنفة التي أحيانًا ما تكون موجودة بين الطرفين، وتذيب التحسس الزائد والوقوف على الكلمة، ولولا التعلم وأثره العميق على النفس، التي يربيها، ويهذبها، ما تحمَّل بعض لاعبي الألعاب العنيفة المعروفين في حياتهم بضيق الصبر وسرعة الغضب انتقادات مدربيهم التي تأخذ أحيانًا شكل الإهانة.

ما بك؟!

تغير وجه شريك الحياة ليس بالضرورة رسالة موجهة لشريكه أو تعبيرًا عن الاستياء منه، أو طريقة مجربة لإزعاجه.

أحيانًا تنبع المشكلات الزوجية من قوة متابعة ملامح الطرف الآخر والاهتمام به، واعتبار أن كل تعبيرات وجهه بسبب الشريك وموجهة له.

يجب أن نحول اهتمامنا بشريكنا وحينما له إلى قوة إيجابية خالصة بإحسان الظن به حتى في سوء مزاجه، والصبر عليه لاختيار الوقت المناسب له للبوح.

بإمكان إساءة عابرة من جارة أن تعكر مزاج الزوجة، ويكون هذا كل ما في الأمر، وبإمكان عنجهية عميل أن تعكر مزاج الزوج، ويكون هذا كل ما في الأمر.

يجب علينا ألا نسارع بالاتهام، وأن نعرف أننا نتعامل مع إنسان في البيت لا يمكن أن يكون صاحب ابتسامة سياحية دائمة.

يمكن أن نهتم دون أن نحرق أعصابنا

يشتعل الصراع النفسي بين الزوج وزوجته ثم يبدأ في أخذ مظاهره الواسعة أحيانًا بسبب واحد فقط وهو التفاوت بينهما في الشعور بالخوف، الشعور بالخوف من الأيام، الخوف على مستقبل الأبناء، الخوف من أي نكبات من التي تفاجئ العائلات، كالمرض، كفقد وظيفة، كالتأخر الدراسي لأحد الأبناء، إلخ.

وغالبًا في حالة صراع المخاوف هذا تكون الزوجة هي الخائفة، التي لا تكاد تتوقف عن التفكير فيما يمكن أن يحدث بالغد، وفي الشهر القادم، وبعد عقد من الزمن، ويكون الزوج هو الشخص غير القادر بطبيعته على أن ينظر للأمر مثلها، ويتعامل مع الحياة بقدر أكبر من البساطة.

هي كزوجة وأم مهتمة بكل شيء، قلبها حاضر في جميع أعمال الأمومة، حتى في شراء القفاز الشتوي لطفل، بينما يحضر قلب الأب بدرجة أقل وبشكل عام إشرافي؛ فهو لا يستطيع بتكوينه أن يكون حاضر القلب في شراء القفاز، هو فقط متأكد من أن تعبه للحصول على المال سيتحول إلى مئات التفاصيل البديعة التي تتولاها المرأة بقلبها.

ما يحدث من الرجل عندما يتأكد من طباع الزوجة كشخصية قلقة ومتوترة أنه يأخذ مسافة آمنة من هذه الحرارة حتى لا يفقد هدوءه، وما يحدث من الزوجة هي أنها تشعر بأنه منفصل شعوريًّا، وأنه تركها في

مساحة الخوف الضيقة الملتهبة التي تدور فيها كما يدور الطبق في المايكروويف، ووقف يتفرَّج عليها وهي مهمومة بتفاصيل العائلة؛ ويبدو لها هذا كنوع قاس من التخلي والخذلان، وتصير مشحونة تجاه زوجها.

لن يستطيع هذا النوع من الرجال أن يدخل معها في الحالة الحارة المستديمة هذه، لأنه غير مقتنع بها بطبيعته، ويرى أن التعامل مع الحياة بشيء من الجلد الثخين يحفظ الصحة النفسية ويساعد على الاستمرار في ظل وجود خسائر معقولة. ولن يستطيع هذا النوع من النساء أن يدخل مع الرجل في حالة (الروقان) هذه؛ لأنها تظن أن هذا الاشتعال فيها هو وقود بقاء الأسرة ووقود الحفاظ على وضعها ومكاسبها، وتظن أنها لو استرخت سينهار كل شيء.

ولا يمكن حل هذه المعضلة إلا بالفهم المتبادل بين الطرفين، للبحث عن التقاء في منتصف الجسر؛ لأنه سيبقى هناك للأبد نوع من الرجال يتعاملون مع الحياة كأنهم عاشوها من قبل، ولا يأخذون محاولاتها لإفزاعهم على مأخذ الجد، وسيقبلون بروح رياضية بعض الخسائر التي تفرضها الحياة، وسيبقى هناك للأبد نوع من النساء يتعامل مع الحياة، كأنها تركت كل شيء وتفرغت للعب بأعصابهن.

ما يمكن للرجل عمله هو أن يخرج بشكل متكرر من فلكه الهادئ المنفصل الرائق، ويدخل في فلكها، على شكل زيارات، في كل مرة يهتم معها بعلاج أمر ما، من الألف إلى الياء، ويعيش معها في التفاصيل، ويظهر قدرًا كبيرًا من الإخلاص والاهتمام والعناية، ولكن بطبعه الهادئ، كي يجعلها تشاهد كيف يمكن عمل شيء ما بحب، دون أن يعني هذا عمل شيء ما بعصبية، كيف يمكن أن نحصل على نتيجة جيدة دون أن نحترق، فلو كانت البراعة الفائقة تستلزم العصبية والتوتر، لكان أولى

بها خيرة جراحي العمليات الحرجة والدقيقة، ولكن الأمر على عكس ذلك تمامًا.

في مثل هذه الحالات تؤكد المرأة لنفسها أنها أفضل كثيرًا من أي امرأة مهملة وباردة، وربما تأتي على ذكر نماذج من تلك النوعية أمام زوجها؛ لأنها مثل أغلب الناس، تصر على أنها على حق، وهي كذلك تحب أن يرى أنه محظوظ للفوز بها رغم عيبها، ودور الرجل أن يؤكد لها على هذا، إنها أفضل من أي امرأة مهملة وباردة، ولكنه يريد منها أن ترحم نفسها، وأن تبدع بتكلفة نفسية أقل نوعًا ما.

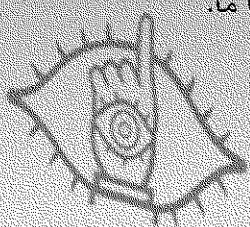

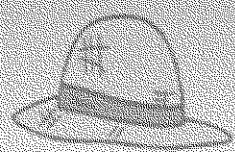

BOOKS

تلك الكلمات

لا تتورط فيها، تلك الكلمات التي يقولها الزوج لزوجته، أو الزوجة لزوجها، أو الجارة لجارتها، أو المدير لمرؤوسه، التي تقال بروح الاستهانة المتوحشة، في مناخ الغضب، فتبقى سمًا يذهب في الروح، يحاول الإنسان الذي سمعها أن يشفى منها، وأن يتهرب من أعراضها المميتة، لكنها تفسد عليه حياته، وتغير نظرته لنفسه وللدنيا، وقد تصيبه بجزع لا علاج له، وتخلد فيه إلى النهاية ولا تموت إلا بموته. فكِّر ألف مرة ومرة قبل أن تقول شيئًا يزعزع ثقة الإنسان بنفسه، أو ينزل من قيمته إلى درجة شديدة، أو يعبر عن استخفافك وندمك على وجوده بالقرب منك، أو يفصح بشكل جارح فاضح مؤلم عن نقطة ضعف توجعه كثيرًا. فكر ألف مرة ومرة قبل أن تقول شيئًا تعلم أن من يقف أمامك سيترنَّح منه ويقع. ليس من الضروري أن تعرف ما تقوله في الأوقات الحلوة، لن يضرك أن تترك أغلب هذه الأوقات للسجية والتعبير التلقائي، لكن ما يجب أن تعرفه جيدًا، هو ما لن تقوله في الأوقات السيئة.

بيوت العصبيين

مشكلة كثير من العصبيين أنهم عندما يتم الكلام عن الخصال التي تصعب معها رفقة الإنسان، والتي تنزل بقدره عند من كُتب عليهم العيش معه، تجدهم في وسط الزحام بين الناس يشيرون لأصحاب الأخلاق الرديئة، هذا كذّاب، هذا جشع، هذا بخيل، هذا خائن، هذا ذنيء ومنحط، وهذا يعيش بغير أي قيم؛ هذه هي مشكلة كثير من العصبيين: إنهم يظنون أنهم من المشاهدين، ويظنون أن العصبية سلوك نظيف لا يصح ضمه إلى الصفات المستهجنة التي يتضرر المحيطون بالإنسان من آثارها.

لكن الزوج المتزوج من عصبية يئن في الحقيقة. وكذلك الزوجة المتزوجة من عصبي تئن.

مشكلة كثير من العصبيين أنهم يربطون بين عصبيتهم وخصال أخرى حميدة: في نشاطي شيء من العصبية، في جديتي شيء من العصبية، في شعوري بالمسؤولية شيء من العصبية، في قوة عاطفتي شيء من العصبية؛ وفي الحقيقة أن هناك نشطاء وجادين وأقوياء الشعور بالمسؤولية وأقوياء العاطفة، يتسمون بالهدوء وسعة الصدر واعتدال المزاج، لكن بعض العصبيين يأبون إلا أن يبقوا على نفس الحال، مؤمنين بأن من يعيشون معهم يستفيدون من الخصال الحميدة المتوفرة للعصبيين، مثل الجدية والنشاط والشعور بالمسؤولية، لذا

على هؤلاء المستفيدين أن يستضيفوا أطوار العصبية في بيوت التعب بشيء كثير من الرضا والقبول.

لكن الزوج المتزوج من عصبية يئن في الحقيقة، وكذلك الزوجة المتزوجة من عصبي تئن؛ وهذا الأنين درجات، حسب درجة العصبية، والوضع مع شديدي العصبية يكون بالغ السوء.

ومشكلة بعض شديدي العصبية أنهم يمكن أن يصلوا إلى درجة عدم الاستغناء عن شريك الحياة الذي تحمَّل عواصفهم، ولا يتخيلون غيره يمكن أن يعاشرهم، لكنهم لن يقولوا ذلك خلال الحياة الزوجية كثيرًا، أو لن يقولوه على الإطلاق، بينما شريك الحياة هذا الذي عانى من كدمات وسحجات العلاقة، من الممكن أن يصل بعد مضي السنين إلى ألا يشعر بأي شيء، لا الحب، ولا الكراهية، بل قد يصل إلى الكراهية، الكراهية الصريحة، بينما العصبي مطمئن إلى رصيده القديم، غير مصدق أن موجات العصبية المتتابعة عبر السنوات، بعذر وبغير عذر، سحقت العاطفة تباعًا، كما تسحق أرجل الفيلة براعم الزهور الصغيرة، إنهم لا يصدقون أن الصياح، والتحطيم، والإساءة، تصيب الإنسان بشيء كالجفاف، والتشقق، والتمزق، والحيرة، والندم.

مشكلة بعض العصبيين أنهم ينظرون فقط إلى عدد مرات نوبات الغضب العارم التي تعتريهم فيحطمون فيها كل شيء؛ حسنًا أتشاجر مرة كل شهر، ناسين أن الطرف الآخر الذي أدرك الحقيقة المرة منذ الزواج، حقيقة العصبية، يعيش كل يوم في فن التفادي، فن تفويت أسباب الغضب، يفعل هذا بثلاثة أرباع طاقته، لذا فالعصبي قد يكون له موجة غضب مشهودة كل شهر مثلًا كما قال، لكن المسكين الآخر يعيش منهكًا في تجنب احتمالات الغضب، وفي الذعر من المرة القادمة التي ستحدث لا محالة ولكنه لا يعرف متى تكون.

مشكلة بعض العصبيين التي تصل في كثير من الأحيان إلى حد إتلاف العلاقة الزوجية تمامًا، بعض العصبيين وليس كلهم، هي الرفض التام للاعتذار، وعدم السماح بالتكلم فيما حدث، وإجبار الطرف الآخر على التصرف بعد الأمر كأنه لم يحدث شيء، ذلك لأن من العصبيين من هم على خلاف هؤلاء: فيهم قدر من الحنان يجعلهم يبادرون لاحتواء الشريك وتضميد جروحه، ومصالحته، وتطييب خاطره، أما هؤلاء أشباه الصخور، فيتركون الجرح وراء الجرح وراء الجرح مفتوحًا، بلا أي تقدير لأوجاع الشريك، الذي يجب عليه أن يمتص، ثم ينزوي، ثم يلملم نفسه كما تلملم السلحفاة نفسها داخل صدفتها، ثم يميل إلى شريك حياته العصبي معتذرًا، وهو ملتحف بجحوده وكبريائه. وهذه حياة صعبة، ومريرة، تجعل من العيش مع هذا النوع الذي لا يوفر الحد الأدنى الضروري من الحنان قطعةً من الجحيم.

هل يسرُّك أن تعيش متعبًا؟

هل يسرُّك أن تحطم إنسانًا كتب عليه أن يعيش معك؟

هل يسرُّك أن يكون أبناؤك معقدين نفسيًا؟

هل يسرُّك إن غادرت هذه الحياة أن يشعر شريك الحياة مهما كان مخلصًا محبًا بأن هناك غارة طويلة قد انتهت وأنه آن له أن يستريح في جلال شيبه؟

هل يسرُّك أن تبدد حسناتك وأعمالك الصالحة وتكتشف يوم القيامة أن الأمر ليس هينًا، وأن شركاء الحياة ليسوا كالأرائك، بل هم أرواح نحاسب عنها، وتكتشف أن طبعك أفلسك؟

إن لم يكن يسرُّك شيء من هذا، وإن كان فيك قدر من هذا العيب فاشتغل على نفسك، ولا تجعل بيتك بيتًا من بيوت التعب.

كانت تتحملني

كان يقلب طاولة الطعام في بيت والدته، ثم فوجئ بأن زوجته لا تتحمل هذا الطبع البالغ الصعوبة، فيقول أمي كانت تتحملني وتعرف طبعي وتعرف كيف تنتظر عاصفتي حتى تهدأ.

كانت تحطم الأكواب في بيت والدتها إذا تعرضت لضغط، ثم فوجئت بأن زوجها يرسلها إلى بيت أهلها، فتقول له عندما يعود للصلح: أمي هي وحدها في هذا العالم القاسي التي استوعبتني، وأنت للأسف لم تستطع أن تكون مثلها.

إلى متى يبحث بعض المتزوجين عن بطل وهمي يحمله على ظهره للأبد؟!

إذا كنت قد اخترت أن تتزوج في يوم ما فهذا يعني أنك مستعد لأن تبذل ما عندك في سبيل علاقة متوازنة، لا أن تكون بلاءً من بلاءات الدنيا لمن كُتب عليه أن يكون شريكك في الحياة.

نصف الجهد الذي يبذله الناس في المطالبات والشكوى ليتهم يبذلونه في إصلاح عيوبهم العريقة.

الغرفة المظلمة

هناك عشر دقائق تقريبًا في العلاقة الزوجية، أسميها وقت الغرفة المظلمة، وهي الأجواء التي يحدث فيها الاصطدام. في هذا الوقت يكون الزوجان كأنهما اثنان دخلا للتو من بابين مختلفين إلى غرفة مظلمة، ولم يعتد بصرهما على الوضع بعد، فيكون كل منهما غير قادر على تحديد مكان الآخر، ولا تحديد الطريقة التي يتحرك بها، ولا تحديد وجهته، ولا تحديد سرعته، ولا تحديد الطاقة التي عليه من كمون أو تحفز، بمعنى عام يكون هناك نوع من عدم الفهم ومن سوء التقدير رغم وجود العشرة. لذا يمكن لكل منهما وهو يحاول أن يثبت وجوده للآخر، أو يحاول أن يلفت انتباهه، أو يحاول أن يوقفه، أو يحاول أن يحاصره، أن يحدث الاصطدام الشديد المؤلم.

هذه الدقائق العشر، يجب أن يصبر كل منهما عليها، كل منهما عليه أن يصبر حتى يستبصر، ويعود له إحساسه بالآخر، وفهمه له، وتقديره له، وشعوره بدوافعه وشعوره بمليعتريه، ويرى الآخر بحجمه الصحيح عنده، غير ذلك الحجم الذي يزيفه الاندفاع منهما.

الأمر بالطبع لن يكون في البدء سهلًا، ولكنه سيكون ممكنًا بعد ذلك.

الدقائق العشر التي لا ترى فيها الآخر بشكل صحيح، هي دقائق جهاد نفس، فاصبر حتى ترى مرة أخرى.

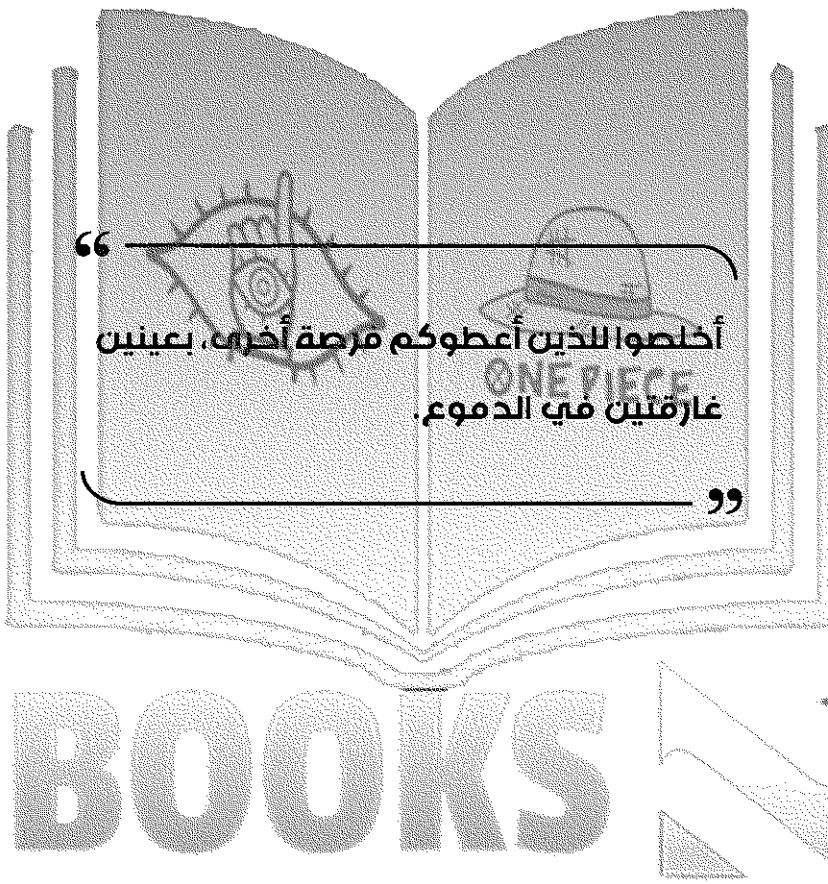
“
أخلصوا للذين أعطوكم فرصة أخرى، بعينين
غارقتين في الدموع.
”
ONE PIECE
BOOKS

نعمة أن تكون مضمونًا

إذا كانت الزوجة معتزة بنفسها، وتحب زوجها، وتثق به ومطمئنة تمامًا إليه، وتضمنه، ذلك الضمان الحقيقي الذي يشبه ما يشعر به الطفل تجاه أبويه، أي يضمن أنهما لا يبيعانه، ولا يزهدان فيه، وهو بالضبط شعور الطفلة التي فيها تجاه هذا الزوج- فهو في نعمة كبيرة يجب أن يحرص على بقائها، ويجب أن يعرف حجم الخسارة التي سيمنى بها لو خذلها؛ فلو ضربها ضربة أسقطتها أرضًا، ضربة خذلان، سيكون عالمها الذي كانت تعيش فيه قد انهدم كله، وهي تقف في غباره ذاهلة بوجه ملطخ، وهذا شيء فوق تخيله، ثم إنها تنهض بعد قليل أو كثير، وتنفض ثوبها بنفسها، وتكون امرأة أخرى غير التي كان يعرفها قبل السقوط، أكثر اعتمادًا على ذاتها، ولا تستند عليه أبدًا، وتستعد للعيش وحيدة إن لزم الأمر، ومصرة فقط على ألا تقع مرة ثانية، وهذا شيء مرهق جدًا للرجل الذي يحاول أن يستعيدها، ويحاول كل يوم أن يفتح صفحة جديدة، ذلك لأن الرجل الحقيقي الذي يشعر بمسؤولية عن زوجته لا يتمتع فقط بأنه يضمن زوجته، بل يتمتع بأن زوجته تضمنه.

أعظم أثاث البيت

أعظم أثاث الزواج، والذي لا يرد ذكره في اتفاق أو قائمة، والذي إن تخلَّع وفقد تماسكه ما راق للزوجين أي ركن بالبيت، هو الاطمئنان، ولا شيء غيره، أن يعيش الإنسان وشريكه لا يفتش في وجهه بحثًا عن أثر الغدرات.

بكاء المسامح

أن يسامحك أحد خذلته، ويوافق على إعطائك فرصة أخرى، وهو لا يزال يبكي من صدمته فيك، فأنت عشت مشهدًا مهيبًا من مشاهد الحياة، يضعضع العظام، ولا يصح أن تتناساه أبدًا.

إن واسى نفسه

الحب هو أن تغار وتحتج إذا ما قال شريك حياتك إنه سيربت على نفسه ويواسيها، ويمسح دمعه في نهاية الأمر بيده، ذلك لأنك تحب أن تكون وحدك في الدنيا القادر على ذلك.

العكازة التي وقعت

السماح، لمن يستحق السماح، هو نوع عظيم من المعونة، شبيه بأن ترفع لأحد من الأرض عكازته التي يستند عليها وهو يمشي بكسر رجله، لا أن تدعه ينبطح أمامك ويلهث ويتعرَّق ويتكئ على كفه ومرفقه كي يقوم بصعوبة، حتى لو أن ترفعها له وأنت صامت وحزين.

عاهة مستديمة

الشيء الذي يحول بيت الزوجية إلى معقل تعذيب، ويحول أحد الزوجين إلى جلاد غليظ، وكل هذا دون حتى لكمة واحدة، ودون تمزيق القمصان، هو المعايرة، نعم، المعايرة، وخاصة إذا طالت، وكلما ظن الواحد وهو في ناحية من البيت أن الأجواء أوشكت على الصفاء، ناداه الثاني يذكره ويعايره، وجدد فيه الشعور بالحرج والخزي، وجدد فيه الشعور باليأس والهزيمة.

المعايرة حتى وإن كانت من محب هي ليست وسيلة تأديب، أو ترويض، أو تقويم، المعايرة سحق، وانتقام، وطرد، وكلما طالت ربما سلَّمت الإنسان لأن يكره نفسه ويحط من شأنها، ولا أحد من مصلحته ولا من دواعي سروره وأمنه أن يعيش مع من يحتقر نفسه، وربما سلَّمت الإنسان لأن يختار بشكل نهائي ما عُوِيرَ بسببه، لأنه دفع ثمن هذا الاختيار في شكل معايرة، وهذا أخطر.

يمكن لنا أن نلوم، أن نعاتب، أن نؤنب، أن نخاصم، أن نوبِّخ، لكن جروح المعايرة هي من العاهات المستديمة.

“هناك شعور عظيم وفياض ينمو بين الزوجين اللذين اعتادا على الكلام معًا كل يوم، الكلام معًا في أي شيء. أن تكون عينا الرجل على وجه زوجته، وعينا زوجته على وجهه، عبر السنوات، خلال أحاديث بها كل المشاعر الإنسانية المختلفة، ويتشرَّب كل منهما انفعالات الآخر يومًا بعد يوم، هذا يحقق شعورًا راسخًا وعميقًا لا يتحقق مثله بين زوجين صامتين معًا، حتى لو كان أحدهما تبرع للآخر بجزء من جسمه.”

قبول الحوار

مما يجب أن يتمرن الإنسان عليه قبول الحوار وتحريكه إلى حد جيد مع من يختلفون معه من ناحية الاهتمامات، أن يبدع في التحدث مع الشخص الذي يحبه ويقدره، حتى لو كان من عالم له مفردات أخرى.

ولذلك فإن أفضل ما يعين الرجل على تجنب الخرس الزوجي، هو أن يكون من قبل الزواج قد مرَّن نفسه وعوَّدها على الجلوس مع الوالدين والاستماع لهما، ومع الجد والجدة، ويبتسم وهم يسترسلون في أحاديث الذكريات: فأكثر الشباب من الجنسين يتمتع بمجالسة الأصدقاء الذين يشاركونه الاهتمامات، ولا يتمتع بالجلوس للوالدين، حيث تبدو له لغتهما كلغة مطفأة، وقد تفاقم الأمر بشكل مخيف في عصر الإنترنت؛ حيث صار الشاب شبه منعزل عمن يعيشون معه بكامل إرادته.

كثير من هؤلاء الذين لم يعتادوا قبل الزواج على التحدث مع من لهم اهتمامات أخرى، ولا يصبرون على الجلوس مع الأقارب إن جاؤوا في زيارة، ينتهي بهم الأمر بعد الزواج لقلة الصبر على الجلوس مع شريك الحياة والاستماع له ولاهتماماته، لتكون العلاقة به امتدادًا للعلاقة مع الوالدين: عبارة عن اتصال هروبي سريع لا يروي الظمأ.

إن كثيرًا من الناس يندمون بسبب هذا العجز فيهم على التواصل مع من لا يثرثرون في نفس المواضيع التي يحبونها، هذا العجز الذي استسلموا له إلى النهاية. هناك من يندم على رحيل الأم ويتمنى لو عادت

واستمع منها إلى أي حديث من أحاديث الذكريات البعيدة تسترسل فيه حتى تنعس وهي جالسة، وهناك من يعتصره الألم وهو ينظر إلى المخدة التي نامت عليها زوجته قبل أن يغيبها الموت، وكانت تعاني من ابتعاده عنها وقلة صبره على حديثها، يتمنى لو عادت وحدثته حديثها البريء عن أسعار الخضراوات.

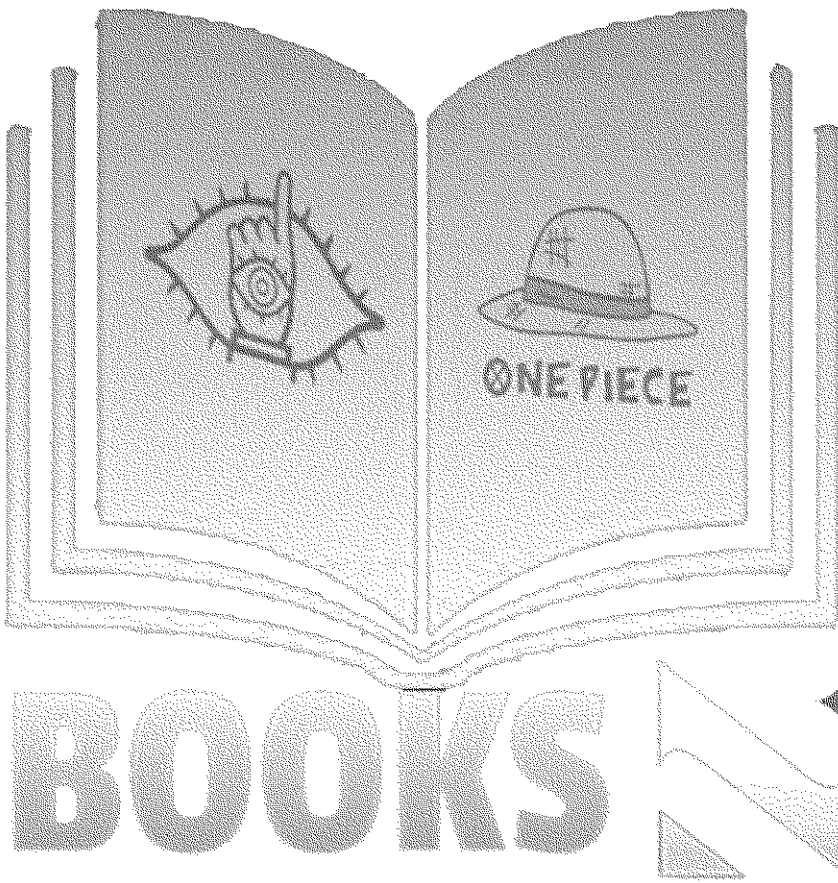

نقل المشاعر

اللغة لنقل المشاعر أيضًا، وليست فقط لتوصيل المعلومات، وإصدار التوجيهات، وتوضيح الأمور. اللغة لنقل المشاعر، هذا ما يجب أن نعرفه ونمرن نفوسنا عليه، وليس المقصود بالمشاعر كلها أن يعبر الرجل عن افتتانه بزوجته، ولكن نقل كل المشاعر التي بك إليها.

عندما تستأذن من العمل للذهاب بابنك للطبيب، لا تتعمل بزوجتك وتبدأ كلامك بقولك: تجهزا، سأكون تحت المنزل بعد ربع ساعة، نعم هذا الكلام ضروري وعملي، ولكنه ليس كل ما هو مطلوب منك، فيجب أن تقول ما ينقل ما فيك من شعور. ابدأ كلامك بالاطمئنان عليه، وبالتعبير لها وله عن اهتمامك؛ فنقلك له إلى عيادة معروفة وعلى وجه السرعة، لا يلغي أهمية أن تنقل مشاعرك، وتأديتك للمهام على أكمل وجه لا يتطلب تنحيك لأحاسيسك، وعلاج ابنك بالأدوية قد يحتاج إلى بعض الأيام لا أكثر، بينما تجد أسرتك علاجًا لا غنى لها عنه في كلامك ولهفتك ومشاعرك الصريحة.

درع السلحفاة

هناك صنف من الناس فعلًا هم غير مؤذين، ويفاجؤون بالانقلاب عليهم، سواء كان هذا الانقلاب في بيئة العمل من صاحب الشركة الذي قرر أن يستغني عن هذا الموظف غير المؤذي أو أن يعين عليه مديرًا، أو كان هذا الانقلاب من الزوجة التي أعلنت عن غضبها على هذا الزوج غير المؤذي، الغضب الذي قد يصل إلى درجة طلب الانفصال. وفي الحالتين يشعر هذا الشخص أنه تعرض للظلم، وأنه لم يكن يجوز أن يبخس شخصه بهذه الطريقة، وأن يُغضب عليه هكذا، ويفسر الأمر بأنه من سوء كيلة الآخرين، أو من سوء حظه؛ إذ لا يستطيع أن يصنِّف نفسه بأنه يستحق السخط أبدًا.

غير المؤذي هنا هو الذي لا يضر ولا يتعنت ولا يهدم ولا يخون، ولكنه في واد وحده، ولا ينضم بوجدانه، أو حتى بعقله، مع أي هدف يخص الآخرين، هو فقط يحايلهم، ويسايرهم، وبينه وبين نفسه أنه ليس منهم، وأنه وحده، وسيبقى هكذا وحده، مثل سفينة لا تريد أن تبحر، إنه منفصل نفسيًّا تمامًا عن المناخ الذي من المفترض أنه يعيش فيه، منفصل عن الشركة بما فيها من أهداف ومخاوف وترتيبات وتطلعات، ومنفصل عن البيت بما فيه من زوجة وأطفال ورغبة في عيشة أسرية دافئة، فإن كان موظفًا فهو يعمل ما هو مطلوب منه، ويهتم بمواعيد الحضور والانصراف، ومستحيل أن يقدم أي ملحوظة عن المنافسين وأسعارهم وإعلاناتهم، حتى لو شاهد هذه الأشياء، فإنه لا يربط بين ما شاهد وعمله، فالعمل ما هو إلا طريقة ما للحصول على دخل كل شهر،

وهو يذهب للعمل كي يحصل على هذا الدخل، إنه يذهب إليه، ولكنه ليس منه، حتى لو ظل هناك إلى سنوات، بل لو خرج بالمساء ووجد الشركة مشتعلة لن يتصل بصاحب الشركة؛ لأنه لا يريد أن يحمل هذه الأخبار السيئة، ولأنه يظن أن هناك دائمًا آخرين يقومون بالمهام الثقيلة، فهو لا يمكن أن يتطوع بالقيام بأي شيء.

وفي البيت، هو قليل الكلام جدًّا، وليس له أوامر ونواهٍ على الإطلاق، وغالبًا لا يعلن عن رغبته في تناول طعام معين. ولا يقول لزوجته إنه اشتاق لرؤيتها بثوب معين، ولا يمنع زوجته من زيارة أهلها وقتما شاءت، ولا يصر على شيء، أي شيء، لكنه ليس معها، ولا يخرج من هذه الحالة من الانغلاق الهادئ المسالم، إلا كلما ذكَّرته، فيتحرك تلبية لرغبتها، وتجنبًا للمشكلات، ثم يعود إلى طبيعته كائنًا منسحبًا، خارج أي منظومة، يعطي بغير رغبة في العطاء، يعطي ما يمكن أن يتجنب به اللوم، ولكنه ليس مع أطفاله ولا مع زوجته، إنه شارد للأبد في معية نفسه، المائلة للوحدة والهدوء، وقلة الخيارات، وقلة المقترحات، وعدم التجديد.

هذا الانسحاب على عكس ما يظن من يتصفون به، هو نوع من الإيذاء، وقد تتقبله زوجة مقابل بعض المزايا، مثل تمتعها بدرجة من الاستقلال في اتخاذ القرارات، ولكن من الوارد جدًّا أن يفاجأ المنسحب بالانقلاب عليه سواء في العمل أو البيت، ليكتشف أن رصيده أقل مما كان يظن، وتلك لحظة صعبة على نفسه، فهو مصر على أنه ليس شخصًا سيئًا، ليس ذئبًا، ولا منافقًا.

العالم الذي يحيط بالمنسحب لن يتغير ويتواءم مع طباع المنسحب، بل المنسحب هو الذي لا بد أن يتغير، أن ينغمس، أن ينفعل، أن يرغب في التميز ولفت النظر، أن يطور نفسه، من أجل نفسه قبل أي شيء، من أجل نفسه التي يكبتها بقلة الأمل، وضعف الرغبة في مباهج الحياة، لا بد أن يخرج من درع السلحفاة، وأن يواجه الحياة بألوانها وتقلباتها وعواصفها واحتفائها بالمقاتلين.

كل الأوقات غير مناسبة

ليس من المعقول أن يجعل الرجل كل الأوقات تقريبًا غير مناسبة لأن يسمع زوجته، يجعل وقت الصفاء هذا وقتًا افتراضيًا لا وجود له، هو دائمًا بعيد وفي غير المتناول، بعد الرجوع من الشغل لا يصلح الكلام لأنه مرهق ومشحون وأفسد مزاجه أحد العملاء، في الليل لا يصح لأنه يشاهد المباراة، أو يتصفح الفيس، بعد استيقاظه لا يصح لأنه لم يزل مشوشًا ولم يفق بعد، في الإجازة لا يصح ذلك أبدًا؛ لأن الأحاديث ستجرنا للنكد والخلاف على أي نقطة، وحتى عند زيارة الأهل لا يصح الكلام معًا؛ لأننا جئنا من مكان واحد وليس من المنطقي ووجهي في وجهك هناك في البيت أن ننفرد ونتكلم هنا عند الأهل. ويصل الحال ببعض الأزواج من الشعور بالمشقة من الكلام مع الزوجة لدرجة أن يرد عليها إن جاءت تعزيه في حبيب له قد مات بأقل عبارة ممكنة!

ليس على سبيل المداواة

إذا فتحت بيتًا فاعلم جيدًا الفرق بين أن يكون الوصل بيتك وبين زوجتك معبرًا عن تعلقك بزوجتك ومحبتك لها وشعورك بالصداقة بينكما، وبين أن يكون الوصل، أي أن تجلس معها وتتكلم معها في أي شيء تحت سقف البيت، أن يكون الوصل هذا على سبيل (المداواة)؛ الفرق كبير جدًّا.

أن تعود إلى بيتك، وتستوفي متعتك بما تحب، سواء مشاهدة المصارعة أو كرة القدم أو لعب البلاي ستيشن أو تصفح الفيس، أو أن تبدّل ملابسك وتنزل للعب الطاولة على المقهى، ثم قبل أن تنعس تتدارك الأمر وتتكلّم قليلًا مع زوجتك حتى لا يبلغ استياؤها مداه، فإن هذا الوصل هو على سبيل المداواة ليس أكثر، وهو غير مشبع، ولا يبعث في نفس المرأة على الشعور بالرضا والراحة، هذا مهما كنت في العموم ظريفًا طيبًا وحلو اللسان.

الرجل الذي يعتذر لزوجته عن قلة شغفه بها، وعن قلة الوقت الذي يوجِّه فيه وجهه إليها، ويجلس معها قبل أن ينام بعد ترك البلايستيشن بصعوبة، أو مباريات الكرة، هو ليس بالطبع من أسوأ أنواع الرجال، لا شك في ذلك، ولكن الرجل لا يكفيه مع أهله ألّا يكون الأسوأ، ولا يكفيه أنه يداوي جراح (الترك) التي تسبب فيها.

المجهود النفسي الذي يبذله بعض الرجال لتدارك الأمر في الدقائق الأخيرة قبيل النوم أكبر من المجهود النفسي الذي سيبذله لو أحسن إدارة التعامل مع شغفه واهتماماته، واختار أن يبدأ اهتمامه بالتي لها روح؛ وليس من الإنصاف أن يكرم الرجل يد البلاي ستيشن الجامدة بلهفته أكثر مما يكرم يد زوجته التي تنتظر أن يضع كفها في كفه.

الثوب والشمس

زوج شاب ومعه عروسه، في طريق السفر، منذ نحو مائة عام، وفي وقت راحة في الطريق، والزوجة راقدة في الهودج، قام الزوج وغسل ثوبه، ووضعه على حبل شدَّه بين شجرتين. بعد قليل صعدت الشمس، وبدأت العروس تتزعج منها، ولاحظ الشاب ذلك، وكره أن تيقظ الشمس صغيرته من نومها، فحرَّك ثوبه الذي على الحبل، وجعله يستر وجهها عن ضوء الشمس، وكانت هي قد لاحظت ذلك وتناومت بدلال وابتهجت، وذهبت في النوم سعيدة جدًا.

تلك القصة بقيت في قلبها ناضرة، صحيحة الألوان، لون الشمس، ولون السماء، ولون الشجرتين، ولون الثوب، وخلَّدتها هي، وانتقلت منها لبناتها وأحفادها من ضمن الحكايات الجميلة، أما هو الذي فعل هذا، فنسي ذلك قبل الضحى، ولم يكن يشعر بالأساس أنه قام بعمل كريم؛ لأنه يعتقد جازمًا أن غسل الثوب يتكلف من الجهد أكثر من تحريكه على الحبل.

المرأة تخلِّد الأشياء التي نسيها الرجل، أو اهترأت في ذاكرته، سواء كانت جميلة أو مثيرة للنقمة، تبقى فيها بألوانها الطبيعية، وتبقى فيها بآثارها العاطفية. الرجل يصنف أشياء بأنها قليلة الأهمية، لأنها لا تستلزم مجهودًا كبيرًا، وقد تعظم المرأة نفس هذه الأشياء، لأنها تراها مشحونة ومعبِّرة.

المرأة كائن مشغول بالتعبير بطبعه، سواء باللسان أو بغيره، وكثير مما يقوم به من تحبهم ومن تكرههم من حولها، تراه تعبيرًا عن شيء ما، جيد، أو غير جيد، وإذا استيقظت فيها ذكرى ما وتمطَّت، وفردت نفسها، حجبت تلك الذكرى ما هو أوضح وأعظم، مثلما حجب الثوب الصغير الشمس كلها التي بسطت ضياءها على البر كله، فإن قامت فيها ذكرى سيئة، فهي تحجب عنها وقت قيامها شمسًا من البر، وإن قامت فيها ذكرى جميلة حجبت عنها شمسًا من الجحود.

عبِّر كي تعبر إليها، بأعمالك، ولسانك، ونبرتك، ومواقفك الجميلة.

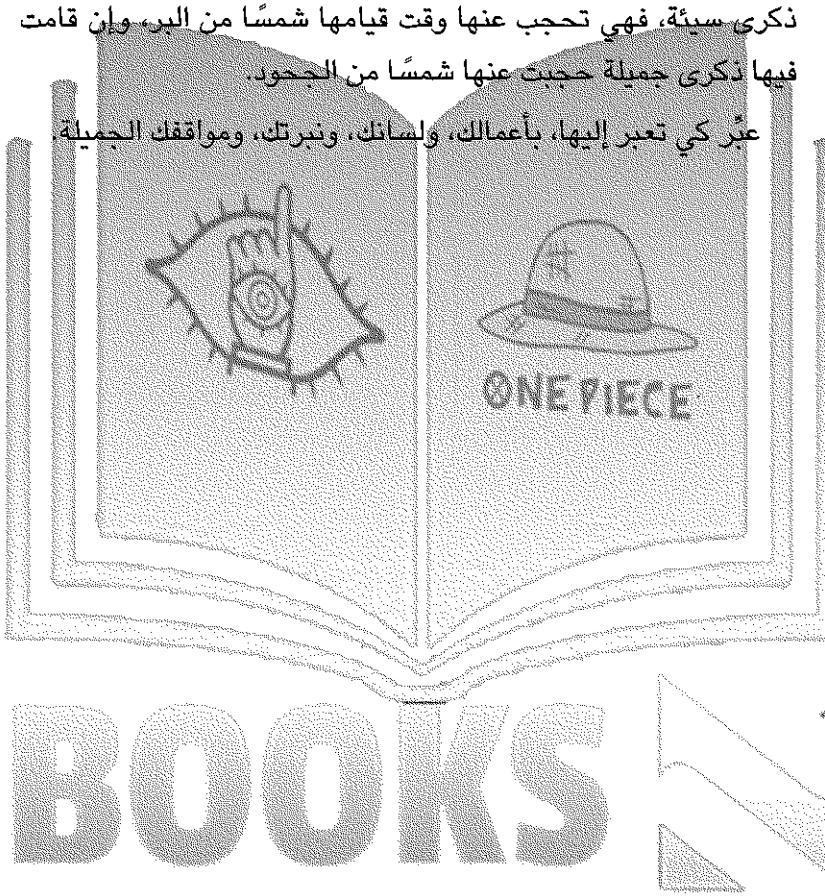

موت الكلام

من الخطورة أن يموت الكلام بين الزوجين، ولا عذر في هذا حتى لو كان الرجل يعود من عمل شاق جدًّا من الناحية البدنية أو الذهنية، فموت الكلام هو موت كل شيء، أن تعود إلى البيت وتأكل وتنشغل بالجوال ولا تبادلها أي حديث، فهذا موت للعلاقة، نعم بهذا اللفظ، وعطش المرأة للكلام مع زوجها هو عطش بالغ السوء قد يؤدي إلى نتائج مرعبة من الناحية النفسية، لأن حاجتها للكلام مع الرجل الذي تزوجت منه واستغنت به هي حاجة ملحة ولا يمكن التلهي عنها.

ليس من الضروري على الإطلاق أن يكون الكلام عن شيء بالغ الأهمية، أو مهم نوعًا ما، لكن المطلوب هو أن تتكلما معًا، عن أي شيء مهما كان ساذجًا بريئًا سطحيًّا، فالذي يبقي ويقوي العلاقة، هو الاهتمام بين الوجهين، تلك الابتسامة التي تتولد على وجهك وهي تبشرك بأنها ستحكي لك شيئًا طريفًا، وينار وجهك بالابتهاج قبل أن تصل هي إلى لحظة الذروة المضحكة، ذلك التأثر والغضب الذي يتسلل إلى ملامح وجهها وأنت قد شرعت في الإفضاء إليها بشيء ضايقك كثيرًا في العمل، فيمتلئ وجهها بالسخط على الشخص الذي أعادك إليها حزينًا هكذا وقبل أن تعلم من هو وماذا فعل، هذا هو ما أقصده بالاهتمام بين الوجهين، وهو حبل العلاقة المتين الذي لا يظن أغلب الناس أنه كذلك.

أحيوا ما بين الوجهين، بأي كلام، حتى ولو عن برامج التلفزيون، وأفعال الأطفال التي حدثت بالنهار، فإن الذي ينمو بين الوجهين على مر السنين من مشاعر الاهتمام المختلفة أثناء حديثكما، من تعاطف، وتشجيع، ومواساة، وتبسم، ورضا، هو مخزون عظيم يبقى فيكما ولا تعرفان عنه شيئًا.

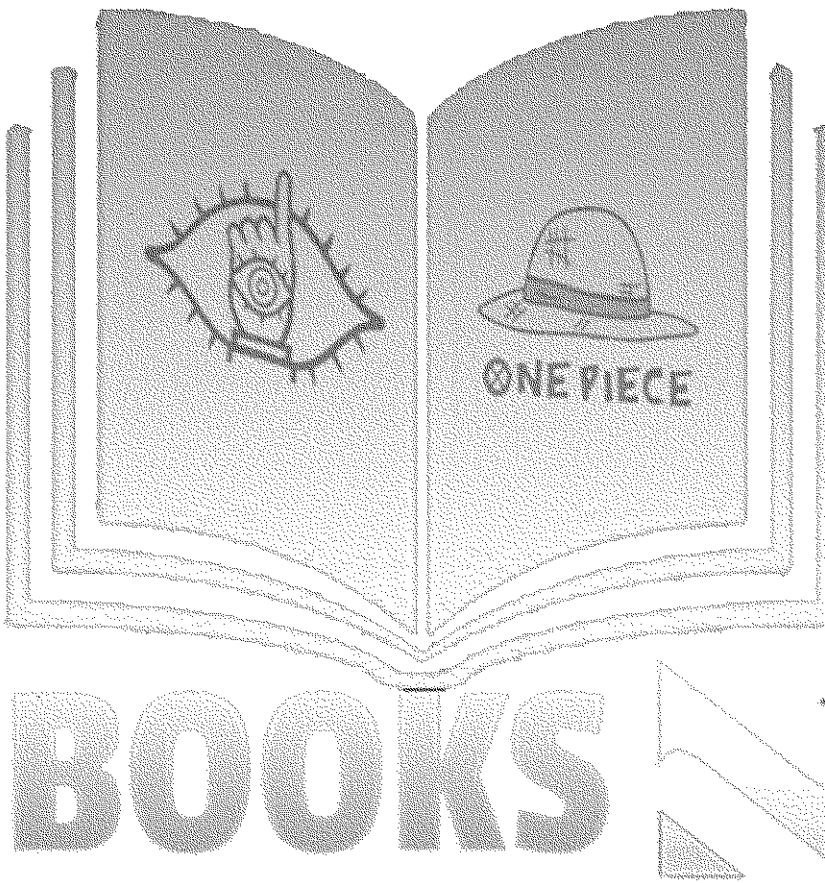

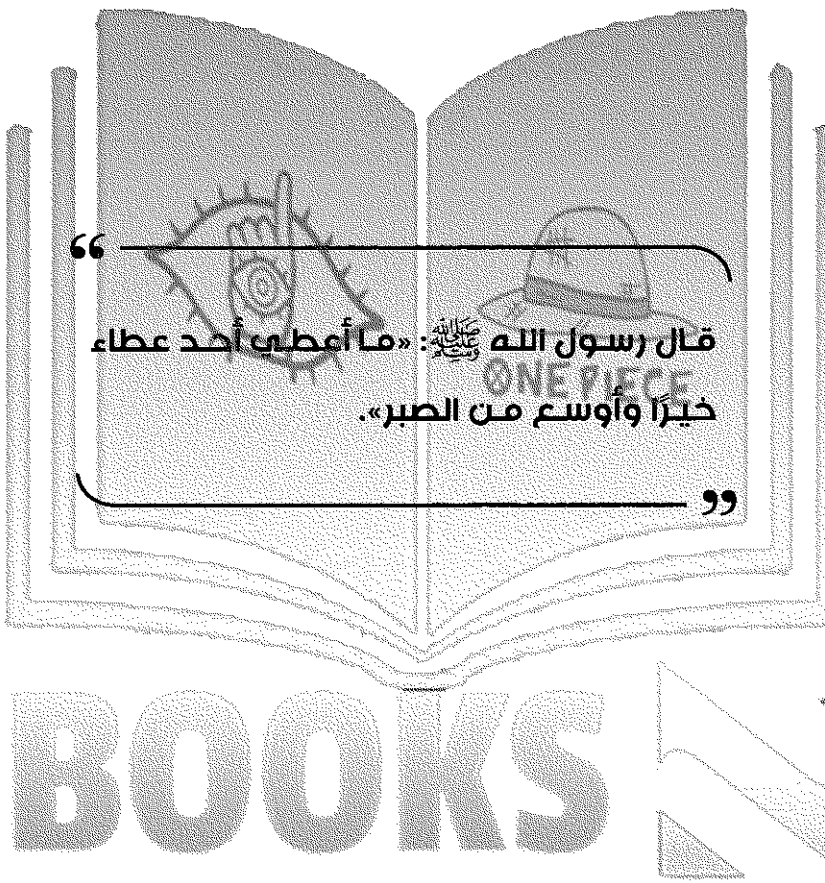

قال رسول الله ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر».

الذابلة

كون امرأتك تذبل في بيتك، ليلةً بعد ليلة، عاجزةً عن أن تنال منك معاملةً آدميةً واهتمامًا، مستمرةً معك فقط من أجل عيالها، خائفة من الطلاق، فاقدةً ثقتها بنفسها، نادمةً على أن جئتَ يومًا بيت أبيها وطلبتها وتعشَّمت فيك خيرًا، كل هذا من الظلم الذي ستحاسب عليه إن لم تفق وترفق بالقلب الذي سحقته.

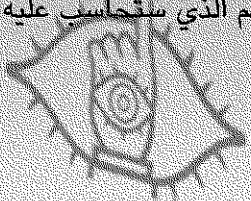

BOOKS

عنف آخر

العنف ليس كله الضرب، أو السب، أو الصريخ، أو تحطيم الأشياء داخل المنزل، العنف أن تطول ساعات الخصام بينك وبين شريك حياتك إلى فترة طويلة وأنت لا تراقبه، ولا تبحث عن شيء يكسر الصمت، ولا تبالي تمامًا بوجوده داخل البيت، وأن تمر الأيام وأنت كأنك لا تراه، بل تبذل جهدك كي لا تتقاطع معه في أي شيء وأي حوار، وتقدر على أن تمر من أمامه أو خلفه أو تجتمع به بغير قصد في ناحية ضيقة من نواحي الشقة مثل المطبخ ولا يميل بك الحنين عليه، بل تبدو متقبلًا جدًا لاستمرار هذه الحالة التي تبدوان معها كنزيلين في غرفة واحدة في مستشفى، جمعتهما العلل والظروف غير السعيدة، وأنت تتمنى لهذا النزيل لو يخرج بأي وسيلة حتى تنعم بالمزيد من الراحة والخصوصية.

الضغط

ينتهي كل شيء بين اثنين في أي علاقة إنسانية، ومنها الزواج، أحيانًا بسبب جهل طرف من طرفي العلاقة بحجم الضغط الذي يمارسه على الآخر، أنا هنا لا أتكلم عن الضغط الذي يتم ممارسته بوعي، كالذي يمكن أن يمارسه نوع من المديرين تجاه الموظفين، بمنطق خذ منه كل ما تستطيع أخذه، وإذا انفجر سيمضي ويأتي غيره، لا، أنا أتكلم عن هذا الطرف في العلاقة الإنسانية الذي ليس لديه تخيل لحجم الضغط النفسي الذي يسببه للآخر، والذي يظن في نفسه أنه شخص معقول وعادي تمامًا، ولا يفهم كيف انفجر هذا الآخر بتلك الطريقة ولم يعد يرغب في ترميم الجسر بينهما، ويرى أن الآخر هو أرعن وجاحد وغير منصف، ولا يدرك أن ضلوع الآخر تحطمت تحت وطأة هذا النوع السخيف من الجهل: الجهل بالضغوط.

هذا الضغط ليس بالضرورة أن يأتي في شكل قدر كبير من التحكمات، والإملاءات، والملاحقة، وعدم السماح بمساحة للنفس والترويح، فهذا النوع من الضغط غالبًا ما يكون معلومًا لمن يضغط، يمارسه وهو يعلم جيدًا ما يفعل؛ لكن الضغط الجاهل يأتي في شكل صور أخرى، لا يدرك من يضغط أثرها.

- كثرة المقارنة بأحوال الآخرين.
- الفتور وطول الأحزان.

- التخويف المستمر من الأيام.
- كثرة العتاب الذي لا يتبعه أي محاولة للتودد.
- الإلحاح على الآخر بما هو خارج الاستطاعة، دون فواصل من التعبير عن الرضا والقبول والمودة.
- عدم التجديد نفسه مظهر من مظاهر الضغط، عدم التجديد في المظهر، عدم التجديد في أسلوب الحديث في الأيام التي تبدو مبشرة، عدم الخروج معًا، كأنك تقول للآخر: حياتنا هكذا رمادية، وعلى هذا الحال تبقى.

أي إنسان يتمتع بذكاء عاطفي، ينظر جيدًا في شكل علاقته بالمحيطين به، ويتقي أن (يريِّح) على الآخر، ويرمي بثقله عليه، للدرجة التي يمكن معها للآخر إن أتيح له نوع من (الفسحة) أن يرى الأمر بصورة مفزعة، ويقرر ألا يعود؛ والحاصل أن كثيرًا من الناس يفتقدون في علاقاتهم لدرجة الذكاء العاطفي المطلوبة، ومصابون بجهل بالضغوط التي يمارسونها، وسيعيشون دومًا يشتكون من الصدمة والجحود، دون أن يحملوا أنفسهم نصيبًا معقولًا من المسؤولية عما جرى.

في العلاقة الزوجية يكون من الضروري جدًّا لمن يرغب في الاستمرار ألا يصل بالآخر إلى مرحلة (الإفلاس في الطاقة)، طاقة المواصلة، بل عليه أن يشحنه بها لا أن يفقده إياها، وهذا يجب أن يكون واجبًا متبادلًا بين الطرفين، ومتخطيًا حتى لفكرة (من أجل الأولاد).

منشطات التوتر

هناك بعض الشباب يبدون خامة جيدة كأزواج، بسبب ما يظهر عليهم من دماثة ورصانة وأدب، فإذا ما تزوجوا انخفض تقييمهم بسرعة، بسبب تفرغهم المفاجئ بعد الزواج لصنع الحدود ووضع الاشتراطات وتبيان الأشياء المزعجة، وعمل محاصرة متوترة ولا داعي لها، والنظر لكل تصرف تلقائي من الزوجة الشابة على أنه يخالف ما يظهر من عموم توصياته، هذا كله مع قلة التوجه نحو الاحتضان وحسن الاستماع والرعاية، رغم وجود عاطفة، بل وجود عاطفة شديدة، لكن الشاب يكون غالبًا واقعًا تحت تأثير ثلاث منشطات من منشطات التوتر: وهي الغيرة، والخوف من فقدان السيطرة، والخوف من أن يكون انطباع الآخرين عنه أنه غير مسيطر وضعيف الوجود.

والحقيقة أن الحنان وسعة الصدر، والصداقة، والتفهم لطبيعة الإناث، تجعل الزوج هو كل شيء عند الزوجة إن كانت كريمة عاقلة، وتجعل الزوجة تفكر في تجنب إغضاب هذا الزوج الكريم قليل الغضب، وتكره أن تتخطى الحدود التي حددها، وتوفر للزوج قدرًا من الطمأنينة والثقة والرصيد، مما يصعب توفيره من خلال الوصايا المتوترة.

الأقوى هو من يتغير للأحسن

مخطئون من يظنون أن التغير والسعي من أجل راحة شريك الحياة مهزلة ومذلة وضعف شخصية، هؤلاء الذين يقول الواحد منهم دائمًا: هكذا أنا ولن أتغير.

أنت تصبغ الأيام القادمة في عين شريك الحياة الذي يعاني معك بلون السواد واليأس عندما تنطق بهذه الكلمات ردًا على إلحاحه عليك بأن تتقرب منه وتفهمه، أنت تجعله نادمًا على أن وجدك في طريقه يومًا ما واستبشر بك، بل افعل ما تستطيع كي تسعد نفسك في بيتك وتسعد شريكك، تقدَّم بلطف إلى شريك حياتك، وقم بإحياء ما مات فيه، وقل له إننا سنحاول معًا مرة أخرى، فليس الأقوى من أصمَّ أذنيه عن حاجات الشريك، بل الأقوى من حافظ على بيته من الانهيار، وحمى أطفاله من طول الأحزان، واتقى الله في إنسان يشاركه المصير.

أن تكون نعمة

لا أنصح زوجة بالشرود طويلًا وامرأة تحكي لها بامتنان عن زوجها: (أحمد الله الذي أنعم عليَّ بهذا الزوج طويل البال، فهو إن رآني عصبية صبر عليَّ حتى أهدأ، ثم يكون العتب والصلح دون أن يعلو صوته)، لأنها قد تشعر بالظلم والغيرة، وتبكي حظها في زوجها؛ لأنه لا يتمتع بهذا الحلم والتروِّي.

وكذلك لا أنصح الرجل بأن ينفعل كثيرًا بالكلام الطيب الذي يذكره رجل عن زوجته أو عن زوجة غيره في معاملتها مع زوجها، مثل أن يقول: (هل تصدق أنها لا تنام إلا وقد رضي عنها وصفا لها، حتى لو كان هو الذي أساء وأخطأ؟!)، لأن هذا قد يفجر فيه شعورًا بالحسرة، وبالعدوانية تجاه زوجته، لأنها لا تتمتع بهذه التركيبة التي لا تتحمل خصام الزوج.

هذا لأن ما ينفعنا كثيرًا هو أن نستمع إلى من نعرف منه ما يجب علينا أن نكون، أن نجد خاتمنا الذهبي، أن تستمع المرأة لما قالته امرأة عن عملها الطيب مع زوجها، فتحب لنفسها أن تكون زوجة صالحة مثلها، تحب أن تكون نعمة لزوجها، وأن يستمع الرجل لما يقوله صاحبه عن حسن صحبته لزوجته، فيحب لنفسه أن يكون على هذا المستوى الراقي الذي عليه الرجل من حسن الطباع، يحب أن يكون نعمة لزوجته، لأن تحسين الحياة الزوجية لا يتطلب الحسرة، بل يتطلب الاقتداء، والارتقاء بحياة زوجية بين اثنين يحتاج إلى تفوق الرغبة في تغيير الذات على الرغبة في تغيير الآخر.

أنتقم منك بالكتابة

مما يجب أن يتفق عليه الزوجان ضمن قائمة الأمور التي يجب الحذر منها في التعامل بينهما استخدام المنشور على مواقع التواصل الاجتماعي في وقت الخصومة للتنفيس والنيل من الآخر بعبارات يفهم الآخر أنها عنه، هذا الأمر يجب النظر إليه باعتباره غير متاح مهما ذهبت بهما الأزمة بعيدًا.

الشجار المباشر الذي ينتج من احتكاكات الحياة لا مفر منه، لكن هذه الطريقة هي أمر آخر، فهي توحي بالتهديد، وتوحي بالانقسام، فشريكي الذي كتبت عنه كلامًا صعبًا أنا بذلك قد جعلت لنفسي فريقًا من الأصدقاء يقفون من حولي ضده، أنا أريد أن أجعله محلًا للسخط والانتقاد، وهذا بلا شك يتعارض مع خطوط الزواج العريضة وأهدافه.

ما يذكره الرجل، وما تذكره المرأة

هنا خبر سيئ، حتى يحسب الرجل حسابه، والكلام هنا عن الأيام الصعبة في الحياة الزوجية: كالمرض، كترك العمل، كفترات الضيق المادي، وغيرها.

المرأة تتذكر بشكل جيد من الرجل كل شيء بدر منه تجاهها منذ بدء الأزمة وإلى انجلائها، فلو مرضت وقعدت في الفراش فلن تنسى يومًا ما من الأيام بدا فيه منشغلًا عنها حتى لو كان كتلة من الحنان في اليوم الأول وفيما تلاه، وسيظل هذا اليوم يطاردها بذكراه السيئة، ويغشى بدخانه على صور الأيام الجميلة.

أما الرجل فيتذكّر بشكل جيد اليوم الأول، وردة الفعل الأولى، والكلمات الأولى، وهو يبحث بشراهة عن عظمة الزوجة في هذه الأمور، وتظل تطارده الذكرى السيئة لوقع الخبر الرديء على زوجته، لذا يمكن للرجل أن يتباهى بأنه رجع إلى البيت بخبر تخفيض راتبه بسبب تردي أحوال الشركة، فقالت له زوجته بعينين مليئتين بالولاء (ولا يهمك)، هذا القول الطيب الذي تلاه كفاحها وصبرها معه وضبطها النفقات حتى تحسنت الأمور، بينما لن يتباهى آخر يعمل في نفس الشركة وعاد كزميله خزيان بخبر التخفيض، فبان على زوجته الضجر والضيق والاتهام، ثم إنها من بعد ذلك كافحت وصبرت معه وضبطت النفقات حتى تحسنت الأمور، كفاح زوجتي الزميلين واحد في الحقيقة، وإرادتهما على نفس المستوى من القوة، لكن الرجل الطيب يقبل ويرضى ويحترم الكفاح، ولكن يتباهى بردة الفعل الأولى، ويمكن أن يبقى لسنوات يتكلم عن أصالة معدنها التي ظهرت في يوم من أيام قلة حيلته.

طرق النساء في الحب والإخلاص

من الأسباب التي تنشئ سوء فهم بين الزوجين، وتؤدي إلى خشونة غير متوقعة في العلاقة، خشونة تأخذ في الازدياد يومًا بعد يوم، حتى يشعر كل منهما أن الآخر خيَّب رجاءه فيه، هو أن الرجل في بعض الأحيان يبني تخيله عن الزوجة المثالية وشديدة الحب تجاه زوجها على أنها تلك التي لن تطلب منه شيئًا تقريبًا، لن تنبهه إلى أي شيء، ولن تقول له على أي شيء يبذله لها إنه لا يكفيها، سواء كان هذا الشيء المال، أو التعبير العاطفي، أو الهدايا، أو العلاقة الخاصة، أو النزهات، أو الوقت الذي يستمع لها فيه. في العموم تكون تلك الزوجة الرائعة المحبة التي لا ترى في الحياة غير زوجها هي التي يرضيها منه ما يقدمه، وتتفهم ظروفه وانشغالاته واهتماماته وعلاقاته إلى أبعد مدى، أي الزوجة ذات الطابع الأمومي.

والحقيقة أن هذا النوع موجود بالفعل، ولكن ليس كل السيدات لهن نفس هذه الطريقة في الحب والإخلاص، فعلى النقيض من ذلك، هناك الزوجة التي إن أحبت زوجها ظلت بروح آنسة، آنسة تبني تخيلها عن الزوج المثالي وشديد الحب تجاه زوجته على أنه ذلك الذي سيعمل دائمًا على أن يثبت حبه ويثبت اهتمامه، ويشعرها دائمًا بقدرها الكبير عنده، وهي لا تقبل إلا أن تكون كل شيء، ولا تقبل إلا أن يظل يحتفظ بولَهِ وهُيامِ خاطب متيَّم. وتكون في اهتمامها بزوجها وهي بهذه النفسية، نفسية الآنسة المحبة، تكون كثيرة الملحوظات، وكثيرة التنبيه، وكثيرة

التأنيب، وكثيرة الحسرات، وقوية الذاكرة تجاه الأخطاء، وترغب منه في أن يظل يعمل على تجويد اهتمامه بها إلى ما لا نهاية، وألّا يفارق فلكها، وألّا يشغله عنها أحد إلا عمله، بل حتى انشغاله بعمله عنها يكون في حدود معينة.

ويحدث الصدام ما بين التخيلين، فهو لا يراها المرأة المريحة غير المشترطة التي تنتظره في البيت بود يشبه ود الأم المطمئنة، وهي لا تراه الرجل المهتم المتودد المتغزل الذي يبحث عنها قبل أن تبحث عنه ويتصل بها قبل أن يصل إليها من شدة العاطفة.

هذا الرجل ينهكه أن تكون الزوجة لا تكف عن مطالبته بالاهتمام، وينهكه النكد المرتبط بإلحاحها في المطالبة بالاهتمام، وهو في المجمل كان يتخيل الأمر على نحو آخر مريح.

هذه الزوجة ينهكها قلة اهتمام الزوج، وينهكها أن كثرة تنبيهها ولومها تذهب به بعيدًا عنها أكثر فأكثر، وهي في المجمل كانت تتخيل الأمر على نحو آخر مبهج.

ولا يوجد حل لهذه المعضلة إلا بأن يغادر كل واحد منهما تخيله شديد المثالية، ويتحرك تجاه الآخر كما هو، ويعين الآخر على أن يقطع إليه نصف المسافة.

التغير ليس شيئًا مهينًا، التغير من أجل أن يشعر شريك الحياة بالمزيد من البهجة معك لا علاقة له بضعف الشخصية في العموم، المشكلة الوحيدة هي أن الناس يعرفون جيدًا ما يريدونه من شركاء الحياة، ويحتاجون لقدر كبير من التعقل كي يستوعبوا ما عليهم هم أن يكونوا.

التسخين

من الأشياء التي تجر بعض الرجال لخلق المشكلات في البيت، ما يعرف بـ (التسخين)، أن يجلس رجل مثلًا بين أصدقائه متباهيًا برجولته مع أهل بيته، وكيف أنه يمثل امتدادًا للرجال الحقيقيين في الأجيال السابقة، وكيف أن امرأته يصيبها الرعب لو تأخرت قليلًا عن أي شيء أمرها به، ويستمر هذا في الضغط على من حوله، وهو يعرف جيدًا أنهم أكثر تهذيبًا مع الزوجات وأكثر لينًا ورحمة، وهذا ما يؤدي ببعض الجالسين الذين يستمعون إليه بأن يشعروا أن الزمام فلت من أيديهم، وأن نساءهم أخذن من التدليل ما أفسدهن، وأنه آن الأوان لرجوع الأمور إلى نصابها، ويقومون من السهرة وهم يشعرون بالغبن وبالرغبة في الانتقام.

والحقيقة أن كل بيت تحدث به كيمياء خاصة بين الزوجين، حسب تكوين كل واحد منهما النفسي، وظروفه، وبيئته التي خرج منها، والحقيقة أيضًا أن ما يصلح أمر لامرأة قد يفسد أمر شقيقتها ولا أقول امرأة أخرى بعيدة. والحقيقة أن هناك مكاسب تتحقق لهؤلاء الرجال لا تتحقق له هذا الذي يمارس الاستبداد والتخويف، فهم يعيشون في علاقة زوجية شفافة، عندما تغضب على الواحد منهم زوجته تواجهه بأسباب الغضب، أما هذا فتسبه في غيابه أو تدعو عليه، وهناك رجل كان شديدًا جدًّا مع زوجته، يضربها بأي شيء في يده، ومن الممكن أن يلقي عليها إناء الطعام الساخن، ولما مات لم تذرف عليه دمعة واحدة، ولم تدع له،

وإلى يومنا هذا لم تدع له ولا مرة، ولا أمسكت صورته ونظرت إليها في أي ساعة. والحقيقة أيضًا أن الأطفال الذين يعيشون في أجواء الضرب والتحطيم والصياح، والجلد بالحزام، لا يبللون مراتبهم من الخوف فقط، بل يعيشون بأمراض نفسية تستقر فيهم. الرجل العاقل عمومًا لا يفكر في لحظة هوجاء في تقليد رجل آخر في أسوأ ما فيه من طباع.

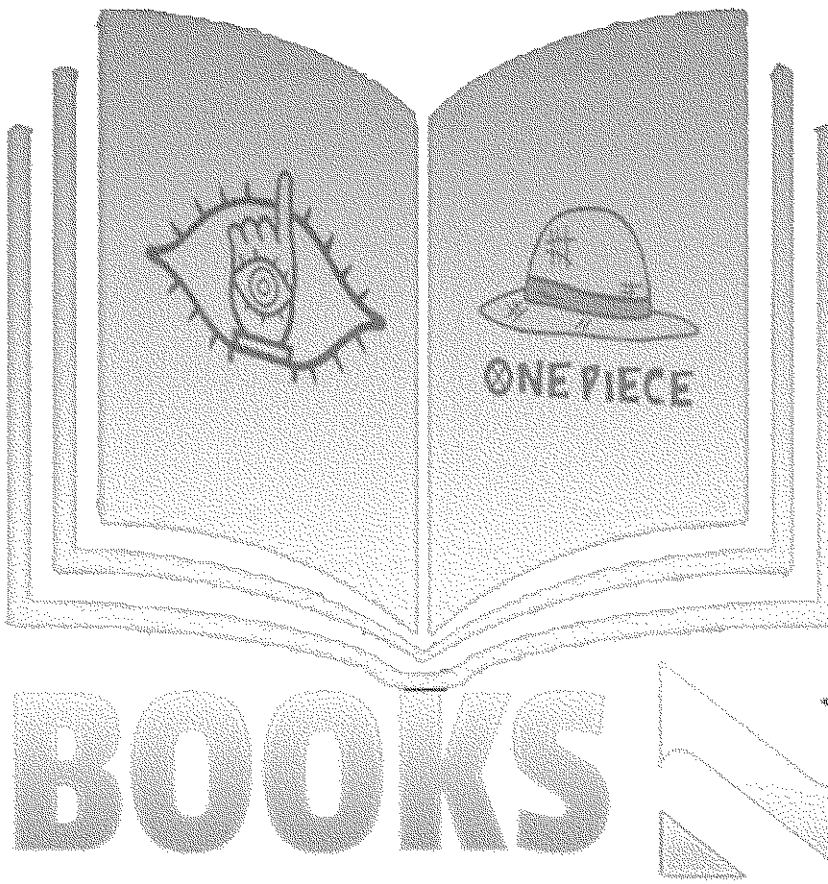

عبور الجسر

من الضروري لكل زوجين بينهما خلافات تتجدد بطول الحياة الزوجية أن يصل كل منهما على حدة إلى حالة من الصفاء العميق، ينظر فيها إلى الأمر من بعيد، نائيًا عن دخان المعارك وغبارها، مستخلصًا نفسه من وسوسة الذات، الذات الإنسانية المدافعة، ويبحث في أمر واحد بكل هذا اللطف، وهذه الحكمة، وهذه الدعة: في السبب الذي يجعل الآخر غير قادر على العبور إليه على جسر العلاقة الزوجية، ما هذا الشيء الذي يعيبني نوعًا ما ويعطل إقباله بقلب متفتح راض مبتهج؟

تحت ضغط الواقع الذي لا يسايرنا في دفاعنا عن أنفسنا للنهاية، نقول إن عيبي ما هو إلا ردة فعل على عيبه، وفي المقابل، في الضفة الأخرى، الإنسان الآخر الذي يفصله عن هذا ذلك الجسر، يقول نفس الشيء، يقول إن عيبي ما هو إلا ردة فعل على عيبه.

ما يجب أن نقوله دون الغرق في الحرج هو أن عيبنا هو طبع علينا أن نكافح لتعديله قدر المستطاع، أما موضوع ردة الفعل فهو حجة كانت لنا نعم الوسادة التي نرتاح عليها من لوم الذات، لكن الأمر يتفاقم والمشكلات لا تنتهي، لذا وجب علينا أن نصارح أنفسنا بأن لدينا عيوبًا حقيقية، وهكذا كل البشر، وهذه العيوب هي من ضمن ما يعيق الآخر عن عبور الجسر إلينا.

اعبرا الجسر باتجاه بعضكما بعضًا، في لحظة من لحظات الشجاعة، وستكتشفان أن الكلفة النفسية لمداواة العيب الشخصي، هي أقل من كلفة بقاء الوضع على ما هو عليه، ففي حالات كثيرة يكون الآخر عالقًا هناك على رأس الجسر في انتظار تغير ما يحثه على الحركة، وأنت تستطيع، وأنت تستحق.

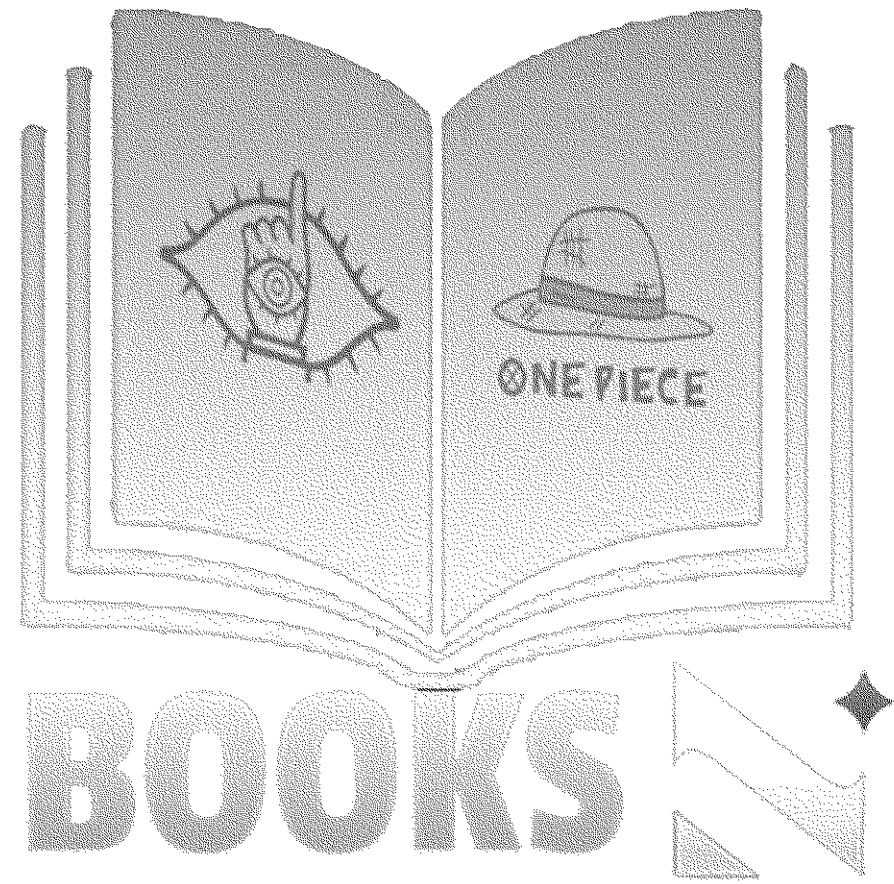

الغيرة على البيت

أذكر أنني في شبابي زرت أخًا ملتزمًا في بيته بعد الزواج بفترة قليلة، وقد تزوج إنسانة متدينة صالحة ترتدي النقاب، واستضافني بقليل من اللبن في طبق صغير، وقال لي معتذرًا بوجهه الطيب الحيي عن تواضع ما يستضيفني به، إن الحالة المادية سيئة هذه الأيام، وقد امتنعتْ زوجته عن التلميح لهذا لأهلها بأي طريقة، ولم تقبل حتى أن تذهب لهم حتى تتكشف الغمة، واعتبرت أن الشكوى من ضيق حال الزوج في هذه الفترة العابرة عمل لا يليق بزوجة صالحة، بل رأت أنه لا يجوز لها أن تسمح لهم باستنتاج بؤسهما المؤقت من خلال هيئتها؛ وعاشت معه في الأيام الخالية على تغميس الخبز في الشاي، أيام كاملة على الشاي والخبز!

جدير بالذكر أنه كان إنسانًا طيبًا محترمًا لا يكف عن ذكر الله، ويجتهد في مرضاة الله، وقد كانت هذه الشابة رزقه الذي أعطاه إياه الله.

ما أحب أن أقوله، تعقيبًا على تلك اللقطة من مبتدأ عمر هذه الأسرة البسيطة الطيبة التي لا أعرف أين هي الآن، حتى لو بدا ما فعلته هذه الشابة، التي تخطت سن الشباب الآن لو كانت حية ترزق، بدا مبالغًا فيه في عين كثير من الناس الآن، فإني أقول إن سلوكها جميل حقًّا ونظيف وبريء، وإن غيرتها على بيتها الجديد الذي لم تعش تحت

جدرانه غير أيام قليلة هي غيرة مثيرة للعجب، وأقول إن اجتهاد كل من الزوج والزوجة على حدة من أجل مداراة ما يمكن أن يخدش صورة الآخر في أعين المحيطين هو أحد أهم بطولات الحياة الزوجية التي يجب تحقيقها، من الرجل، ومن المرأة، أما جعل الحياة الزوجية خيشة تحت الأقدام على عتبات مواقع التواصل، فهذا نذير شؤم وجحود، وخراب قد لا يكون من بعده صلاح، فتأملوا.

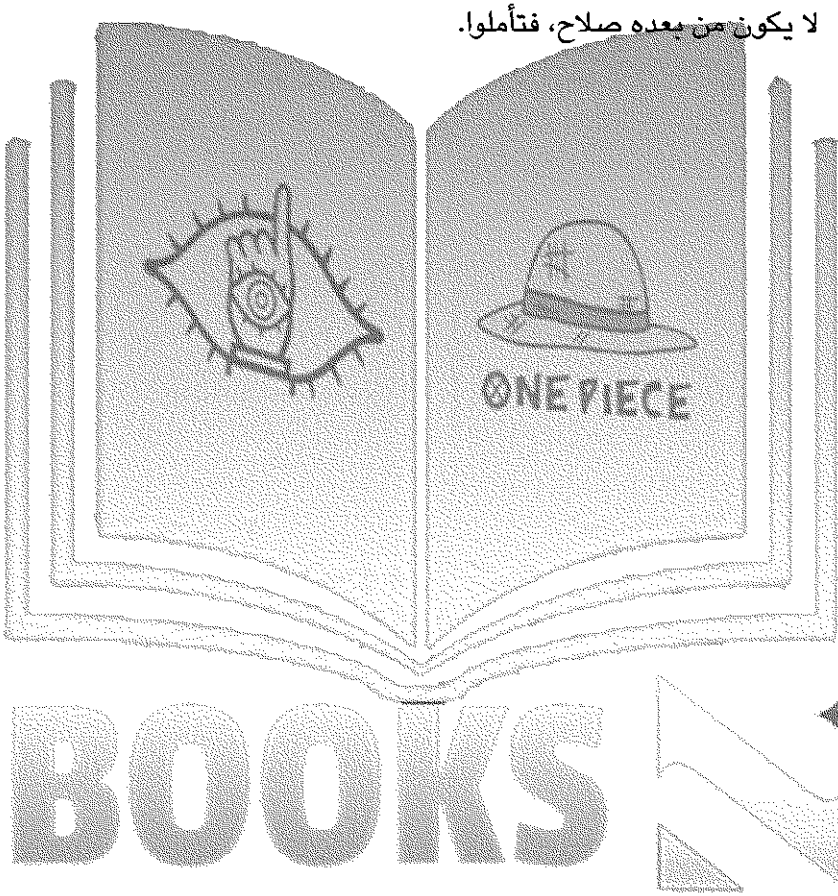

التنفيس

عندما يحدث شجار شديد بين الزوجين، قد يحدث أن أحدهما يصل لمرحلة حمقاء من الدفاع عن النفس، بحيث يميل على أحد من طرفه، أخيه أو أخته أو أمه أو غيرهم، ويذم شريك الزوجية ذمًا شديدًا، أو يحكي شيئًا من خصوصيات الحياة المشتركة، حتى يحقق الشعور بأنه الأفضل وأنه منقوص الحقوق في هذه العلاقة، متلذذًا بالبوح والمواساة، ولا يكف حتى يولّد لدى من يسمعه شعورًا باحتقار شريك حياته.

وعندما تعود المياه لمجاريها، وينظر في مزايا شريك حياته مرة أخرى، يصعب عليه ما حكى، ويندم على ما تكلّم فيه، وربما ظل من استمع له مشحونًا تجاه المشكو منه مبغضًا له، متعجبًا من هوان الصلح الذي رضي به الشاكي.

ووقتها يجد الشاكي في نفسه مشقة للاختلاء بمن تكلم معه ليمدح في شريك حياته بعد أن أساء إليه، ويصحح الصورة، متوقعًا أن تحسين الانطباع السيئ الذي تسبب فيه ليس سهلًا، ومتوقعًا أن يهزأ من يسمع له من خفته في سريرته، أو من وقوع المتمرد مرةً أخرى تحت السيطرة، هذا كله عقاب نفسي لمن تكلم واستهان بأسرار بيته وفضح خلوته.

والأفضل للإنسان إن أراد أن يبوح ويشتكي أن يسيطر على نفسه كثيرًا، حتى لا يفجر في خصومته، وأشد الفجر في الخصومة الفجر في خصومة الأقربين، ومنهم شريكة الحياة، لهذا إن أراد أن يتكلم قال

ما يمكن أن يقوله في جلسة صلح تجمعهما في ظل حكماء كبار لهم احترامهم ولا يقبلون بسفاسف الأمور ويحفظون الحرمات، والأفضل أن يشتكيه لأحد منه كأن يشتكي الرجل زوجته لأمها، بدلًا من أن يشتكيها لأمه.

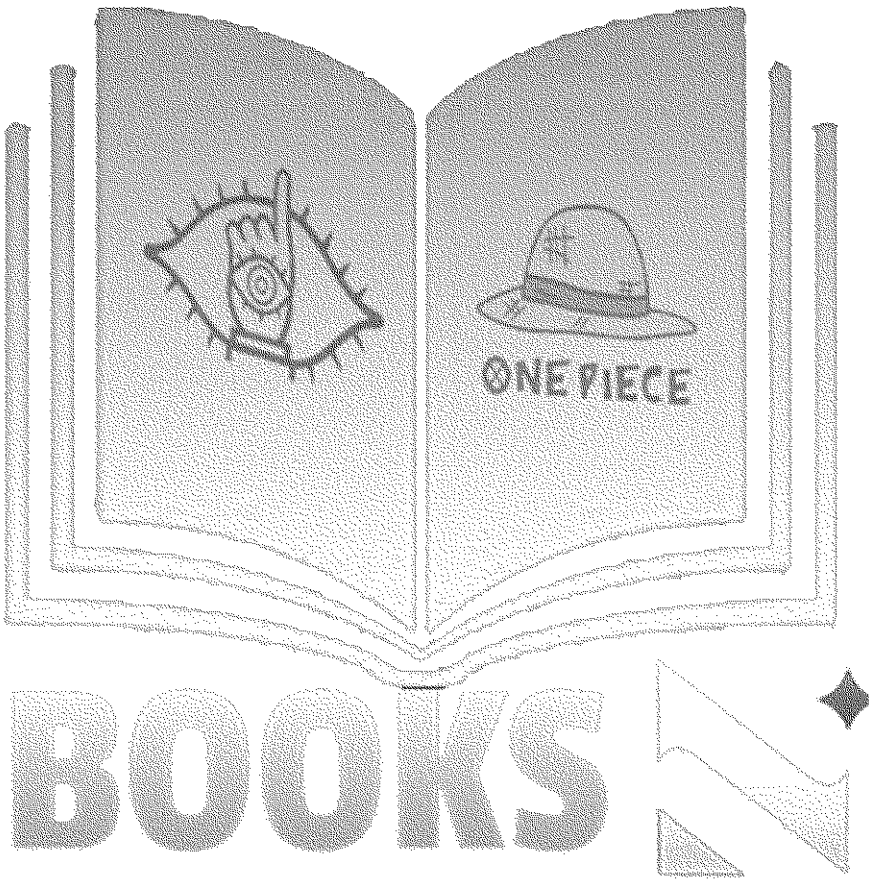

ستر وغطاء

في جلسة الصلح بين الزوجين التي يحضرها أهلهما، من العقل والولاء ألّا يحكي أحدهما ما يتحرج نصفه الآخر كثيرًا من أن يعرفه الآخرون عنه؛ هناك ما هو أجمل من أن يرى من يحكمون بيننا أن الحق معي، وهو أن يراني نصفي الآخر سترًا وغطاءً عليه حتى في الخصام.

أهل الزوجة الطيبون

من شكر نعمة الله على العبد إن كان أهل زوجته طيبين يتكلمون معه بأدب ولين في وقت مشكلاته معها، وظهر عليهم أنهم يخافون من الطلاق، أن يكون لطيفًا بهم رحيمًا معهم متمالكًا أعصابه، فلا يستهتر بهم، ولا يتلذذ بخوفهم، فهذه الطباع في أهل الزوجة لا ينتهزها العاقل ابن الأصول، بل يقدرها، ويكرم لها العين. أما من أعجبه أن يستغل خوف أسرة طيبة لا خبرة لهم في المشكلات، ويتمنون لبنتهم الاستقرار، عليه أن يخشى أن يبتليه الله بعد فراقها بمن إذا أغضب أختهم أهانوه وهددوه.

لا تعد اللسعات

لا أحد يستطيع أن يعوض شمعة ذاب منها ما ذاب عبر الأيام في بيته على ما فقدت من ذاتها، وكذلك لا شيء يمكن أن يعوض ما احترق من زوج مخلص أو زوجة مخلصة عبر السنين، وقبل أن تفكر في الانفصال، وتقدح زناد الذاكرة المتعبة، وتعد اللسعات، التي لا تخلو منها يد العلاقة الزوجية أبدًا، تذكر أن هذا الشريك المخلص لم يدَّخر شيئًا من العاطفة والاتقاد، وأنه كان يتعامل مع أشواك الحياة التي في طريقك كي يفسحه لك بيديه العاريتين وهو يكتم ألمه، وأن كل التغيرات الجسدية والنفسية التي طرأت عليه منذ أول يوم رأيته فيه وإلى هذا اليوم الذي تفكر فيه في الانفصال، سببها أنه جعل من نفسه وقود حياتك وحياة أبنائك.

الخط قبل الصفحة

عندما تصل العلاقة الزوجية بين اثنين إلى محطة الخراب، قد يندفع أحدهما في التفكير بسرعة في فرصة أخرى، ويحاول أن يفكر فيما حدث كأنه حدث بالصدفة، وكأن الاستئناف يعالج كل شيء.

استئناف العلاقة، وقد تحمَّل كل من الطرفين بالمرارات، وسوء الفهم، والتربص، والقلق، والشعور بعدم الشبه، لا يمكن أن يكون علاجًا، لكن ما يجب التفكير طويلًا فيه، ومن الطرفين هو: ما الذي أوصلنا إلى هنا؟ هذا حتى يمكن لهما تجديد العلاقة وتنقيتها من عوامل التفسخ والنفور والاصطدام.

كلمة (صفحة جديدة) جميلة جدًّا في الحقيقة، الكل ينطق بها، لكن كثيرين ممن يطلبونها، سيعملون في هذه الصفحة الجديدة بنفس الخط السيئ الذي لم يفكروا في تحسينه، وسيكون حال الصفحة الجديدة إذن مثل سابقاتها.

إذن الخط قبل الصفحة، التغيير قبل الاستئناف، فالفرصة الأخرى التي تطلبها من شريكك ليست في قيمة قطعة من الملابس ضاقت عليه وسيعطيها لغيره، أنت عندما تطلب فرصة أخرى إنما تطلب شيئًا ثمينًا جدًّا، فأنت تطلب عمره الآتي، ومشاعره، وثقته، وإخلاصه، وحسن ظنه، وتفاؤله، ودفاعه عنك، ومراهنته عليك، لذا فلا بد قبل أن تعرض عليه احتفاظك بهذه الأشياء الثمينة جدًّا، أن توضح له ولنفسك ما الذي يجعلك تؤمن بأنه لن يحدث ما حدث، أن توضح له ما هو الذي يجب أن يتغير فيه وفيك، وفي الظروف المحيطة بكما.

رسائل الغسل

إذا مرت فترة سيئة علي الزوجين، يكون فيها الاتصال بينهما حاملًا مضمونًا سلبيًا وردودًا عصبية سواء بالمكالمة أو الرسالة، بسبب مشكلة بينهما أو ظرف صعب يمرون به، فيجب عليهما بعد ذلك، بعد انجلاء الأزمة، وهدوء النفس، أن يتبادلا رسائل ودود ولطيفة أو نكاتًا، ويحرصا على ذلك، حتى لا يتجمد عند كل منهما شعور بالانقباض بسبب ورود مكالمة من الآخر أو رسالة، ذلك الشعور الذي كان يشعر به كل منهما عندما تأتيه رسالة أو يأتيه اتصال من الآخر ويتوقع شوطًا جديدًا من النكد، لا بد من هذه الرسائل اللطيفة الخفيفة، حتى تكون هذه وسيلة للغسل وإزالة الآثار المؤسفة.

لا يصلح أن يحدث عندك انقباض وتتوقع مصيبة عندما يتصل بك شخص تحبه، فكثرة هذا بإمكانه أن يقتل الود، ويذهب بالعاطفة، لذا لا بد من التعاون بين الشريكين لتنظيف النفس من أثر الفترة السيئة بسرعة وهمة.

المكانة

إن مكانة الزوجة الحقيقية عند زوجها، والتي ربما لا يعرفها هو نفسه. لا أعرفها عندما ينطلقان ضاحكين في سيارة مكشوفة باتجاه عش الحب وهو في غاية الطرب من وجودها برفقته بكامل ليونتها ورقتها وعذوبتها، إنما أعرفها في ساعات العواصف التي تهدد بقاءهما معًا، عندما يبدو الرجل مصرًا حتى الموت على البحث عن أي وسيلة للاستمرار، عندما يؤمن للأبد أنه بإمكانهما البدء من جديد رغم كل الحطام الذي حدث والأشياء التي تبعث على التشاؤم، عندما ينتظرها كما قال محمود درويش: بصبر الحصان المعد لمنحدرات الجبال؛ وقتها، أقول إن ثمة رجلًا يحب امرأةً حقًّا.